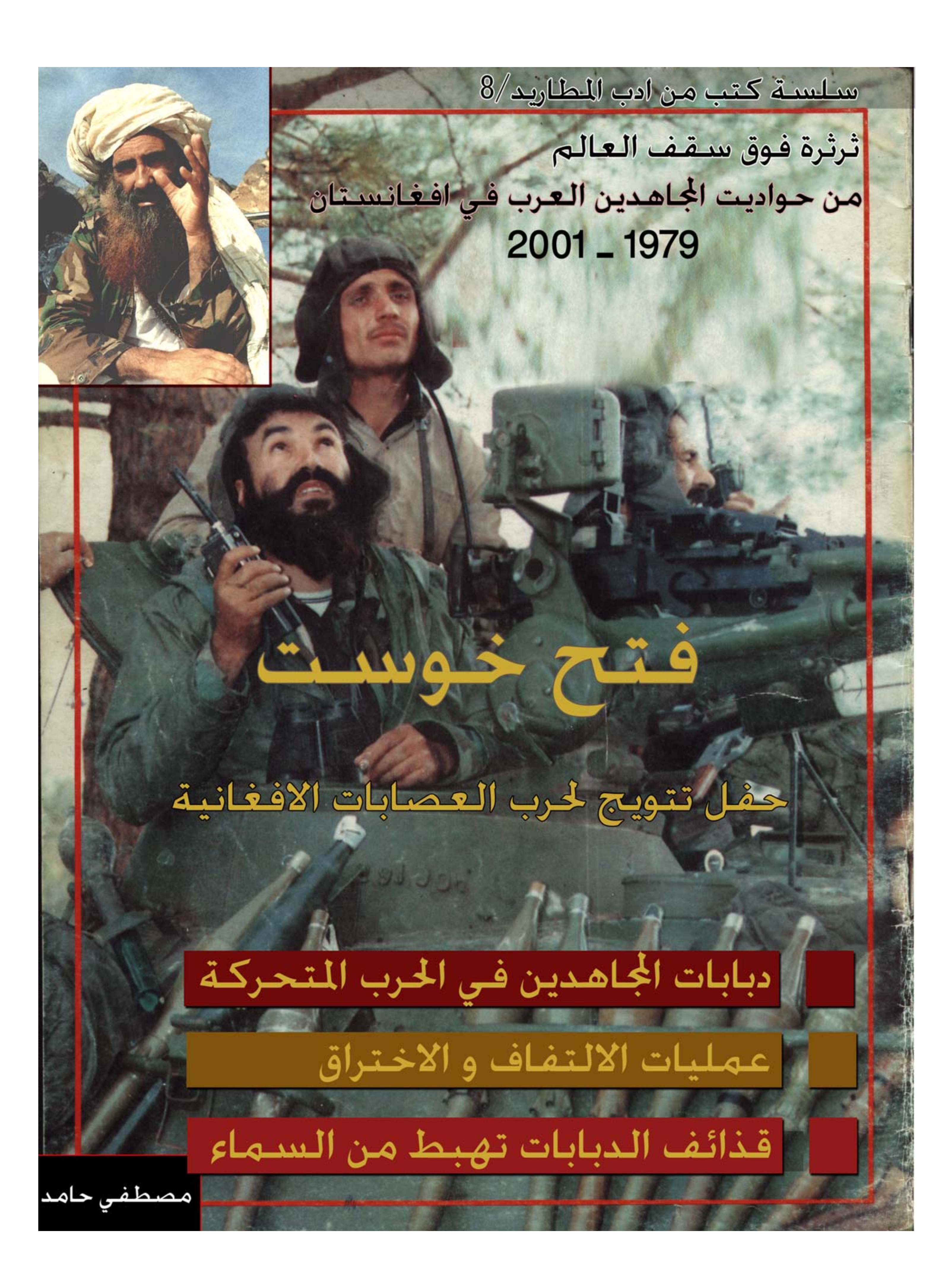

سلسلة كتب من ادب المطاريد/8
ثرثرة فوق سقف العالم
من حواديت المجاهدين العرب في افغانستان
1979 ـ 2001
فتح خوست
حفل تتويج لحرب العصابات الافغانية
دبابات المجاهدين في الحرب المتحركة
عمليات الالتفاف و الاختراق
قذائف الدبابات تهبط من السماء
مصطفي حامد

الكاتب فى سطور

- مصطفى حامد .
- من مواليد مصر ١٩٤٥ محافظة الشرقية .
- تخرج من جامعة الأسكندرية كلية الهندسة عام ١٩٦٩ .
- عمل فى الصحافة خلال فترة السبعينات ، فى عدد من الصحف الأهلية فى أبوظبى .
- كتب عن الجهاد الأفغانى وشارك فيه منذ عام ١٩٧٩ قبل التدخل السوفيتى .
- فى ١٩٨٥ أقام مع أسرته فى باكستان . وعمل هناك مديرا لمكتب صحيفة الإتحاد الظبيانية حتى عام ١٩٨٦ .
- أقام فى أفغانستان منذ عام ١٩٩٣ وحتى الحملة الأمريكية عام ٢٠٠١ م.
- تعرف عن قرب على عدد من الشخصيات العربية الهامة التى عملت فى القضية الأفغانية مثل الدكتور عبد ا عزام وتميم العدنانى وأسامة بن لادن الذى يعتبرة صديقا شخصياً له .
- له مجموعة من الكتب لم تنشر جميعا . وتدور حول تجربة العرب فى الجهاد الأفغانى ، الذى عاصره منذ بدايته وحتى نهايته .
- تعرف عن قرب على حركة طالبان ، وأميرها الملا محمد عمر ، وربطته بهم علاقة طيبة .
- من قندهار عمل مراسلاً لقناة الجزيرة القطرية لمدة عام ، إلى ما قبل الحرب الأمريكية على أفغانستان .

<u>سلسلة كتب من أدب المطاريد</u>

١ ـ ١٥ طلقة فى سبيل ا   ٢ ـ معارك البوابة الصخرية
٣ ـ خيانة على الطريق   ٤ ـ الحماقة الكبرى أو حرب المعيز
٥ ـ المطار ٩٠   ٦ ـ صليب فى سماء قندهار
7 ـ حرب المطاريد غير التقليدية
8 ـ فتح خوست : حفل تتويج لحرب العصابات الأفغانية
9 ـ جرديز : تساقط المدن وسقوط النظام
10 ـ **مشرع طاجيكستان**: الجهاد ينتقل من نهر شمل إلى نهر جيحون
الضربة الأمريكية للمعسكرات العربية: أحداث الليلة الأخيرة

سلسلة كتب من ادب المطاريد/8
ثرثرة فوق سقف العالم
من حواديت المجاهدين العرب في افغانستان
2001 ـ 1979
فتح خوست
حفل تتويج لحرب العصابات الافغانية
دبابات المجاهدين في الحرب المتحركة
عمليات الالتفاف و الاختراق
قذائف الدبابات تهبط من السماء
مصطفي حامد

<u>شخصيات الغلاف:</u>
مولوى جلال الدين حقانى
قائد عمليات الفتح.
(إلى أعلى، يسار)
<u>حاجى إبراهيم</u>
شقيق حقانى
قائد سلاح الدبابات.
(يسار الصورة)
<u>خليل الرحمن</u>
شقيق حقانى
مساعد قائد سلاح الدبابات.
(يمين الصورة)
<u>سائق دبابة القيادة:</u>
فى منتصف الصورة
بين الأخوين.

<u>قصة الغلاف:</u>
تلك اللقطة النادرة، تسجل لحظة إنقلاب جوهرى فى مسيرة معارك فتح خوست. لحظة أن إقتحم الأخوين، إبراهيم وخليل، يمتطيان ظهر دبابتهما، قاعدة إدارية حيوية للعدو هى قاعدة "فارم باغ". فر العدو من القاعدة وإستولى عليها المجاهدون فكانت البداية الحقيقية للإنتصار وسقوط المدينة بأيديهم. بل كانت بداية العد العكسى لسقوط النظام فى كابل.
فى الصورة يتطلع حاجى إبراهيم إلى السماء.. ينظر إلى الطائرات التى تمطرهم بطوفان من حمم الموت. ومنتظرا المدد أن يأتيهم من السماء . فقد نفذت ذخار دبابات المجاهدين، بينما إصطفت أمامهم على الضفة الأخرى من النهر حوالى أربعين دبابة للعدو تمطرهم بقذائفها وتهدد بإجتياحهم. لم يتأخر المدد على خليل ورجاله، فقد هبطت عليهم من السماء كميات ضخمة من قذائف الدبابات، أكملوا بها معارك الفتح بكل يسر وسهولة. **(راجع فقرة: ونفذت ذخائر المجاهدين ص ٤٣)**

الفهرس

الـخـرائـط

(قصـة مدينـة)
فـــتح خوســــت

مقـــدمــة

فى البداية كنت أنوى أن أضع كتابا واحدا فقط عن فتح خوست وأن أسميه "قصة مدينة" ـ وتوسعت الفكرة حتى أثمرت تلك السلسلة المطولة من " ***ثرثرة فوق سقف العالم***" حول تجربة العرب فى "جهاد أفغانستان". أو أهم تجربة جهادية فى القرن العشرين وربما لعدة قرون سابقة عليه. والتجربة العربية كانت الأكبر والأخطر للعرب خارج بلادهم منذ عشرات أو مئات السنين.
ورغم محاولات إستئصال تأثيرات تلك التجربة وتصفية الذين شاركوا فيها ، لكن الأرجح أن آثار نتائجها سوف تستمر إلى مدى لا يعلمه إلا ا .
ورغم فتح كابول (إبريل ١٩٩٢) ودخول المنظمات الجهادية الأفغانية ضمن مكونات الحكم، إلا أن التجربة العربية منذ ذلك التاريخ وحتى الإجتياح الأمريكى للبلاد عام ٢٠٠١ ، لم تكن مستقرة لذا فكتابة هذه السلسلة من "***أدب المطاريد***" تمت فى ظروف إستثنائية واستغرقت وقتا أطول من المتوقع، كما إفتقدت الكثير من الصور والوثائق .
فى سبتمر ٢٠٠١ وصلت إلى مرحلة الكتابة عن فتح خوست ، وكنت أعتبرها الفقرة الرئيسية فى كل ما كتبت .
فقررت التفرغ لذلك العمل الهام . فاستقلت من عملى فى قناة الجزيرة ـ وحزمت أمتعتى عازما التوجه إلى مدينة خوست ، وكنت مصمما على أن أكتب عن فتح خوست وأنا قريبا من مراكز الأحداث ، بل وأستطيع رؤية أهم أماكنها من محل سكنى فى المدينة . وكنت أتمنى زيارة العديد من مواقع المعارك قبل الشروع فى الكتابة عنها . ولكن دهمتنى الحرب ضمن من دهمتهم من أفغان وعرب ، فحطمت كل البنيان القائم وإختفت "الإمارة الإسلامية الأفغانية " وإختفت أيضا جميع أوراقى التى سجلت فيها وقائع ويوميات معركة الفتح، وشهادات أهم المشاركين فيه وصانعى أحداثه وكان ذلك بالنسبة لى كارثة كبرى ، ضمن أحداث كانت كلها كوارث كبرى بالنسبة لكل من عاصروها .
إختفت أوراقى ولكنها لم تضيع . لقد حفرت لها عميقا فى التربة الأفغانية ، فقد أعود إليها فى وقت قريب لتنبت من تلك الأوراق كتاباً جديدا من "**سلسلة أدب المطاريد** " وربما يعود المطاريد أنفسهم إلى نفس الأرض ليكونوا هم المطاردين هذه المرة ..فمن يدرى؟؟ .
ورغم مرور أكثر من عقد من الزمان على أحداث فتح مدينة خوست فسوف أحاول فى تلك الوريقات ، إعتمادا على ذاكرة تعانى هى الأخرى ، أن أحدد الخطوط العامة لتلك المعركة الهامة، والفتح المبين ، حتى لا تندثر تلك الفترة الهامة من تاريخ المسلمين .
أما إذا تجمعت أنا وأوراقى و"الإمارة الإسلامية" مرة أخرى ، فسوف أعيد رواية القصة بكل تفاصيلها وشهادات رجال صنعوا النصر فيها ، وإختفى أكثرهم عن مسرح الحياة ، أو توارى خلف قضبان من الفولاذ فى مجاهل من الأرض صنعتها شياطين الإنس .
عسى أن يكون ذلك قريبا وما ذلك على ا بعزيز .
أما عن سقوط مدينة جرديز وما تلاه من تتابع تساقط المدن حتى سقوط العاصمة كابول ونظامها الشيوعى ، فإن أوراقى من تلك الفترة مازالت معى، فى معظمها ، لذا سأستعين بها عند الكتابة من تلك الأحداث .

" **المؤلف** "

بين يدى الكتاب

ذاك أن الحرف قبل الموت ينتصر
وعند الموت ينتصر
وبعد الموت ينتصر
وأن السيف مهما طال ينكسر
ويصدأ .. ثم يندثر
ولولا الحرف لا يبقى له ذكر
لدى الدنيا ولا خبر
" **الشاعر أحمد مطر** "
****

بداية صعبة لمشروع جديد

بعد نهاية عمليتنا ضد المطار ، مرت الجبهة بحالة من السكون القريب من اللامبالاة . توقفت تماماً كل العمليات الكبيرة بعد زخم هائل إستمر منذ بداية ذلك العام"١٩٩٠"،وتحققت فيه إنجازات إستراتيجية القيمة مثل الإستيلاء على تورغار وإغلاق المطار القديم بشكل دائم .

وكل ذلك كان إستمرارا لإنتصارات بنفس الوزن حدثت فى النصف الأخير من العام السابق "١٩٨٩"، حين سيطر المجاهدون بعمليات عسكرية رائعة على غرب وادى خوست كاملا ، فبدأوا بحصن نادر شاه كوت ، ثم مدخل الوادى الحصين فى"دومندو" ثم قيادة القطاع الغربى للوادى فى قرية "دراجى" .

إرتفعت المعنويات إلى درجة كبيرة وزادت ثقة المجاهدين بأنفسهم وبقيادتهم "جلال الدين حقانى". فإنتقلت العدوى إلى العرب فى خوست فكانت عمليتنا ضد المطار متناسقة مع مستوى الأداء العام من حيث الإتقان والحسم .

وفجأه توقف كل شيء كأنما أصيب بالسكتة القلبية ، إنعكس ذلك على مجموعتنا العربية العاملة فى"مشروع المطار" على شكل حالة من الإحباط القريب من اليأس . فقد كنا نتوقع ، وطبقاً لتوقعات حقانى نفسه ، أن تسقط المدينة فى حال فشلت القوة المدافعة عنها فى إستخدام المطار لمدة شهر .

ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ، وبدلا عنه أنشأ العدو "مطاراً جديداً" بعيداً عن مدى راجماتنا . ولم يتدخل أحد لمنع معداته من إتمام العمل.

كما لم يزودنا أحد بالأسلحة اللازمة حتى نقوم نحن بذلك .إنصرف الشباب محبطين ، وعاد معظمهم إلى بشاور ، وساد بينهم شعور بأن "الأفغان" قد خذلوهم ، وأنهم غير جادون .

زاد موقفنا سوءاً كون معظم أفراد المشروع كانوا من تنظيم "القاعدة" وقد تفشت فى التنظيم الدعوة إلى مغادرة أفغانستان والإنتقال "للجهاد" فى المنطقة العربية . كان المشروع الجاهز هو"السعودية" ولكن كان الأمر ملتبساً . فالقوات الأمريكية قد نزلت

إلى هناك بكثافة ، بدعوى الدفاع عن "المملكة" ضد غزو محتمل يقوم به رئيس العراق صدام. وكانت حيرة الشباب فى تشخيص الوضع القائم : هل يكون الجهاد ضد الإحتلال الأمريكى القائم فعلا للأرض المقدسة فى السعودية ، أم ضد غزو"بعثى" محتمل لتلك الأماكن ؟، وإذا كان كذلك فهل يجاهد الشباب ضد البعثيين بالتحالف مع الأمريكيين ؟.

لقد أفتى علماء المملكة بجواز ذلك . وحتى قادة المجاهدين الأفغان وافقوا عليه وأرسلوا "مجاهديهم " إلى المملكة .

ولأول مرة تهتز قناعات البعض فى مصداقية علماء المملكة الذين كانوا موضع "تقديس" لأكثر من عقود من الزمن .

المهم أن الدعوة إلى الإنصراف عن أفغانستان كانت هى الأقوى فى بيشاور كلها ، وفى تنظيم القاعدة "وتوأمه السيامى" تنظيم الجهاد المصرى . وكان ذلك ويالغرابة ، متوافقاً بشدة مع ماينادى به علماء "المملكة" منذ أن تم الإنسحاب السوفيتي من أفغانستان فى فبراير من عام ١٩٨٩.

لقد تأثرت بشدة تلك الآمال العظيمة التى كنت أراها قريبة المنال . كان يجب أن نكمل عملنا حتى إقتحام مدينة خوست بالقوة .

وعندها لابد أن تتبدل معطيات الموقف فى أفغانستان بشكل جذرى ، لأن النظام لن يستطيع البقاء بعدها وسينفرط عقد المدن الأفغانية الكبرى ، التى بالسيطرة عليها يستمد النظام شرعية بقائه الآن ويطالب بمقاسمة السلطة فى الوضع القادم، الذى بات قريباً جداً ، ويدفع العالم كله فى إتجاهه .

أصدقائى فى "القاعدة" أبو عبيدة وأبو حفص أكدا لى عدم إمكانية مشاركة عناصرهم فى أى مشروع قادم فى خوست . ولكنهما سيوفرا لى الذخائر المطلوبة "لمشروع المطار الجديد " وكنت قد قدرتها لهم بحوالى ألف وخمسمئة صاروخ كاتيوشا، على إعتبار إن العمل قد يشمل قصف المطار القديم أيضا إذا حاول العدو إستخدامه .

ولكنهم كانوا قد سحبوا بالفعل من مركز قيادتنا "أبو العباس " ما تبقى من صواريخ، وبدأوا فى إستخدامه لأغراض "التدريب" الواقعى فى موقع لهم جنوب وادى خوست يدعى "البتاون" ، على مقربة من موقع العدو فى " شيخ أمير"

لحسن الحظ أن ذلك الوضع لم يكن موجوداً فى جماعة أبو الحارث، الذى إستطاع المحافظة على مبدأ الثبات على الهدف الإستراتيجى . وهو ما إفتقد اليه العرب فى جميع أعمالهم السابقة واللاحقة .

وعدنى أبوالحارث بأمدادى بالأفراد اللازمين للعمل ، وذلك بعد أن أخبرته بموقف "القاعدة" .

ولكن أبوالحارث كان يواجه موقفاً صعباً داخل جماعته . كانت هناك ثورة صامته

ضده ، ولم ألاحظ وقتها أن إنقلاباً هادئاً يتجمع داخل مجموعته . فتكون مجلس شورى جديد سحب جزءاً كبيراً من صلاحيات أبوالحارث ، ووضعها فى يد نائبه "أبومعاذ الخوستى".
وهو كما ذكرنا فى موضع سابق ، كان أفضل من ظهر بين العرب كقائد للعمليات الأرضية الهجومية.
من وجهة نظرى لم يكن ذلك كافياً لأن يصبح أبو معاذ قائداً للمجموعة وذلك لسبب هام وهو إفتقاره للخبرة السياسية بالوسط الأفغانى بشكل خاص . وهو العيب الذى أدى إلى تورطه فى حرب حرب "مذهبية" فى كابول إلى جانب حكمتيار ضد الشيعة قتل فيها أبو معاذ وتبخرت تلك المجموعة الرائعة من المجاهدين العرب الذين كونوا جماعة أبوالحارث التى كانت بحق أفضل ظاهرة عربية فى أفغانستان وقتها.
(أبو مصعب الزرقاوى كان من الشباب صغار السن الذين إنضموا إلى جماعة أبو الحارث فى ذلك الوقت . كان بحق شاباً رائعاً ، ولكنه كرر نفس الخطأ الذى وقع فيه أبو معاز الخوستى. كرره لكن فى العراق بعد أكثر من عقد من الزمان، حيث إنخرط هو الآخر فى حرب مذهبية أضرت بقضية الإسلام فى العراق أكثر مما أضرها الإحتلال الأمريكى الإسرائيلى لتلك البلاد)
كما ذكرنا فى موضع سابق فإن أبو الحارث شخصياً ، ومجموعته بشكل عام وقعت تحت ضغط غاية القسوة من جانب الأخوان المسلمين – خاصة إخوان الأردن الذى يعتبر والده أحد شخصياتهم المعروفه – لذلك أصبح الضغط أسريا أيضاً ، من الوالد وباقى العائلة .
ثم ضغط سعودى مكشوف رافقته تهديدات بأنهم " سيتصرفون ولن يسكتوا!!" .
بالطبع تحرك " مكتب الخدمات " الذى أصبح على المكشوف مؤسسة سعودية يديرها الإخوان المسلمون . فشلت كل تلك الضغوط على " أبوالحارث " ، ولكنها نجحت مع عدد من كبار معاونيه الذين حركوا " الإنقلاب الأبيض " الذى أطاح به ، ثم أطاح بالمجموعة كلها فيما بعد .
إستخدم أبو الحارث " نفوذه الأدبى " داخل مجموعته كى يقنع عدداً منهم بالإنضمام معى فى "مشروع المطار الجديد". كان العدد قليلاً جداً ولكنه كان مفيداً جداً .
لقد زودنى بأربعة كوادر هامة:
- أبو أنس (الأردنى) ومحب ا (المغربى) وقد شاركا معنا فى مشروع المطار القديم مستخدمين راجمة فردية ، شاركا في الأيام الأخيرة للمشروع ولكن طريقة العمل أعجبتهم وقررا تكرار التجربة مرة أخرى .
وفى الحقيقة فقد كنت معجباً بهما كثيراً لهدوئهما الشديد وجديتهما وأتقانهما للعمل ، وأنضباطهما ، والروحانيات العالية التى يتمتعان بها حتى كنت أعتبرهما (من أهل ا – أو المتصوفين) .
ونادراً ما كنت أجد أحدهما بدون أن أجد صاحبه إلى جانبه . ذكرنى ذلك بصداقتى مع الشهيد عبد الرحمن المصرى . مع الفارق ، فقد كنا ثنائياً صاخباً إلى حد ما.

ـ يحي "المصرى" وهو شاب ضئيل الجسم ، عظيم الخطر، عظيم الخلق، من أشهر العرب وأبرعهم فى إستخدام الهاون ، والمدفع عديم الإرتداد . أعزب تزوج الجبهة وعشق الخطر . كان دوره فى عمليتنا "المطار الجديد " أهم مما تصورته قبل بدء العمل . وسنأتى على ذكره لاحقا . وفى الحقيقة كان يحي هو خط جبهتنا الأول الذى كان يحمى راجمات صواريخنا .

وأعنى تحديداً أنه كان أوحداً . كان يستخدم الهاون تارة وعديم الإرتداد تارة حتى أوهم العدو بأن لدينا "خط أول"، وفى الحقيقة أن راجمتينا كانتا هما الخط الأول والأخير فى كل الجبهة الشرقية التى كان " مجاهدوها " فى هدنة واقعية وإتفاق غير معلن مع العدو فى خوست .

وسوف نفصل بعض ذلك لاحقاً .

غى عمليتنا تلك "المطار الجديد" قام بدور الدرع "يحي المصرى" ساعده أحياناً ثنائى المتصوفين أبو أنس ومحب ا على راجمتهما الفردية .

وقام بدور "السيف" راجمتى الصواريخ ، وساعدهما أحيانا أبوأنس ومحب ا على راجمتهما الفردية العجيبة ، مستفدين من سهولة نقلها والمناورة بها ليلا أو نهاراً من مواقع متعددة .

فى الحقيقة كان لدينا جيشاً كاملا وفعالاً مكونا من ثلاثة أفراد أرسلهم لنا أبوالحارث. العضو الرابع فى هذا الجيش كان "أبو كنعان" وهو شاب فلسطينى أتم دراسته للهندسة فى أمريكا . ومثل معظم شباب جماعة أبوالحارث إنضم إلى الجهاد مؤخراً خارج نطاق كل الجماعات . وغالباً تحت تأثير خطابات الشيخ عبد ا عزام وتحت إنفعال وردة فعل إغتيال ذلك الرمز الكبير للجهاد فى أفغانستان .

فى هذه العملية قام أبوكنعان بوظيفة "أبوزيد التونسى" فى عمليتنا السابقة فقد كان نائبا لى ، وقائداً إحتياطيا فى حال إستشهادى أو إصابتى. كان لديه فكرة جيدة عن المدافع الموجودة وتدرب عليها ، ومارس العمل أيضاً ضمن جماعة أبوالحارث .

مع عقليته المنظمة، و مع خياله الخصب كان مؤهلا للمناصب القيادية ، ولكن نزوعه قليلاً نحو التسلط والتفرد والتكتم، أكسباه قدراً من العدوات وسوء الفهم.

رأيته مرة واحدة أثناء عمليتنا السابقه وكان فى زيارة لمركز قيادتنا فى "أبو العباس " وكان بصدد العودة مرة أخرى إلى أمريكا قبل أن يستقر لشكل نهائى فى بشاور ضمن جماعة أبو الحارث . وقد فعل كثيرون نفس الشئ طول مدة الجهاد وهجروا أوضاعاً جيدة ومستقرة فى الدول الغربية.

ولأول مرة أعمل معه فى مشروع واحد ، وكان كفؤا وصاحب مبادرة .

طريق أبو الحارث السريع

لم تلك هى كل مآثر أبوالحارث ومجموعته . فقد كان لهم إنجازاً آخر عظيم الأهمية ، لم ينتبهوا إليه ولم ينتبه إليه سوى قليلون .

ذلك الإنجاز كان له تأثير كبير على مسيرة معركة فتح خوست .

إنه "طريق أبوالحارث السريع" الذى ربط بلمسة سحرية بين "بورى خيل" – المقر الرئيسى لكتيبة سلمان الفارسى – وبين "دروازجى" أهم مواقع كتيبة أبوجندل- مروراً بمركز قيادتنا فى "أبوالعباس" الذى هو أهم مراكز العرب فى دروازجى ومقر قيادة العمل ضد مطار خوست القديم ثم الجديد.
قبل ذلك الطريق كان الوصول بالسيارة من بورى خيل إلى دروازجى يحتاج إلى ثلاث ساعات فى الظروف الطبيعية ـ أى بلا سيول وبلا قصف جوى ـ وبعد شق ذلك الطريق أصبحت السيارة تقطع تلك المسافة فى عشرين دقيقة فقط .
بعد دروازجى وإلى الشمال تأتى منطقة ماليزى . ومنها بدأ الهجوم الناجح والمفاجئ الذى تصاعد حتى فتحت مدينة خوست .
المفاجأه الأساسية فى المعركة كلها تمت بمساعدة طريق "أبو الحارث السريع"
المفاجأة كانت للصديق قبل العدو . فقد كان مقرراً ومعروفا لدى الجميع أن الهجوم الرئيسى على خوست سوف يبدأ من "بورى خيل" وكانت الإستعدادات والحشود التى يعلمها العدو قبل الصديق موجودة هناك .ولكن حقانى تحول فجأة وفى دقائق معدودة إلى الهجوم من ماليزى فارتبك العدو وتعثر ثم سقط وفتحت خوست .
خاصة وأنه منذ أشهر يستعد ليس فقط لصد هجوم رئيسى كبير يشنه المجاهدون إنطلاقا من بورى خيل وتحديدا من أمام مركز أبوالحارث على حافة تورغار الغربية ، بل كان مستعدا تماما لسحق هذا الهجوم وتحويله إلى كارثة كبرى وسنرى أن ذلك كان صحيحا تماما.
الواضح من سياق الأحداث أن العدو ظن أن هجوم ماليزى هو هجوم ثانوى مخادع لسحب قواته إلى هناك ، لتسهيل أمر الهجوم الأساسى القادم من منطقة غرب تورغار التى يتم التجهيز عندها منذ عدة أشهر بكثافة غير معهودة يراها كل من فى خوست وأنتشرت أخبارها من ميرانشاه حتى كابول .
لم تتوقف أيضا مآثر أبو الحارث وجماعته على هذا القدر من المساهمة فى "مشروع المطار الجديد " .
ذكرنا مساهمتهم فى الكوادر ـ وفى شق الطريق الحربى السريع ، الذى أفاد كثيرا مركزنا الأدارى فى "أبوالعباس" وجعله فى عقدة المواصلات الأهم فى كل معركة خوست .
كان فى مشروعنا (مشكلة بسيطة) هى عدم وجود أفراد !!! .
فى مشروع "المطار القديم " وفرت القاعدة معظم الكوادر والأفراد , ولكن فى هذه المرة أوضح لى صديقى أبوحفص أنهم لن يزودونى سوى بشخص واحد من الكوادر هو"أبوتميم "، ذلك الإسكندرانى العنيد ، الذى كان له دور كبير فى مشروع المطار القديم . ولكن هذه المرة إشترط أبو تميم شرطا : إنه لن يعمل على راجمة الصورايخ ، بل سيعمل فى الهجمات الأرضية مع المجاهدين ـ وعبثاً حاولت إثنائه عن رأيه ، ولكنه أصر.

وبالفعل ، عمل معنا فى فترة التجهيز ، ولكن ما أن بدأت العمليات الأرضية حتى طار بعيدا، وأمضى المعركة كلها فى العمليات الأرضية مع أحدى مجموعات حقانى. الذى حدث بعد ذلك هو أن أباالحارث ومجموعته تولوا إدارة مركز "أبوالعباس" الذى تحول بعد فترة ، قبل بدء العمليات ، مركزا إداريا للعملية كلها ، كما كان فى المشروع السابق" القديم " .

كان ذلك حلا سعيدا لأنه جنبنا مشكلة مع الصديق أبوالحارث .الذى كاد أن يكرر خطأ وقعنا فيه مع القاعدة (عام ١٩٨٨) حين زودونا بالأفراد ، وبدلا من أن يتركوا لنا قيادتهم ميدانيا ، تدخل أبوعبيدة فى إدارتهم ميدانيا من مكتبه فى ميرانشاه ، فأفشل ذلك العملية (راجع كتاب خيانة على الطريق) .

هذه المرة ، إنتقل مركز القيادة الميدانية إلى منطقة شرق الوادى قرب جبل كوكاراك مفتاح المدينة من الشرق . وإستقر عملنا فى مناطق قريبة منه هى: لاكان،خرمتو شينكاى .

ـ حتى مراكز عملياتنا فى الجبهة الشرقية (لاكان ـ خرمتو ـ شينكاى) لم يتوفر لها أى فرد !! .

زودنا أبو الحارث ببعض الأفراد ، معظمهم من الجوالون ، أى هؤلاء الذين يأتون فجأة ويغادرون فجأة ، لا يدرى عنهم أحد أى شيئ !! . بعضهم تدرب فى معسكر ما وقد تعددت معسكرات التدريب ، سواء للقاعدة ، أو للجماعات الميكروسكوبية الجديدة فى جلال آباد التى غطت جانبى الطريق الرئيسى هناك مثل حبيبات الجدرى .

وجرف الحماس بعض منتسبى القاعدة فإنضموا إلينا لفترات محدودة لذا لم يكونوا فى صلب العمل .

فقط نذكر منهم : أبوالفضل ، وهو ضابط مصرى شاب ، كان يدرب الشباب لدينا على مدفع الشلكا (٢٣مليمتر)المضاد للطائرات ، وكنا نخطط لأستخدامه إذا سمحت لنا الظروف وقد شرحنا فى الكتاب السابق سبب تمسكنا بهذا السلاح وتعليق الآمال عليه. كان أبا الفضل كفؤا فذلك السلاح كان ضمن تخصصاته فى الجيش المصرى .

وكان أيضا شابا خفيف الظل مرحاً فتعلق به الشباب كثيرا .

وقد تمسك أبو الفضل بسلاحه مصرا على إستخدامه ضد المطار ، لكن ظروف المعركة لم تسمح لنا بذلك ، رغم أننا حاولنا بإستماته كما سنرى لاحقا .

ـ فى واقع الأمر كان "الجوالون" أو "المجاهد ذو الحقيبة " هم عماد عمليتنا . فقد كانوا الأكثرية فى العمل الإدارى ، سواء فى "أبوالعباس" أو فى الجبهة الشرقية سابقة الذكر . بعضهم كان شباب رائعون والبعض الآخر عندما "إستطلعوا" كل ما لدينا طلبوا المغادرة بعد وقت قصير ، يوم واحد وأحيانا أقل .

القاعدة ومشروع المطار الجديد

الإلتزام الأهم للقاعدة فى ذلك المشروع كان هو توفير الذخائر (الصواريخ) .وكان تقديرى أننا فى حاجة إلى ألف وخمسمئة صاروخ .

وهكذا تم الأتفاق بينى وبين أبوحفص ، وكان ذلك فى بداية العام "١٩٩١"حيث بدأنا الحركه فعلا للتجهيز للمشروع .
بالطبع إعتذر ابوحفص عن تزويد المشروع سوى بشخص واحد هو "أبوتميم" ولكن الذخائر سوف تصل فى مواعيدها المحددة . وأن المسئول الإدارى للقاعدة فى ميرانشاة ـ وهو أبو ذر السودانى ـ سوف يتولى ذلك الأمر .
والذى حدث هو أن ذلك المسئول الإدارى أوقع بنا ضرراً لم يكن العدو بكل قواته بقادر على إيقاعه بنا .
فرغم أن العملية قد بدأت بعد ذلك الإتفاق بأكثر من ثلاثة أشهر "فى الخامس عشر من مارس " إلا أن "الإدارى" وفر لنا أقل من ثلاثمئة قذيفة كانت متواجدة بالفعل فى معسكرات القاعدة ، وكلها تقريبا من بقايا مشروعنا السابق "المطار القديم" .
أى أن "الادارى " لم يشترى شيئا حتى بدأت المعركة .
وكنت قد أكدت عليه بضرورة توفير ألف قذيفة على الأقل قبل بداية المعركة. وأن العدد المتوفر حاليا يكفينا من ثلاثة إلى خمسة أيام كحد أقصى .
وعليه فأنه فى اليوم الخامس للمعركة يجب عليه أن يتأكد من ألف قذيفة قد وصلتنا بالفعل وأن تكون خمسئة أخرى فى الطريق إلينا على الفور .
ليس هذا فقط بل طول مدة الإعداد للمعركة كنا نتصل به لاسلكيا مؤكدين على الأتفاق ومع كل وفد ذاهب إلى ميرانشاه نرسل رسالة كتابية أو شفوية للتأكيد .
وكان يبدى دهشته مؤكدا أنه عند إتفاقه وكل شيئ سيكون على ما يرام .
فى اليوم الخامس للمعركة ـ إتصلت به لاسلكيا عندما وجدت أن ذخائرنا على وشك النفاذ ، وأن شيئا لا يصل من ميرانشاة ، لاعند بداية المعركة ولا حتى قبلها بأسابيع ، وكأن "مشروع المطار الجديد" قد تم إلغائه من طرف واحد .
فى ذلك اليوم كان موقعنا فى "الجبهة الشرقية " هو الأسوأ فى ساحة القتال كلها. فكنا فى شبه حصار ، ومهددين بشكل جدى من "مجاهدى " المنطقة !! .
وكنت على ثقة أن أى إهتزاز فى موقف حقانى ، أو تعرضه لنكسة ما فإننا سنكون هنا أول الضحايا.
كان عملنا على المطار أضعف بكثير من عملنا السابق على المطار القديم ـ وسنعود لذلك لاحقا ـ والذخائر على وشك النفاذ بينما المطار يحتاج منا الكثير وأيضا العديد من " الإستغاثات " تطالب منا الإسناد المدفعى !!.. ولم نقدم لهم سوى القليل ، على مضض . وأخذنا نستغيث بمسئولنا الأدارى في ميرانشاه .
من فوق ظهر الجبل إرتبطنا به لاسلكيا ، وسألته لماذا لم يلتزم بالأتفاق ولم تصل إلينا الذخائر . فرد قائلا أن لا علم لديه بالموضوع !! . فقدت عقلى وأعصابى دفعة واحدة ، ولو أنه كان أمامى وقتها لأطلقت عليه النار بلا تردد ـ ومازلت حتى الآن أرغب فى ذلك !! .

إنطلقت من فمى دفعة واحدة جميع الشتائم التى حفظتها فى حارتنا منذ الطفولة.
وأخذت أصرخ على المخابرة حتى خلت ان صوتى وصل إلى قيادة العدو فى هضبة متون .!!.
على المخابرة من ميرانشاة تدخل أحد "الحكماء العرب " كى ينصحنى قائلا :
ـ يأخى إتق ا ، لا تتكلم بهذا الكلام .
زاد قوله جنونى ، فزاد صياحى عصبية ، وبصعوبة تمالكت نفسى من أن أقذف بالمخابرة على الصخور.
ومنذ تلك الحادثة وأنا على إعتقاد أنه فى الحروب الجهادية لابد من وجود محاكمات عسكرية ، من صلاحيتها الحكم بالإعدام . وإذا تم ذلك فى وقت ما ـ حتى ولو بعد قرن من الزمان ـ فإننى سوف أستدعى مسئولنا الإدارى هذا أمام أول محكمة من هذا النوع "لمجرمى الحرب " وسأتولى بنفسى تنفيذ الحكم .
كادت تلك الضربة أن تكون قاضية . ولكننا بفضل ا إستطاعنا الخروج من تلك الأزمة بأعجوبة.
ما قام المسئول الإدارى به لم يكن فى ظنى مجرد "خطأ مهنى" ـ وملابسات عديدة تؤكد ذلك ـ أهمها "إجراء أمنى" عجيب قام به ، عرض أمن أسرتى للخطر ، كما أنه كان خطيراً على أمن مقر العرب فى ميرانشاه . فقد كانت أسرتى تسكن منزلا قريبا من المقر الادارى للعرب . بفارق منزلا واحد فى الصف المقابل ، عبر زقاق ضيق مفتوح الطرفين .
تعرضت أسرتى لعدة "مشروعات" إختطاف وإقتحام للمنزل . ولما زادت إستنجادات زوجتى بالعرب المجاورين ، قام المسئول الإدارى بسحب الحراسات التى تقف أمام المقر العربى ، لتوفر له الأمن ليلا وتوفر الأمن لمنزلنا بالتالى .
وبرفع الحراسة الليلية تلك ، تعرض بيتنا لمآزق أمنية غاية الخطورة لولا إتقان زوجتى للرماية بالكلاشنكوف وحيازتها ذخيرة من القنابل اليدوية الهجومية والدفاعية لتم أسر عدد من أطفالى ، أو قتلهم . ولذلك تفاصيل مثيرة .
قرائن كثيرة تدل على تورط "المسئول الادارى " المذكور فى ذلك البرنامج . إضافة إلى عناصر أفغانية فى المنطقة ، وأفراد من " المكتب الثقافى" والمكتب الأدارى الرئيسى لجماعة حقانى وهى مقارات قريبة جداً من بيتنا .
وهناك عناصر حكومية باكستانية من ميلشيات الحدود أو الإستخبارات ظهرت على مسرح تلك الأحداث التى دارت جميعها فى ذروة معركة خوست ، ولم أعلم إلا بعد إنتهاء المعركة . فقد حرصت زوجتى على ألا يصلنى أى خبر من ذلك حتى لا أترك الجبهة عائداً إلى ميرانشاه لحماية أسرتى، وقد فهمت هى أن ذلك هو المطلوب . وأن المهاجمين يهدفون إلى إيقاف مشروع المطار عبر مهاجمة أسرتى فى ميرانشاه .
ولا أشك فى أنها كانت على صواب فى ذلك .

الجنرال تراكتور

أشترت لنا "القاعدة" ـ عبر مندوبها الإدارى فى ميرنشاة تراكتور مع مقطورة . كان التراكتور جديداً، روسى الصنع . وكان تهريب التراكتورات والمقطورات الروسية وأحيانا سيارات الجيب تجارة بدأت تروج . وتنطلق من كابول فى إتجاه باكستان . كانت بضائع رخيصة جداً ، ولا أحد هنا يهتم بجمال الشكل أو توافر الكماليات . وهكذا هى الأسلحة الروسية أيضاً .كنت مصراً على شراء تراكتور ومقطورة ، لعدة أسباب:

أولها أن سيارتنا القديمة (البيك أب) كثيرة الأعمال والأعطال ، وعمليتنا الجديدة قد إستطالت خطوط مواصلاتها بمقدار الضعف تقريباً.

مركزنا فى أبوالعباس كما هو ، وأصبح لدينا مركزا متقدما فى منطقة "لاكان"، ثم مركز عمليات فى منطقة "خرمتو" ثم راجمة فى موضع أكثر بعدا قريبا من "جبل كوكاراك" وفى المنتصف هناك نهر" شمل" المتقلب الذى على سيارتنا العرجاء أن تعبره بكامل حمولتها فى كل مرة .

ليس هذا كل شيئ. فالمنطقة كثيرة الأمطار فى هذا الفصل من العام، ومنطقة لاكان الزراعية الخصبة تتحول إلى بركة ضخمة من الطين يصعب على السيارات عبورها، ويتحول المشاة فيها إلى أشباه تماثيل الطين .

كانت فكرة إستخدام التراكتور مع المقطورة فكرة رائعة ، إستفدنا منها عمليا بشكل غير مكتمل لكون التراكتور كان " سيئ الحظ " .

ففى اليوم الثانى أو الثالث "غرز " التراكتور والمقطورة فى منطقة لاكان وكنا قرب المغرب . تحت المطر نقلنا المعدات إلى أحد بيوت المنطقة على أن ننقذ التراكتور فى الصباح . وقد تم ذلك بالفعل لكن المقطورة إستعصت على الإنقاذ رغم إستعانتنا بسيارتى بيك أب فى سحبها . وأظلم الليل مرة أخرى. فى اليوم التالى ذهب أحدهم للبحث عن نجده فى معسكر أبوالعباس وتأخر إلى ضحى اليوم التالى . لكن فى الفجر كان الإخوة اللصوص قد سرقوا المقطورة . فأصبح لدينا تراكتور فقط .

بعد عبور نهر" شمل" جهة الشمال نصبح فى جبهتنا الشرقية . وهى منطقة زراعية خصبة جدا وجميلة بالفعل ، لكنها أخذت نصيبها موفوراً من الدمار والسرقات . فقد علمنا أن أكثر البيوت المهدمة كانت من عمل اللصوص الذين سرقوا كل ما هو خشبى فى تلك البيوت القروية .

كما ظهر لنا بعد قليل أن البعض هنا يعملون فى مهنتين فى آن واحد: مجاهد نهارا ولص ليلا ، هذا إذا لم يجد ما يسرقه نهاراً .

وسنعود إلى طبيعة النشاطات المتعددة لمجموعات "الجبهة الشرقية".

لقد أبلى التراكتور بلاء حسنا فى نقل المعدات والأعتدة إلى الجبهة الشرقية . والعديد من"الجيران " إستعاروه فى عمليات إستكمال لمواقعهم ـ وكان دوما السائق من

طرفنا ـ وساعد ذلك على تليين علاقتنا مع هؤلاء الذين كان أكثرهم من الشخصيات "الملغومة". بل أن أكثر تلك المجموعات كانت متعددة الولاء ، مع وجود قلة من المخلصين الرائعين .
نظرا لتلك البطولات الخارقة فى تلك القارة الطينية التى نعمل بها شرق وادى خوست أو (الجبهة الشرقية) كما نطلق عليها، وكان البطل البارز هو تراكتورنا الروسى أحمر اللون ، فقد منحناه رتبة "جنرال " وصار أسمه لدينا " الجنرال تراكتور" .
لم تكن أى مجموعة مجاورة لنا ممن يشغلون (الخط الأول) فى تلك المنطقة يمتلك وسيلة نقل ولا حتى دواب . ولا الخط الأول فى الحقيقة كان " خطاً حقيقيا " بل كان خطاً وهمياً بكل معنى الكلمة . ولكن بضغوط منا وإلحاح وإحراج وتقديم تسهيلات النقل بالتراكتور أحضر هؤلاء "بعض الشيئ " من المهمات والأسلحة وكدسوها فى خطهم الوهمى . ومن جانبنا قمنا ببرنامج حفريات واسع النطاق فى ذلك الخط سنتحدث عنه فيما بعد ـ وفى النهاية أصبح لدينا "شبه خط أول" كان له قصص كثيرة ستمر علينا .
لا شك أن جنرال تراكتور كان بلونه الأحمر الزاهى بطل تلك الملحمة . لكن فى الحقيقة وحتى لو كان التراكتور يحمل لقب جنرال إلا أن صاحب الجدارة بذلك اللقب كان الشاب التونسى الرائع "أبوطارق " .
سنتحدث عن دوره الهائل فى تلك العملية كلها "مشروع المطار الجديد" وليس فقط فى قهر المستحيلات ممتطيا فرسا حديديا يدعى " الجنرال تراكتور" .

لحسن الحظ أنه فى اليوم الثانى أو الثالث من بدء المعركة أن إنسحب العدو من شمال جبهتنا وأخلى أهم مواقعه وهو جبل كوكاراك إضافة إلى حصن قوى جدا على هضبة صغيرة يدعى "أليسار". أردنا إستغلال الموقف بسرعة وأرسلنا مجموعة لإستطلاع تلك المنطقة وبحث إمكانية الإستفادة منها فى شيئين: الأول هو تركيز مدفع الشلكا لضرب المطار والثانى هو المناورة بالراجمة الفردية أثناء العمليات الليلية لضرب المطار ولتشتيت القصف الجوى علينا.
أمتطت المجموعة ظهر الجنرال تراكتور وعبرت أليسار و توجهت شمالا وكان عليهم عبور نهر صغير . لكن جنرالنا غرز هناك . وحاول الشباب إخراجه من ورطته بلا جدوى ـ حتى أدركتهم قاذفات العدو فأوقعتهم فى ورطة أشد، وضربتهم بالقنابل العنقودية فإشتعلت المنطقة كلها . تناثرت مجموعتنا فى كل مكان لتحتمى بأى شيئ فى تلك المنطقة المنبسطة ، ولجأ بعضهم تحت بطن الجنرال الأحمر. ولم يصب أحد ، سوى شاب صغير وصلنا حديثاً ـ أصابه خدش فى جبهته ولم تحتمل أعصابه الموقف فأعدناه إلى الخلف فى صباح اليوم التالى .
حاول "أبوطارق التونسى" لمدة أسبوع أن يستخرج جنرالنا الأحمر من موقعه الإستعراضى فى تلك الساحة المنبسطة وهو يقف فى منتصفها متوهجاً بتحدى .

وعجبت كيف أن الطائرات لم تفكر فى قصفه بعد ذلك وهو أوضح من الشمس فى سماء خوست .
إستأجرنا شاحنات وتراكتورات لسحبه ، بلا فائدة . وسرق الإخوة المجاهدون بطارية التراكتور ، وبعض الأشياء التى أمكنهم خلعها .
ثم تقدم بعضهم بعرض مغرى، فقالوا بأنهم على إستعداد لسحب التراكتور خارج موضعه الخطير هذا ، بشرط واحد بسيط .. هو أن يصبح ملكا لهم!! .
كان ردنا بسيطا أيضا وهو أننا نفضل أن تقصفه الطائرات فى مكانه هذا !!.
من موقعنا للقيادة والترصد كان يظهر لنا جنرالنا الأحمر شامخاً مغروزاً بكل عظمة فى ورطته الأزلية، فتمتلئ قلوبنا حسرة ثم حولنا إسمه إلى "الجنرال غرزتور" .
وبعد فتح المدينة إستعنا بدبابة للمجاهدين سحبته من النهر ولكنه خرج كسيراً عاجزا.
وبعد عدة أشهر فى أحد دكاكين ميرانشاه عاد إلى طبيعته . كى يواصل مهماته معنا فى جرديز بعد عدة أشهر فأظهر بطولات جديدة ومنى بهزائم أخرى. ربما يرد تفصيلها فيما بعد .
كان الجناح العسكرى للقاعدة ، المتواجد معنا فى خوست ، أكثر تجاوبا معنا ، من الجناح الأدارى (المتآمر) فى ميرانشاة .
ذلك التعاون كان دوما ضمن استراتيجية القاعدة، أى وضع التدريب كأولوية مطلقة فى أفغانستان. وأن المشاركة الميدانية لها غاية تدريبية فى حد ذاتها، بصرف النظر عن أى إعتبارات عسكرية أو سياسية .
لذا شاركوا معنا مشاركات عابرة أثناء عملية المطار الجديد، كانت مفيدة لنا معنويا ولكنها لم تفد كثيرا فى عملنا الأساسى .
أهم المشاركات كان محاولة تدمير دبابة للعدو على قمة جبلية مقابلة لمركز" مجبور" فى دروازجى، وكانت أيضا مواجهة لمركز ترصدنا أثناء عملية المطار "القديم".
كانت الدبابة من طراز (تى ٣٦) القديم ، ولكنها كانت تتحكم فى مدخل وادى ضيق يصل ما بين دروازجى والوادى الرئيسى فى خوست .
حاول المجاهدون فى مرة سابقة الهجوم من ذلك الوادى لكن الهجوم فشل بسبب هذه الدبابة أولا وبسبب الألغام ثانيا، وهى ألغام نغطيها بالنيران رشاش ثقيل محصن جيدا وقريب من الدبابة .
من كوادر القاعدة العسكريين ومدربيها البارزين تحمس للعملية كل من "أبواسلام " "وسيف العدل" .رتبا للعملية مع مجموعة من المتدربين واستخدموا مدفع ٨٢ مليمتر عديم الإرتداد وهاون ثقيل .
كان الترتيب جيدا والأسلحة مناسبة والعمل متقن لكن الدبابة لم تصب .
لم يكن ذلك غريبا فى أفغانستان . فقد كان المقدر أن يستولى المجاهدون على تلك الدبابة سليمة بعد أيام قليلة من بدء الهجوم الكبير على المدينة .

ساهم عسكريو القاعدة فى "التخفيف" من أزمة الذخائر لدينا . ولكن الذخائر دوما لم تكن تصل بشكل مناسب لا من حيث التوقيت ولا من حيث الكمية . كانت تصل مركزنا الإدارى "أبوالعباس" أما نقلها إلينا فى الجبهة الشرقية " لاكان" وأخواتها، فكان مشكلة عسيرة لسبب أساسى هو فيضان ـ أو طوفان ـ أو نهرشمل .
إستنفذنا كل "رصيدنا الأدبى" فى سبيل إستعارة الذخائر من الجميع ، بما فيهم حقانى .
وكان الجميع فى حاجة إلى كل طلقة مسدس وليس "صاروخ كاتيوشا" فقط. وسوف نحكى عن ذلك ضمن أحداث المعركة، التى بدأت ومخزون الذخائر الإستراتيجى لدى حقانى يكاد لا يكفى لمعركة عادية، وليس إقتحام مدينة مكدسة بالقوات والأسلحة من كل نوع وصنف .
ولكننا وفينا بإلتزامنا للقاعدة . فقد استخدمنا ألف وأربعمئة صاروخ فى تلك المعركة أى أقل بمئة صاروخ عما حددته مع أبوحفص فى إتفاق لم يتم إحترامة.
فى أثناء المعركة أمدتنا إداريات القاعدة فى ميرانشاه بأطعمة لمركز أبوالعباس الذى كان تحت إدارة جماعة أبوالحارث . كما زودونا بالعديد من"المجاهدين الجوالين" وزودوا معسكر "ابو العباس" بجميع لوازمه الإدارية للتأثيث.
الأكثر جدوى فى كل مساعدات القاعدة "لمشروع المطار الجديد" كان تمويلها لمشروع الحفريات الموسع الذى قمنا به فى الجبهة الشرقية ، وقليل منه فى أحد مراكزناالسابقة فى عملية "المطار٩٠" .
فى البداية كنت أظن أننا يجب أن نعيد بناء قدرتنا النارية القديمة إضافة لقوة نيران أخرى للمطار الجديد . لكن ذلك ظهر أنه المستحيل السابع.
وإكتفينا بما هو ممكن بالفعل، أى قوة نيران متواضعة جدا للعمل ضد المطار الجديد بقوة راجمتى صواريخ فقط لا غير .
يمكننى الإدعاء هنا الآن أن برنامج الحفريات الموسع الذى قمنا به فى الجبهة الشرقية كان عماد تماسك تلك الجبهة الكارثية التى لم تكن سوى مشروع هزيمة من العيار الثقيل .
نضيف إلى ذلك عناصر تماسك أخرى ذكرناها سابقا وهى :
- يحى المصرى الذى أدار منفردا قوة نيران الخط الأول .
- الراجمة الفردية ومناوراتها الواسعة خاصة فى الأيام الأولى . بواسطة محب ا المغربى وأبوأنس الأردنى .
- الخدمات اللوجستيه التى قدمها "الجنرال غرزتور" بقيادة الشاب المقدام "أبوطارق التونسى" .

الخطوات الأولى نحو المعركة

بعد إنتهاء عمليتنا "المطار ٩٠"،توجهت إلى بشاور محاولا إقناع قيادات القاعدة بمطاردة المطار الجديد . ولكن لم أجد إستجابة تذكر من أصدقائى أبوحفص وأبوعبيدة (سلطان) .

بوصلة عمل القاعدة القاعدة متوجهة دوما حيث يوجد أبوعبدا (أسامة بن لادن) .
وكان الرجل محتجزا فى السعودية وممنوعا من السفر .
وكان الجو هنا متصاعد التوتر ، و"حرب تحرير الكويت" على وشك أن تبدأ .
وهو هناك يتجهز لمعركة عسكرية جمع لها ما أمكن من شباب وسلاح وتخطيطات لم نكن ندرى عنها شيئاً .
وكان أبوعبيدة كثير التردد عليه فى السعودية لتقديم المساعدة الممكنه وللتشاور بشأن أمور القاعدة التى مازال ثقلها الرئيسى معلقاً على هامش أفغانستان ، وتحديداً فى معسكرات التدريب فى خوست .
قدمت لصديقاى فى القاعدة دراسة بين يدى المعركة القادمة كما فعلت قبل عملية "المطار ٩٠" . بدأت فيها بموقف القضية الأفغانية دوليا وأقليميا وداخليا . ثم تطرقت إلى المعركة القادمة وطريقة العمل المقترحة والموقف فى الجبهة وأهمية العملية بالنسبة للموقف العام فى خوست وأفغانستان .**(أنظر الملحق فى آخر الكتاب)**
على عكس الدراسة السابقة ، لم يهتم أحد بما كتبته هذه المرة ـ وتقريبا لم يقرأ أحد غيرى تلك الدراسة.
كما ذكرت سابقا فإن من عملوا معى فى مشروع "المطار٩٠" على قدر إعجابهم بأداء العرب فى العملية ، ونتائجها على الأرض ، إلا أنهم إنصرفوا من الجبهة إنصرافا جنائزيا كأنهم فشلوا فى المعركة وخسروا الحرب كلها.
كان حزنهم كبيرا لأن المجاهدين الأفغان لم يستفيدوا من إغلاق المطار لمدة شهر وكان المشهور أن ذلك سيؤدى إلى سقوط خوست .
ثانيا ما شهدوه من تكاسل شبه متعمد وترك العدو يكمل عمله فى المطار الجديد بدون أى تدخل ـ تقريبا ـ من جانب المجاهدين.وقد كان مدفع واحدا أو دبابة واحدة كافيا لإيقاف المشروع وتدمير المعدات الصفراء اللون التى تعمل طول النهار ـ وكنا على إستعداد للقيام بالعملية لكن أحد لم يزودنا بما هو مطلوب ـ رغم تفاهته وقتها .
وكما هى العادة إشتدت الحرب النفسية فى بشاور على من شاركوا معنا فى العملية ، بدعوى أن الأفغان غير جادون لا فى الجهاد ولا فى إقامة دولة إسلامية ـ كانت تلك هى النغمة السائدة فى التوأم السيامى "القاعدة والجهاد المصرى" وتبناها تنظيمات الشام (سوريا) ، ثم تنظيمات الشمال الأفريقى الذى غمرت الجميع بالتكفير .
زاد الأمر سوءا إستشهاد "أبوالشهيد القطرى" الذى كان من أفضل الكوادر العاملين فى "مشروع المطار٩٠" وكنت أتوقع أن يكون من أعمدة المشروع الجديد، وقد إستشهد أثناء محاولة تفجير قذيفة هاون تالفة من مخلفات الحرب.
وكنا قد إحتفظنا بها فى مكان مهجور لتفجيرها عندما تسنح الفرصة ، وحتى لا يأخذها البدو من جامعى الشظايا ، فتودى بحياة بعضهم .
ولكنها أودت بحياة واحد من أفضل شبابنا وأنبلهم خلقاً أكثرهم شجاعة.

كان أبو الشهيد قد تولى قيادة مركز أبوالعباس بعد إنصرافى ، وإلى حين تصفية المركز، بعد أن إنتهت العملية التى كان "ابو العباس" قلبها النابض.
أثناء العملية(المطار ٩٠) ورغم خطورتها الإستثنائية إلا أننا لم نفقد فيها أى شخص لا شهيد ولا جريح ، ولكن تصفية المعسكر أفقدنا أهم كادر عندنا!!.
من المفارقات أن "أبوالشهيد" عبر ذات ليلة مظلمة من وسط حقل ألغام فى جبل الترصد ووصل إلينا بلا خدش ، وبدون أن يدرى حقيقة ما قام به.
أنها مفارقات الحرب المحزنة .
وها هو الشاب النبيل يحاول الحفاظ على حياة أطفال البدو من جامعى الشظايا حول معسكرنا ـ من خطر قذيفة هاون صدئة من عيار ٨٢ مليمتر .
ولكن القذيفة تصيبه بشظية فى جبهته فيلقى ربه بعد دقائق، حقاً.. ما أهون هذه الحياة
***
فى أول يوم من العام "١٩٩١" كنت فى ميرانشاة مع إبنى الأكبر وليد" ٢٠عاما" .
وبسرعة لحقت بى العائلة كاملة ـ ماعدا عبد الرحمن الذى كان الوحيد بينهم الذى كان مازال مرتبطاً بالتعليم فى مدرسة باكستانية .
سكنت أسرتى فى نفس منزلنا السابق ـ وأصبح لنا جيران هذه المرة .
فالبيت المجاور يسكنه حاليا مولوى "عزيزجان" مدير المدرسة الدينية "منبع الجهاد " وهو صديق قديم وعزيز ، وشخصية جهادية تاريخية .(توفى بالسرطان بعد ذلك بأعوام قليلة) .
حاجى أبراهيم ـ زميلى فى المجلة وفى العمليات ـ كان سعيدا للغاية أن نعود مرة أخرى إلى الجبهة فى مشروع جديد للمطار الجديد .
أبوالحارث كان جاهزا "لإحتلال " مركز أبوالعباس وإدارته بأفراد من جماعته .
إستعدنا سيارتنا القديمة المتهالكة من عند حقانى فى ميرانشاه، وتوجهنا فورا إلى مركزأبوالعباس . كان البدو قد إحتلوا جميع مغاراته وإتخذوها فندقا لهم ولأغنامهم.
وافقوا على المغادرة فى غضون ساعات ـ فهذه هى حياتهم ـ وكان المركز فى حاجة إلى أكثر من يوم لتنظيفه ، فقام شباب أبوالحارث بالمهمة خير قيام كعادتهم دوما فى المهام جميعا، سهلة كانت أم صعبة .
معسكرات القاعدة أمدتنا بالفرش وأدوات الطبخ ، ثم بقايا صواريخ "كاتيوشا" من فائض عمليتنا السابقة.
مالبث "أبوالعباس" أن صار أحد مراكز أبوالحارث ، وتولى هو إدارته وكانت بعض إداريات المركز تأتى من مقر جماعتهم الرئيسى فى غرب جبل تورغار .
كان الدفاع عن جبل "تورغار الصغير" عملهم الدفاعى الرئيسى فى خوست وقتها.
وكان ذلك مبعث إرتياح حقانى وباقى المجاهدين . فالجماعة أصحاب قوة وبأس، وشبح بيع الجبل قد إنتفى تماما، وهو الخطر الماثل بقوة منذ أن باع أحدهم تورغار عام "١٩٨٤" . وجبل "تورغارالصغير" هو مقدمة الدفاع عن "تورغارالكبير" الذى لا

يمكن للقوات الحكومية أن تهاجمه بدون التقدم من الأصغر فالأكبر .
على تورغار الكبير كان لجماعة أبوالحارث تواجد ملحوظ ، ويستخدمون من فوقه راجمة صواريخ فردية ، يقصفون بها مواقع حكومية متعددة ، وقد طوروا قاعدتها فصارت رمايتها أكثر دقة .
ومع ذلك لم تقم جماعة أبوالحارث بما كنت أتوقعة منهم بتحويل جبل تورغار إلى بارجة نيران حقيقية .
وقد كنت حزينا لتدهور القيمة التكتيكية لذلك الجبل بعدما إنتقل إلى أيدى المجاهدين .
كنت أتصور أن دبابة واحدة فوق الجبل ومجهزة هندسيا بشكل مناسب ، يمكنها تدمير كافة الأسلحة الرئسية للعدو فى خط دفاعه الأول الذى مازال يمثل مشكلة.
تلك الدبابة يمكنها أيضا النيل من مراكز العدو الحساسة التى مازالت فى العمق.
ضغطت كثيرا على حقانى وأبوالحارث لتوفير دبابة لهذا الغرض . وشرعنا بالفعل فى حفر موقع لها فى موضع متحكم فوق تورغار .
شاركنا فى المشروع "إبن عمر" وهو ضابط سابق فى سلاح الدبابات فى جيش "اليمن الجنوبى" . وهو من ذلك النوع من الشباب الذين تذكرك رؤيتهم بطاعة ا .
وافق "إبن عمر" على تجهيز الموقع وإستخدامه ضد دبابة العدو (التى حاولت جماعة القاعدة تدميرها).ومن الموقع الذى كنا نجهزه قال إبن عمر أنه يستطيع تدمير دبابة العدو من الطلقة الأولى أوالثانية على الأكثر .
وكنا نطالع دبابة العدو من موقع تورغار المرتفع . ونحن نجهز بالمتفجرات موقع دبابتنا الموعودة ، وكان حقانى قد وافق على المشروع وقال أنه سيزودنا بها بعد تجهيز الموقع (وعدنا فى الحقيقة بوضع ٣ دبابات تحت تصرفنا) ولكن ما أن صار الموقع جاهزا حتى بدأ العد العكسى لبدء العمليات وعندها لم يكن لأحد قدرة على سحب دبابة واحدة خارج البرنامج المقرر. وكانت الدبابات تابعة كلها لكتيبة "العمرى" التى يديرها أشقاء حقانى إبراهيم ثم خليل (الذى يرفض دوما تزويدنا بإبرة خياطة وليس دبابة).
عندما إنتقلنا إلى "الجبهة الشرقية" جاء معنا إبن عمر وقضيت معه أيام نتفحص الجبال والسهول شبرا شبرا .
لتحديد ملامح إستخدام محتمل للدبابات من جانبنا ضد العدو، وكانت إكتشافاتنا مذهلة.
وصاحبنا "إبن عمر" كان ذو خبرة وخيال خصب فى إستخدام سلاحه التخصصى.
تحمسنا كثيرا لأفكارنا الجديدة . سواء ما هو ضد المطار الجديد أو ماهو ضد مواقع العدو فى سهل خوست المواجه لنا ، أو مرابض مدفعية العدو خلف مطاره الجديد ، أو مخازن أسلحته السرية التى إكتشفناها مؤخرا ، ولا يعلم أحد عنها شيئا حيث أنها ظهرت فقط من منطقتنا الجديدة بعد صبر وجهد فى المتابعة .
***

طريق بين الأدغال

جنوب جبل تورغار ساحة واسعة جداً مليئة بالأعشاب والأشجار البرية. كانت كثيفة النباتات بشكل ملفت للنظر ربما لأن أحدا لا يجرؤ على إستخدام تلك المنطقة المحرمة ، التى زاد من وحشيتها كثافة الألغام التى بثها العدو بشكل مدروس ومنظم أحيانا وبشكل عشوائى أحيانا أخرى.

كانت أشبه بمناطق "السافانا" الأفريقية ، ولكن بدل من الحيوانات المفترسة يوجد هنا الألغام الحقيرة القاتلة التى تهون إلى جانبها أى ضوارى أفريقية .

القاعدة هنا أى كل شيئ ملغوم ، خاصة الأشياء الجميلة التى تجذب النظر ، أو الجاذبة لإهتمام شخص يجوب المنطقة ، مثل شجرة ظليلة أو بركه ماء صغيرة ، أو مدق ترابى قديم .

كان يجب إختراق تلك المنطقة وشق طريق خلالها حتى نحقق إتصالا بين مركز أبوالحارث ومركز أبوالعباس ، وبالتالى يتحقق إتصال ذو قيمة تكتيكية كبيرة بين (بورى خيل) ومناطق حيوية شرقا وشمالا مثل درواجى ولاكان ومناطق جنوبيه مثل (توده شنى) . إذن تكتمل شبكة حيوية بطرق هى الأقصر والأكثر أمنا فى المنطقة .

تحدثت مع أبوالحارث فى الفكرة ، فإستوعبها وتحمس لها، وشرعنا فى إجراءات التنفيذ. كان علينا أن نطارد ويصبر ذلك التراكتور الوحيد الذى يخدم المنطقة بأسرها. وهو مزود بسكين خاص لتسوية التربة ، وهو ما نحتاج إليه لتمهيد الطريق. وأخيراً حجزنا دورنا لإستلام التراكتور فى يوم محدد .

وكان علينا أن نستكشف الطريق الذى سيسلكه قبل أن يحضر إلينا، فهو ليس كاسحة ألغام ، وليس مهندس طرق . لابد أن نحدد له الطريق المطلوب ، والأهم أن نطمئنه أنه خال من الألغام .

كان المشاة القادمون إلينا من مركز أبوالحارث وما جاوره يسيرون على الحافة الصخرية للجبال ، متحاشين منطقة "السافانا" .

لا أحد يعرف شيئ عن طريقة توزيع الألغام فى "السافانا" . نحن إذن أمام خيار واحد لا غير : أن نسير فى المنطقة بأنفسنا، نختار الطريق المفترض و"نضمن" خلوه من الألغام !!.

سرت مع أبوالحارث فى منطقة "السافانا" عدة مئات من الأمتار ، نسبر الأرض بأعيننا ، وأحيانا بقطعة من خشب، كان وقتا عصيبا خاصة وأن كل التكنولوجيا التى نمتلكها لإكتشاف الألغام كانت مجرد قطعتين من الخشب. كتمنا مشاعر التوتر بتصنع اللامبالاة وبالضحكات أحيانا، حتى وصلنا إلى مدق للمشاة كان يستخدمه مجاهدو المنطقة . فحمدنا ا بأننا قد أنجزنا أهم فقرة فى إعداد الطريق .

ولم نلبث أن أحضرنا التراكتور ، ومجموعة من شباب مركز أبوالحارث لمساندته فى تلك المهمة التاريخية ، ولردم بعض الخنادق العميقة التى حفرتها الأمطار والسيول..وأخيرا صار لدينا طريقا عسكريا جديدا وإنقلابيا .

أول القيادات العسكرية مروراً فى الطريق كان مولوى "نظام الدين" نائب حقانى، الذى جاءنا متهلل الوجه يبارك لنا ذلك الطريق ويقول بأنه "مفيد جدا للمجاهدين" .ولكن لا هو ولانحن أدركنا ـ حتى تلك اللحظة ـ أنه سيكون مفيدا إلى هذا الحد الذى كان وقت تحويل محور الهجوم الرئيسى من بورى خيل إلى ماليزى .
(كان ذلك هو الطريق الثانى ، ذو الآهمية التكتيكية ، والذى شقه العرب فى خوست .
الأول كان "طريق أبوأنيس السريع " فى منطقة "توده شنى" عام ١٩٨٨ قبل إستشهاد "عبد الرحمن المصرى". ساهم الطريق فى إختصار وتأمين الطريق من بارى إلى توده شنى التى كانت مركزا هاما وقتها . أبوأنيس، من شباب الحجاز الممتازين ، وكان من شباب القاعدة وقتها.)

<u>الطريق الطويل إلى .. خرمتو</u>

بعد أسبوع أو أكثر من إنتقالنا إلى "أبوالعباس" تبين أن أموراً كثيرة قد تبدلت وأن عودة العمل ضد المطار القديم بالصورة السابقة أضحى مستحيلاً .
وليس أمامنا سوى العمل على مطار واحد هو المطار الجديد .
وحتى هذا ظهر أنه أمر صعب جدا ومحفوف بالمخاطر . فجميع الوحدات التى أرسلها حقانى إلى الجبهة الشرقية ، سريعا ما عادت وهى تشكو وتتذمر .
ذهب جولاب ومجموعته من البدو وسريعا ماراجعوا من هناك ، وتلك هى أفضل مجموعة قتالية فى خوست ، وربما فى كل أفغانستان .
وقبله ذهب مجبور ـ من كتيبة (غوند) أبوجندل ـ ومعه مدفعى هاون غرناى ثم رجع . وتلاه إبراهيم شقيق حقانى ـ قائد "غوند" العمرى ـ ومعه مدفعى هاون غرناى ثم رجع . لم يبقى سوانا !! . ومن نحن ؟؟ .
من قدماء مشروع "المطار٩٠ " كان معى حاجى إبراهيم الأفغانى ، وأبوتميم الذى هو معنا بشكل مضطرب فى إنتظار بدء أى عملية أرضية حتى ينضم إليها أى أنه ليس معنا فى حقيقة الأمر .
ثم أبوالحارث الذى أصبح ضيف شرف في مجموعته الذى أسسها وتبتعد عنه واقعيا.
ومن أجل صداقتنا يستنزف كل رصيده الأدبى فى المجموعة كي يستخلص لنا بعض أفرادها . وحتى هؤلاء غير مضمونى البقاء فى المشروع إذا بدأت أى عمليات أرضية ، فمن يمكنه كبح جماحهم حتى يستمرون فى عمية مدفعية أو فى الأغلب مجرد عمليات إمداد لمواقع مدفعية !! .
ما حول "أبوالعباس" أصبح خاليا.. منطقة "دزجات ستان" أضحت منطقة أشباح.
الجميع رحلوا بعد ما رحل المطار القديم .
كابوس يجثم على صدرى : ماذا لو عاد العدو لإستخدام المطار القديم فجأة ؟؟ .
يمكنه المناورة بحرية بين المطارين ، وهذا أفضل له ، وأصعب علينا.
نحن فى حاجة إلى شهرين حتى نعيد بناء قوة نيران معقولة للعمل ضد المطار القديم أما لبناء قوة نيران تعمل فى وقت واحد ضد المطارين فنحتاج إلى معجزة مستحيلة التحقيق ، فأيدينا خالية بكل معنى الكلمة، ولا نملك سوى مجرد تصورات !! .

كنت أتابع مع حقانى تطورات الموقف العام وتطورات مشروعنا والمشاكل الكثيرة التى تعترضه . فطلب منى مقابلة "وزير" قائد مجموعة البدو التابعين لحزب "السيد أحمد جيلانى" . وكان لنا علاقة قديمة معه منذ عام ١٩٨٨ ولكنها إنقطعت بعد إستشهاد صديقى عبد الرحمن .
أخبرنى حقانى أن حكومة باكستان تزود "وزير" بالصواريخ حتى يعمل ضد المطار الجديد . أثار ذلك إرتيابى وزاد من فضولى فى مقابلة وزير والحديث معه.
لم أصارح حقانى بشكوكى، فكنت أعرف أنه يرفض معظمها ، وإن كانت علاقته مع الباكستانين قد توترت بشكل متصاعد منذ مصرع ضياء الحق وعزل "حميد جول" قائد الإستخبارات . وكنت أعلم أن علاقته مع مدير الإستخبارات الجديد " أسد دورانى" متوترة بشكل خاص . فقد "إستدعاه" دورانى بشكل غير لائق فرفض حقانى الذهاب إليه قائلا لزبانية الإستدعاء: "إن كان درانى يريدنى فليأت هو إلى مقابلتى بعد تحديد موعد مسبق". مرت الأزمة ولكن ظل الجمر متقداً تحت الرماد .
أخبرنى حقانى أن العمليات القادمة ستكون كبيرة ـ ولكنه لم يحدد الهدف منها ـ وقال أنه يعتمد على "وزير" وجماعته فى التصدى للمطار الجديد ، ويريد منى أن أرتب العمل كله بنفس الطريقة السابقة فى" المطارالقديم" .
***
بعد رحلة ممتعة عبر منطقة "خارصين " التى كانت إكتشافاً جديداً بالنسبة لى، وصلنا فى سيارتنا القديمة إلى مركز القائد "وزير" قبل المغرب بقليل .
كانى معى "حاجى إبراهيم " و"أبو تميم" .
وجدنا المركز يعج بالنشاط ، وعشرات من البدو الأصحاء ينقلون أكداساً كبيرة من صواريخ الكاتيوشا الجديدة داخل صناديقها الخشبية.
كانت المعنويات مرتفعة للغاية ، خاصة "الكومندان وزير" الذى قابلنا بإبتسامة عريضة وترحاب واضح وإنشراح كبير، وكل ذلك ليس من عادة البدو غالبا ، إلا فى المناسبات الخاصة.
"وزير" أخبرنا بصراحة تلقائية وبدون أن نسأل ، بأن تلك الصواريخ الجديدة زودته بها حكومة باكستان كى يعمل بها ضد المطار الجديد .
سلمناه رسالة خطية من حقانى ـ وفيها أننا مكلفون بالعمل ضد "المطار الجديد" ويرجوه التعاون والتنسيق معنا نظرا لسابقتنا الناجحة فى "المطار القديم" .
قرأ "وزير" الرسالة وأعاد الترحيب بنا وسألنا عما نريد أن نفعله .
فشرحنا له النقاط الرئيسية فى العمل ضد المطار بشكل مركز على هيئة نقاط .
وكلما أوضحنا نقطة ، رد علينا بحماس وبإبتسامة عريضة بأن هذا بالضبط ما قرر فعله وأتفق عليه مع "حقانى" .
شعرنا أن الرجل سحب البساط كله من تحت أقدامنا ، فهو يعرف كل ما نعرفه ويمتلك من الوسائل مالا نحلم بإمتلاك جزء يسير منه .

ليس لدينا شيئ سوى حفنة من الصواريخ ،وأفراد ثابتون أقل من أصابع اليد الواحدة.
فسألت إبراهيم وتميم إذا كان أحدهم يود أن يضيف شيئا قبل أن ننصرف ، فقالا بأن لا شيئ لديهم .. فاستأذنا وأنصرفنا .
بعد فترة من الصمت ونحن سائرون فى المجاهل صوب "توده شنى" قلت لزميلاى ، أنه ليس من المهم أن نشارك نحن فى العملية مادام هناك من يمكنه القيام بها .
وافقانى على مضض ، فكلاهما يشعر أن هناك شيئا ما غير صحيح . أما أنا فكنت على ثقة فى أعماقى نفسى أن الذخائر الضخمة التى شاهدناها وتلك التى فى المخازن ولم نشاهدها، هى (ثمن الخيانة) أى ثمن ألا يشارك وزير فى ضرب المطار . بينما يعتمد المجاهدون فى خطتهم على "وزير" فى إغلاق المطار يكون وزير إنسحب من المعركة تاركا "المطار" كى يستجاب من كابول كل مستلزمات النصر فى المعركة القادمة .
إجتمعنا مع حقانى مرة أخرى وأخبرناه عن "النتائج الوردية" لمقابلتنا مع وزير ولكنه نفى أن يكون قد أتفق معه على تفاصيل العمل التى ذكرناها .
فتأكد لدى أن هناك "مؤامرة باكستانية" للإبقاء على المطار الجديد مفتوحا وإفشال المعركة القادمة ، أو على الأقل جعلها معركة محدودة لا تؤدى إلى فتح المدينة .
زاد حماسى للمشروع ، ونجحت فى نقل جزء من ذلك الحماس إلى صديقى "أبوحفص" فى القاعدة ، فإنبسطت أيديهم معنا ـ قليلا ـ ووصلنا عدد من الأشخاص وكمية من الصواريخ ، فتحسن وضعنا نسبياً، وأصبحت على ثقة من أننا فى معركة المطار الجديد لسنا منفردين . ولكن أكثر تخوفنا وحذرنا من أننا قد نتلقى ضربة مباشرة إلى أشخاصا داخل الجبهة أو خارجها ـ خاصة فى ميرانشاة .
وأثبتت الأحداث صحة تلك التخوفات .
***

بطولات الحاج محمد أفريدى

فى منطقة ماليزى كان البدو من جماعة جولاب يشغلون الخط الأول الذى كان على مسافة قريبة جدا من جبال الخط الأول للعدو . وكانت الإشتباكات متقطعة بالأسلحة الخفيفة والمتوسطة والهاونات .
كان مكانا خطراً . صديقنا القديم "الحاج محمد أفريدى" الذى تعرفنا عليه فى عمليتنا السابقة "المطار القديم " كان نجما ساطعا فى الخط الأول .
ونجح فى تثبيت مدفعه "الدوشكا" وإلى جانبه العلم الأبيض وخاض جولات مشهودة ضد العدو ، إختلطت فيها صليات الرشاشات مع صليات الشتائم المهينة التى يصبها جنود العدو غير المهذبين على بطلنا الشاب . الذى كان يتهددهم بالذبح مثل النعاج فى القريب العاجل .

خلف جبل الخط الأول ساحة واسعة يخترقها مجرى سيل جاف وعميق إتخذه البدو"مقرا إداريا" حفروا فيه مغارات للراحة والنوم والمخازن. وعلى حافته وضعوا راجمة صواريخ بجوارها حفر عديدة للذخائر والطعام .
كتب حقانى رسالة إلى جولاب كى يسلمنا الراجمة ، وأن يسمح لطاقم من عندنا بإستخدامها من نفس موقعها ضد المطار الجديد .
وافق البدو بترحاب خاصة وأننا أوضحنا لهم أننا سنستخدم الراجمة ليلا فقط ضد المطار ، أما أثناء النهار فيمكنهم إستخدامها إذا إحتاجوا إليها فى عملياتهم ، بشرط أن لا يستخدموا شيئ من ذخائرنا فوافقوا بروح رياضية .
لم نكن نعلم وقتها ، وربما أن حقانى لم يكن قد قرر بعد ، أن تبدأ حملة تحرير خوست من ذلك المكان الذى يشغله البدو ، وعلى أيديهم .
عندما قرر حقانى وتحددت ساعة الصفر للهجوم على جبال العدو وخط دفاعه الأول فى ماليزى، كان الأمر غاية السرية ولم يعلم به سوى أفراد قلائل . فقط فى اليوم السابق للعملية كان رجال البدو فى ماليزى قد علموا بتفاصيل ما هو مطلوب .
العدو كان على أتم الإستعداد .. ولكن جهة الغرب من تورغار ، أما ماليزى وغيرها فكانت فى إطمئنان تام .
هذا لولا ملاسنة بالشتائم والرشاشات خاضها العدو ضد "الحاج محمد أفريدى " ويبدو أن عناصر العدو كانوا يستمتعون بذلك الروتين القتالى مع الشاب البدوى المتحمس لدرجة الجنون . فكان يشتمونه على جهاز المخابرة ويصفونه "بالبدوى الأحمق" .
كالعادة كان البدوى يهددهم بالذبح فى القريب العاجل ، فيضحكون منه .
ولكنه هذه المرة كان أكثر تحديدا ، فبعد السباب التقليدى أخبرهم البدوى الفصيح أنه قادم إليهم فى الرابعة من صباح فجر الغد ويطالبهم بالإنتظار وعدم الهروب .
ضحك ضباط العدو وأغرقوا فى الضحك ، ولكنهم ندموا كثيرا فى صباح الغد، فقد كان التهديد دقيقا بدرجة مميتة .
ولحسن حظ المجاهدين أن العدو لم يأخذ ذلك التهديد مأخذ الجد فاربما تغير تاريخ أفغانستان المعاصر .
إذن مركز ماليزى وراجمة البدو كانت أول خطوة عملية لنا فى المشروع الجديد.
خلف مركز البدو بحوالى ثلاثمئة متر كانت سلسلة منخفضة من التلال إتخذ فيها مركز مجبور موقعا جديدا ليكونوا أكثر قربا من منطقة لاكان التى حاولوا العمل فيها ضد المطار الجديد ولكنهم فشلوا فى الإستمرار . فاستعرنا منهم مغارة ذات بوابة حديدية لتكون مركزا لتخزين الصواريخ لعمليتنا القادمة،خاصة لراجمتنا فى ماليزى.
فى الجبهة الشرقية كان التحدى الأكبر فالمنطقة مكشوفة تماما .. والمشهور أن هناك إتفاقا سريا بين "المجموعات الجهادية" هناك وبين العدو فى ميثاق عدم إعتداء (على أقل تقدير). أى ألا تستخدم منطقتهم لإيذاء العدو ، الذى لن يتعرض لهم فى المقابل .

فى المنطقة لا توجد مغارة واحدة ولا خندق واحد سوى الخنادق والحفر التى كانت تستخدمها القوات الحكومية ، وجميعها مكشوفة من جهة المدينة ، أى لا تصلح لإستخدم المجاهدين .
بدأنا بأقصى طاقتنا فى حفر ثمانية مغارات دفعة واحدة . أربعة منها لاستخداماتنا وأربعة لمجموعات"المجاهدين" فى الخط الأول. وكانوا قد طالبونا بحفر مغارات لهم عندما شاهدوا العمل عندنا . ورحبنا بحالة الحماس الذى رافقت ذلك العمل.
كان ذلك الخط فقيرا جدا فى الرجال والمعدات. فهناك أربع مجموعات لأربعة تنظيمات مختلفة وإن كانوا جميعا من أهل المنطقة .
أحد هذه المواقع يشغله شيخ فى حوالى السبعين معه خمسة من أحفاده دون السادسة عشر من عمرهم . مواقع أخرى عدد أفرادها لا تزيد عن خمسة أفراد.
الجميع مسلحون بأسلحة خفيفة وهناك هاون واحد ومدفع واحد عديم الإرتداد .
بعد جولة سريعة فى ذلك الخط أيقنت أنهم سوف يفرون فى أول فرصة تتاح لهم .
أو أنهم سينقضون علينا إذا هزمنا العدو .
قيادات المنطقة كانت سيئة جدا ، لكننا قابلنا الكثير من المجاهدين وسكان المنطقة وكانوا من الطيبين الشجعان ، مثل أغلب سكان الجبال ، وقد عاملونا بترحاب ومودة.
من المفاجآت الحسنة أن قابلت هناك "الضابط كمال" وقد ورد معنا ذكره فى أحداث ليجاه عام ١٩٨٢ ــ وقد تحول إلى حزب حكمتيار ، وظل شقيقه الأصغر ، وكان من القلائل الجيدين ، ضمن جماعة حقانى. كان والدهما ــ عبد القيوم خان ــ من أعيان منطقة لاكان وأغنيائها المعدودين وهو شخصية جهادية تاريخية فى المنطقة ، لكونه أول من أصطدم بالسلاح فى الشيوعيين فى خوست عند بدايه عهدهم المتغرطس والدموى عام ١٩٧٨ .
عند وصولنا إلى منطقة لاكان وقبل أن نعبر نهر شمل كان منزل عائلة عبد القيوم أول مراكزنا للإستراحة وتناول الطعام الذى كان دوما من نوعية جيدة ، مع إستقبال حميم من رجال الأسرة ومجاهديها .
ما أن نعبر نهر شمل ونصبح فى الجبهة الشرقية حتى ننحرف مئة متر إلى اليسار حيث أحد البيوت المهجورة التى أتخذها المجاهدون قاعدة إدارية لهم ، سمحوا لنا بإستخدامها عندما وصلنا البيت ليلا.
لم ألاحظ أن أحدا يحرس المكان ، لقد تركوا المهمة لجرو صغير جداً فى حجم الكف وما أن دخلنا حديقة البيت حتى وجدته قد إلتصق بقدمى يريد أن ينهشها.
لم أكن متعودا على الكلاب ومزاحهم الثقيل لذا هممت أن أوجه رفسة إلى هذا الجرو التافه فأطيح به عند العدو فى هضبة متون .
وما أن تهيأت لفعل ذلك ، حتى سمعت زمجرة ، ولمحت على بعد خطوات قليلة إلى اليمين وفى الظلام كلبة مهولة فى حجم أسد كبير تربض فى وضع الإستعداد، فقد كانت تلك السيدة هى والدة الأستاذ الجرو العزيز.

فإعتدلت فى وقفتى وإبتسمت بنفاق للجرو اللطيف ، وصرت من ليلتها من محبى الكلاب وأنصار حقوق الحيوان .
أطلقت على هذا الجرو المفترس إسم "نصف نعل" وصار ذلك إسما لمقرنا الإدارى الجديد، نستخدمه للتمويه عند الحديث على المخابرة .
****

جيش وردك للحفريات

حقيقة كانوا جيشاً عظيم الأهمية ـ وقلما أنتبه أحد إلى خطورة دور هؤلاء الشباب الفقراء على المستويين التكتيكي والإستراتيجى.
سبق وأن تحدثنا فى مواضيع أخرى عن"شركات " الحفريات التى شكلها شباب من ولاية وردك (غرب كابول) . ولما كانت خوست هى ذروة العمل العسكرى فى أفغانستان ، فقد توجه إلى هناك عشرات من الشباب الذين تربطهم وشائج القربى والجيرة ، كى يعملوا معا فى سلسلة "شركات" لحفر المغارات فى جبال خوست .
القصف الهستيرى بالطائرات وصواريخ سكود ، أقنع المجاهدين تماما أن لا مجال لأى عنتريات ، وأن العمل وفق " الأصول" هو خير سبيل لتجنب الأبادة بل ولتحقيق النصر .
لقد أدركوا بالتجربة الطويلة ، والفطرة القتالية المرهفة صحة الحكمة الصينية القائلة:
{{عندما تكون قويا إنقض من أعلى مثل العقاب، وعندما تكون ضعيفا أحفر عميقا فى باطن الأرض}} .
الرئيس نجيب ا "كان ممن قدروا الدور الخطير" لجيش وردك" الذى منحهم لقب "الفئران أولاد الفئران" ، متهماً إياهم بإفشال المجهود الجوى لقواته ، وبالتالى نجاح المجاهدين فى قضم المواقع الحكومية حتى ضاقت الأرض بقواته فى خوست .
ثم وعدهم "نجيب" بإجزال العطاء لهم إن هم تركوا خوست وحضروا إلى كابول .
كان الوقت قد تأخر كثيرا ، فلا أحد يثق فى النظام ، ولا مدينة خوست قادرة على الصمود أكثر من ذلك ، فالهجوم النهائى على وشك أن يبدأ .
قدمنا تسهيلات كبيرة لرجال الحفريات حتى ينجزوا أعمالنا فى الجبهة الشرقية بأسرع ما يمكن . فقد كنا فى سباق محموم مع الوقت .
واشترينا لهم كافة مستلزماتهم ، ووعدناهم بترك كل ما إشتريناه من معدات هدية لهم بعد إنجاز العمل .
لقد إنجزوا المطلوب في وقته المحدد ، وكانوا سعداء بما قدمناه من أجر وهدايا ، فكانوا يعطون أعمالنا أولوية مطلقة .
فى مواضعنا القديمة "للمطار٩٠" حفروا لنا مغارة جديدة فى موقع الراجمة رقم٥ (مركز أبوالأهوال) إحتياطا لإحتمال عودتنا إليه ،إذا إستدعى الأمر، للعمل ضد المطار القديم مرة أخرى . ولكن لحسن الحظ أن ذلك لم يحدث أبداً.

ولحسن الحظ أيضا أنه لم تحدث فتنة بين العرب والبدو بسبب تلك المغارة . فقد كان شابا عربيا ـ من القاعدة ـ يتابع عملية الحفر هناك عندما جاء صبى من البدو ليرعى قطيعا من الأغنام فوق هضبة قريبة ، وكان يعزف لأغنامة عن مزمار معه. طلب منه العربى التوقف عن العزف لأن ذلك "حرام". البدوى لم يفهم ما يريده العربى فواصل العزف . صاحبنا العربى جن جنونه وكاد يطلق النار على البدوى ، لولا وصولنا فى الوقت المناسب ولما عرفنا منه المشكلة ، نقلناه إلى مكان آخر بعيداً عن المزمار ، وحتى لا يتحول مسار الأحداث فى خوست من عملية إقتحام لفتح المدينة إلى عملية إطفاء لفتنة عمياء بين العرب وبدو المنطقة .

حقانى قبل المعركة

تلقى حقانى كمية من الصدمات القاسية فى العام "١٩٩٠".

بعض تلك الضربات كانت على المستوى العائلى الحميم .

بدأت بفقده أخاه أسماعيل ، أحد إشقائه الثلاثة ، وكان شخصية محورية لحماية منطقة زدران والعمل ضد عاصمة الولاية "جرديز". فأتاح ذلك فرصة لحقانى نفسه أن يركز عمله فى منطقة خوست بدون أن يخشى طعنة خطيرة تأتى من جرديز أو زدران حيث ثقله القبلى والبشرى .

تلى ذلك وفاة والدته التى كانت عماد الأسرة وملاكها الحارس . بل كانت كذلك بالنسبة لجميع الأسر فى منطقة المهاجرين التى يعيش فيها حقانى فى ميرانشاة .

فكانت القوة الروحية الملهمة بالأمل والشجاعة لجميع المجاهدين الذين ينطلقون من ذلك الحى صوب جبهات القتال فى شكل جماعى أو منفرد .

كانت المربى والمؤدب لجميع أطفال الأسرة والحى ، ولجميع النساء فهى تحل المشاكل وتضبط التوترات الداخلية ، بحزم ورقة الأم العطوف.

كانت خسارة حقانى لشقيقه إسماعيل ووالدته الكبيرة خسارة فادحة حقا. وكانت كذلك بالنسبة للكثير جداً من الأسر والرجال المجاهدين .

لم يلبث إبراهيم ـ الشقيق الثانى لحقانى ـ أن تفاقمت حالته الصحية بعد الوفاة المتتابعة لإسماعيل والأم الكبيرة . فأخذ يتقيأ دما فنقلوه بسرعة إلى المستشفى العسكرى فى روالبندى .

لم يتبق إذن مع حقانى من قوته العائلية الضاربة سوى شقيقه الأصغر "خليل " . ولكن الأخ الأصغر يبقى دائما "أخا أصغر". ولكن خليل تجاوز جميع التوقعات فى معركة خوست ثم فى معركة جرديز التى تلتها بعد ذلك بعدة أشهر . لقد كان جيشا كاملا يدعى "خليل" واستحق بجدارة وصفا جديدا منحناه إياه حين قلنا متعجبين من أدائه: " لا يفل الحديد إلا خليل" .

هكذا كان خليل بدون أى مبالغة . بل بكل تواضع أيضا . وعندما علم "إبراهيم" أن معارك خوست الحاسمة أصبحت على الأبواب قطع علاجه وحضر إلى ساحة المعارك ، ليكون مع أخاه خليل أعظم ثنائى شهدته معارك خوست .

تجار ميرانشاة بدأوا يشكلون أدارة ضغط خطيرة على أعصاب حقانى . فهم الآن لا يتذمرون ، بل يهددون . فحصار المدينة ومطاردة عمليات التهريب، يهدد مصالحهم التجارية الهائلة القائمةعلى تهريب النفط والسلع الغذائية للمدينة المحاصرة وبدون حياء قالوا لحقانى أنهم إستثمروا ثرواتهم كلها فى شراء تلك السلع ، ومنع التهريب سيؤدى إلى إفلاسهم ، وأنهم لن يسكتوا حتى يشاهدوا بيوتهم وهى مخربة، بل سيتحركون ضده !! .

التجار الذين يقرضون حقانى السلع الغذائية والنفط وحتى السيولة النقدية ، بدأوا يتذمرون ، بل ويهددون ـ إن حدود الإئتمان المسموح بها لهذا القائد الكبير قد تجاوزت حد المعقول . وبدأوا يطالبون بالسداد لأنهم بصراحة بدأوا يشككون فى إمكان ذلك بعد إنحسار التأييد الحكومى الباكستانى ، والعداء الدولى للمجاهدين وللعمل العسكرى فى أفغانستان .

المخابرات العسكرية (آى إس آى) بدأت هى الأخرى عهدا جديدا من العداء المكتوم على مستوى القيادة العليا خاصة رئيسها "دورانى" الذى رفض حقانى إستدعاء وجهه إليه .

" الجنرال إمام" الذى رافق المجاهدين معظم الفترة الماضية ، تم تغييره بوجوه جديدة ناعمة ومريبة . بعكس "إمام" الخشن الملتحى الذى يقابل المجاهدين بالوجه المتدين الملتزم ، ويحتفظ بالوجه الآخر ـ الحقيقى ـ للأمريكان ورؤسائه فى روالبندى وإسلام آباد .

معونات الأسلحة والذخائر توقفت فعليا ـ إلا القليل من الذخائر التى تبقى على" شعرة معاوية " سليمة تحسباً لتقلبات الزمان .

ظروف حقانى القاسية ، ربما أغرته بالركون إلى نوع من الأمنيات الخادعة . فهناك "عميلا " له فى المدينة أوهمه أن المعدات المتوفرة لدى سلطات خوست لا تصلح لإتمام المطار ، سوى لطائرات خفيفة جداً مثل الطائرات الرياضية .

وكانت خدعة سيئة أدت إلى إطالة أمد المعركة سته أشهر أخرى .

وتأجيل سقوط المدينة من عام"٩٠" إلى العام"٩١" .

ـ أمنية أخرى بأن الخط الدفاعى الأول عن المدينة سوف يستسلم بدفع الأموال . فدفع عدة ملايين لكن الخبر تسرب ، كما هى العادة دوما ، فأحبطت الحكومة المحاولة وتدخل الطيران مع المدفعية ساعة التنفيذ، فقتل العديد من الضباط وفر آخرون إلى المجاهدين ، وفشلت المحاولة .وكان خط الدفاع المرشح للتسليم هو الخط الجنوبى على إمتداد تورغار إلى جهة الشرق . وسوف نرى كيف إستولى عليه المجاهدون فى معارك الفتح . وكيف أنه كان ركيزة الزحف صوب مركز المدينة .

الطعنات القريبة أكثر إيلاما . ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى توجه أحزاب بشاور "الجهادية" طعناتها لحقانى ، ولعديدين غيره من قيادات الداخل الناجحين .
لم يصرح حقانى لأى كان بأنه ينوى إقتحام المدينة ، بل أعلن أنه ينوى شن هجمات كبيرة عليها (ولكنه قبل العمليات بحوالى أسبوعين همس لى بأنه ينوى فعلا إقتحام المدينة) .
قبل عمليات بهذا الشكل يخوض حقانى بكل صبر وسعة صدر مفاوضات موسعة مع قادة المجموعات حول خوست ، تتناول المفاوضات كل ما يتعلق بالمعركة القادمة وطرق التعاون وتحديد المهام وطريقة توزيع الغنائم .. الخ .
كل ذلك يتم بناء على العلاقات الشخصية والقبلية بعيدا عن بشاور وأحزابها .
بعد إتمام كل ذلك أو معظمه شعرت قيادات بشاور "بالمؤامرة" فأرسلوا تهديدات شديدة اللهجة بالطرد والحرمان وكل العقوبات الممكنة ضد كل من يساهم فى المعركة القادمة أو يتعاون مع حقانى فى أى شيئ !! .
إنسحب القادة الميدانيون فى إتفاقهم الذى أبرموه مع حقانى . وذهب أحدهم إلى بشاور لمراجعة قائده الأعلى هناك (سياف) .
ولكنه سمع نفس الكلام بلهجة أشد . ومن هناك إتصل مع حقانى تلفونيا معربا عن أسفه وإنسحابه من أى إتفاق سبق إبرامه .
كان حقانى فى أشد الثورة وقتها . ولكنه بقدرته الفائقة على كبح مشاعره تمالك نفسه ، ولم ينجر إلى مهاترات أو معارك ثانوية مع أى أحد وظل محافظا على هدفه الرئيسى ـ فتح خوست . وتلك ميزة أخرى من مزاياه الكبيرة .

الذين إنسحبوا من الإتفاق مع حقانى ، لم ينسحبوا من مواقعهم، فالذى يحدث عادة بالنسبة للمجموعات التى لا تشارك فى المعارك هو إتخاذ موقف "التربص" تمهيدا للإنقضاض على غنائم المعركة .
فإن فاز "المجاهدون" كان "المتربصون" هم الأسبق إلى مواضع الغنائم الدسمة . لأن "المجاهد" يتحرك وفقاً لضرورات المعركة ومتطلباتها التكتيكية أما "المتربص" فعينه دوما على مواضع الغنائم ينقض عليها فوراً . وكانت تلك القاعدة صحيحة طول مدة الجهاد .
وأثناء إشتعال المعارك يتمكن المتربصون من إصطياد أى غنيمة طارئة حتى ولو من إخوانهم المجاهدين ، وهذا من التصرفات المعتادة . وإذا فاز المجاهدون أو فازت "الحكومة " فإن للمتربصين أوراقا يمكن الإعتماد عليها مع كلا الفريقين .
إذن "فالمتربص" فائز على جميع الوجوه ، ومنتصر دوما ولكن بلا حرب (على طريقة الرئيس الأمريكى نيكسون).

****

عمليات فتح خوست

الإثنين أول رمضان ١٤١١ ـ (١٧ مارس ١٩٩١)

فى هذا اليوم بدأت عمليات "فتح خوست" . كان يمكن أن يبدأ حقانى العمليات قبل ذلك بعدة أيام بعد أن صار كل شيئ جاهزا، ولكنه فضل الإستفادة من الأجواء الروحانية فى شهر رمضان ، حيث تكون معنويات المجاهدين فى أعلى درجاتها .

منذ عدة أشهر والمجاهدون ـ والعدو أيضا ـ يتوقعون هجوما رئيسيا ينطلق من الطرف الغربى لجبل تورغار ـ وأستعد الجميع لذلك إستعدادا كبيرا ـ المجاهدون والعدو معاـ حتى أن العدو إستدعى قوات خاصة عالية التدريب ومزودة بصواريخ سلكيه حديثة سوفيتية الصنع مضادة للدبابات. وحشد عددا كبيرا من قواذف الصواريخ المضادة للدبابات . هذا إضافة إلى الحشد المدفعى على هذا المحور تحديدا وظهر كل ذلك جليا بعد أيام من بدء المعركة .

فى ماليزى كان البدو متواجدين منذ عدة أشهر فى خطين :

الأول سلسلة جبال على بعد أمتار من الخط الأول الجبلى للعدو.

والثانى خط إسناد خلفى على بعد نصف كيلومتر خاف مجموعة تباب منخفضة لكنها توفر مواضع ممتازة للأفراد والهاونات .

العيب الكبير فى ماليزى كلها كان عدم توفر الماء ، فكان البدو يرسلون سيارتهم إلى قرية "لاكان" للتزود بالماء من نهر شمل هناك .

الطريق كان طويلا وصعبا عند المطر وخطر أحيانا . قدرنا وقتها أنه إذا إشتدت العمليات وتعذر تزويد مراكز البدو بالماء فقد ينسحبون من المنطقة فتكون كارثة .

فقررنا حفر بئر ماء لهم على نفقتنا . وشرعت إحدى شركات "وردك للحفريات " فى العمل بهمة . ولكن وصل الحفر إلى عشرين مترا ولم يعثروا على الماء وبدأت المعارك، وبسرعة وصل البدو إلى نهر شمل من مناطق قريبة منهم فى ماليزى .

فى الرابعة من فجر هذا اليوم تحركت قوة مشتركة من البدو (الكوتشى) من جماعة جولاب ، ومجموعة أخرى من كتيبة (غوند) أبو جندل. والهدف كان الإستيلاء على جبال ماليزى.

كان الجو باردا ممطرا ، وتم الهجوم بدون تمهيد مدفعى . وفوجئ العدو بالمجاهدين فوق رأسه ، ففر جنوده لايلوون على شيئ . وبهذه السهولة سقطت جبال ماليزى.

غادر الكوتشى الجبل وتولى رجال أبو جندل حمايتة .

عند الظهر فى هجوم صاخب ساندته المدفعية والطيران إستعاد جنود الحكومة الجبل فى هجوم كاسح ، فعصفت بالمجاهدون حالة معنوية سيئة.

إنتقل حقانى بسرعة إلى ماليزى واجتمع بالمجاهدين وقادة المجموعات وكان حازما فى كلامه : " فى هذه المعركة غير مسموح بالتراجع عن أى موقع يتم تحريرة " . وقال حقانى أنه باق فى ماليزى إلى أن تتم إستعادة سلسلة الجبال المفقودة .

وقد كان ...

الثلاثاء ٢ رمضان ١٤١١ـ (١٨مارس١٩٩١)

عند الفجر تحركت جماعة الكوتشى مرة أخرى صوب قمم جبال ماليزى .

كان الضباب كثيفا للغاية والمطر يهطل برفق . وصلوا بالفعل إلى القمة ومن هناك إتصلوا بحقانى : نحن الآن قرب قمة الجبل.. نرى أشباحاً تتحرك ،.. لا ندرى هل هم من إخواننا إم من عسكر الحكومة ؟؟ .. هل نواصل ؟؟.

طلب منهم حقانى مواصلة العمل والإستيلاء على المواقع وعدم إطلاق النارإلا عند التأكد من الهدف .

عندما بدأ عساكر الحكومة فى الفرار من الجبهة الأخرى من الجبل إنكشفت هويتهم فأطلق البدو النار عليهم من الخلف .

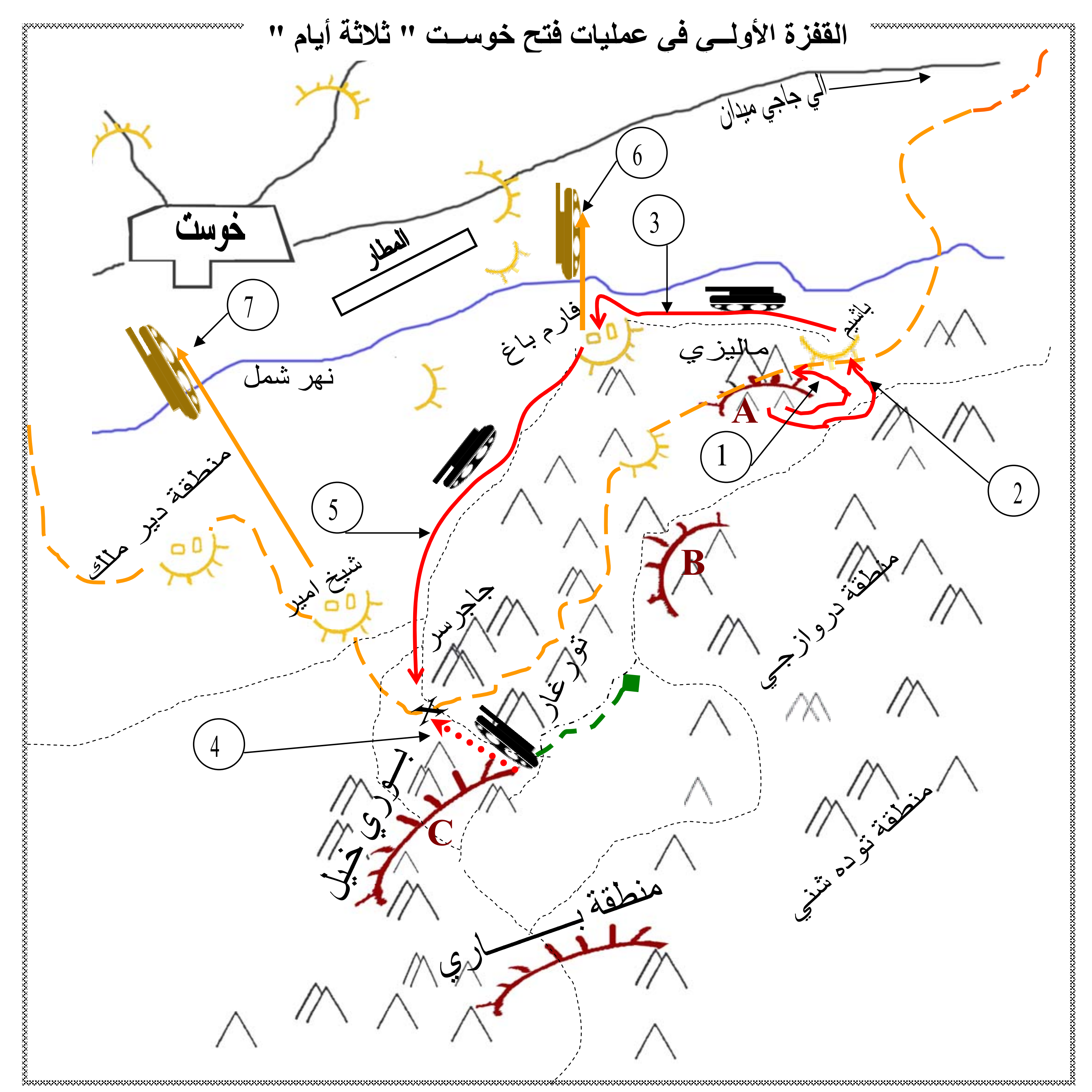
قبل الظهر إنقشع الضباب وأصبحت الرؤية ممكنة . فتمكن العدو من تصويب رشاشاته الثقيلة ونيران دبابة من حصن باشيم (بمعنى جاهزون) ، على جبل ماليزى من الخاف ، وعلى الطريق الواصل إليه .

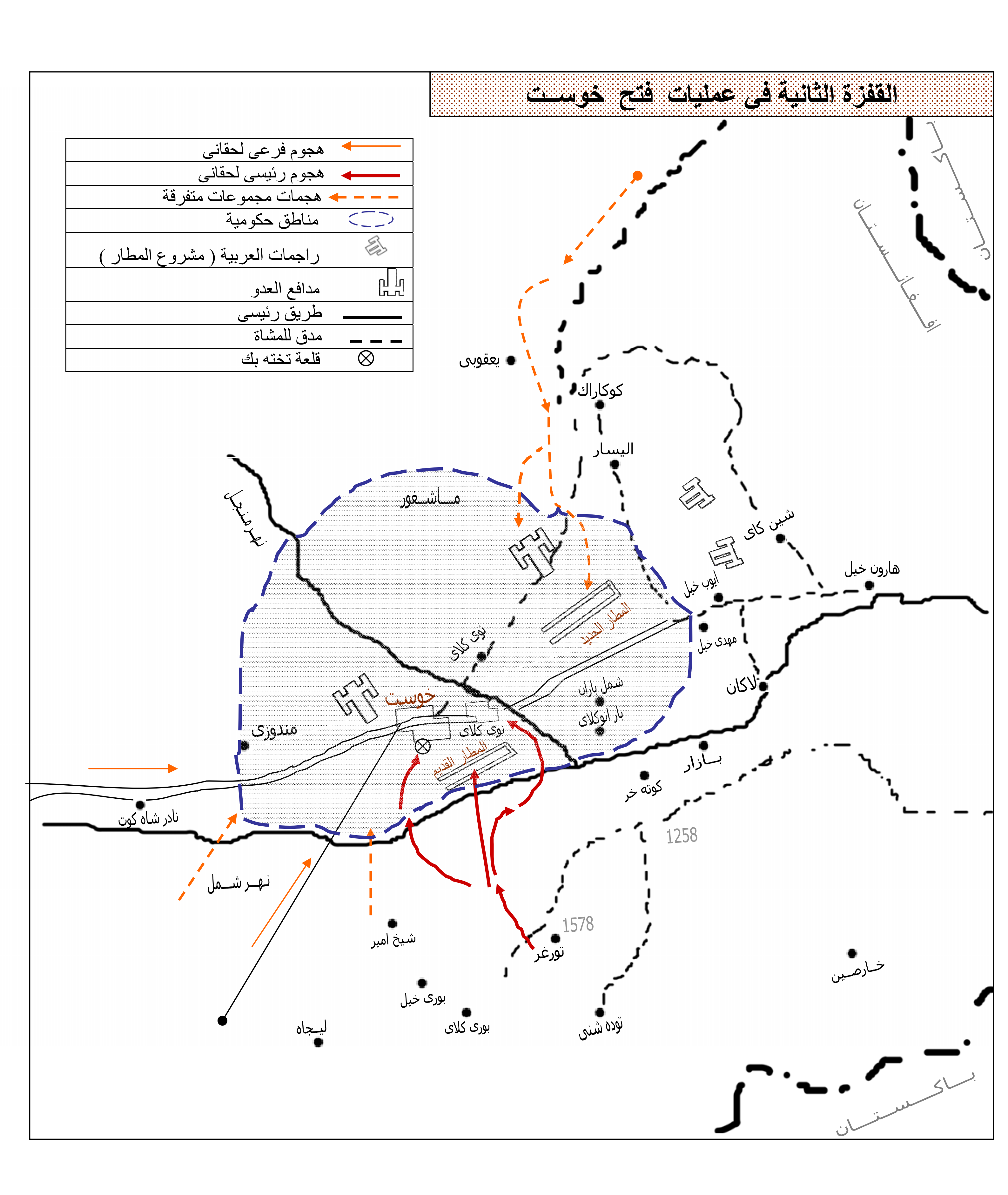
إكتشف البدو أن "باشيم" قادر على شل حركتهم فإتصلوا بالقيادة قائلين : "إن الإستمرار فوق ماليزى مستحيل بدون الإستيلاء على باشيم " .

وقد كان ...

هجوم البدو المشاة علي جبال ماليزي"١"	
هجوم ناجح للمجاهدين بالمشاة و الدبابات. ٢-٣-٥	
هجوم فاشل للمجاهدين بالمشاة و الدبابات. ٤	
فرار دبابات العدو وراء نهر شمل. ٦-٧	

	مواقع المجاهدين A- كتيبة البدو, جماعة جولاب. B- كتيبة ابو جندل. C- كتيبة سلمان الفارسي. D- كتيبة العمري "الدبابات"		خطوط دفاع العدو
	مركز ابو العباس		طريق ابو الحارث




القفزة الثانية فى عمليات فتح خوست
هجوم فرعى لحقانى
هجوم رئيسى لحقانى
هجمات مجموعات متفرقة
مناطق حكومية
راجمات العربية (مشروع المطار)
مدافع العدو
طريق رئيسى
مدق للمشاة
قلعة تختة بك
يعقوبى
كوكاراك
اليسار
ماشغور
نهر منبل
شين كاى
هارون خيل
ايوب خيل
مهدى خيل
المطار الجديد
نوى كلاى
خوست
شمل باران
بار انوكلاى
لاكان
مندوزى
نوى كلاى
المطار القديم
بازار
كوته خر
نادر شاه كوت
نهر شمل
1258
1578
شيخ امير
تورغر
خارصين
بورى خيل
بورى كلاى
توده شنى
ليجاه
افغانستان
باكستان

الأربعاء ٣ رمضان - (١٩ مارس ١٩٩١)

قام البدو بدعم من دبابات كتيبة العمرى بالهجوم على "باشيم" والإستيلاء عليها بسهولة.
وقد كان موقعا أرضيا فى منطقة زراعية ومكونا من منازل ريفية مدعومة بالخنادق ورشاشات ثقيلة ودبابة أو إثنين.
كان "باشيم" يهدد أيضا الطريق بين "ماليزى " و"لاكان" بواسطة الدبابة التى كانت ترى جزء ضيقاً من الطريق عبر فرجة بين هضبتين . وقد تمكنت الدبابة من تدمير سيارة (بيك اب) للمجاهدين .
وبث العدو - أو المتعاونين معه - عدة ألغام مضادة للدبابات فى نفس المكان فدمروا شاحنة للمجاهدين ، وتسببوا فى إرباك المرور على ذلك الطريق لعدة أيام . وكان ذلك قبل العمليات بفترة قصيرة .

الدبابات فى **المعركة**

منذ الإستيلاء على "باشيم " بدأت المبادرات التكتيكية الذكية والمقدامة تحدد مسار العمليات العسكرية وتحقق النصر النهائى فى المعركة .
فما حدث بعد الإستيلاء على ماليزى لم يكن متطابقا مع تخطيط مسبق ، بل كان عماده الإستخدام الجرئ والمبدع للدبابات بقيادة الأخوين خليل وإبراهيم أشقاء حقانى.
كان تحت تصرفهما ثمان دبابات هم كل ما يمتلكه حقانى . أرسلا منها إثنتان لدعم هجوم لكتيبة سلمان الفارسى "٥ رمضان" فشل الهجوم وتحطمت الدبابتان.
إستمر العمل بالدبابات الست المتبقية فى مواجهة أربعين دبابة للعدو - وكان العدد المتوقع لدبابات العدو أقل من ذلك بكثير ، وقد إستبعد المجاهدون ذلك الرقم "أربعون" وكان معلوما لديهم منذ مدة طويلة ، ولكن الأداء الضعيف لدبابات العدو ، وإقتصارها على الدفاع معظم الوقت ، وإحتفاظ العدو بأفضل دباباته - حوالى نصف العدد - كمخزون إستراتيجى بعيدا عن مواقع الاشتباكات . كل ذلك أوهم المجاهدين بأن الدبابات الصالحة للعمل لدى العدو هى عشرون دبابة أو أقل .
على كل حال كان إستخدام العدو للدبابات يفتقر إلى الشجاعة والإبداع فكان أداء دبابات المجاهدين على قلتها أفضل كثيرا وأكبر فعالية من دبابات العدو الأربعين ، وكان لها رهبة كبيرة فى نفوس العدو .
فإستدعى العدو من كابول أطقماً لمكافحة الدبابات مزودة بصواريخ سلكية حديثة.
نجحت تلك الأطقم فى تدمير دبابتين لكتيبة سلمان الفارسى فى هجومها الفاشل.
وبعد ذلك لم يظهر لتلك الأطقم أى تأثير فى إصابة دبابات المجاهدين .

* تطور آخر فى إستخدام العدو للدبابات ظهر عندما إضطر إلى سحب قواته إلى ماوراء نهر شمل ، وحشد العدد الأكبر من الدبابات على حافة النهر لمنع المجاهدين من عبوره ـ وكان فيضان النهر فى ذروته .
وركزت دبابات العدو نيرانها على دبابات المجاهدين. فتكثف إستخدامهم للذخائر بشكل كبير ، حتى حدث عندهم عجز فى الذخائر ـ فطلبوا المدد السريع من كابول .

من الثغرة .. البدو يخدعوننا

سقوط "ماليزى " ثم "باشيم" فتح ثغرة خطيرة فى خط دفاع العدو وتحديدا فى المفصل ما بين الجبهة الجنوبية والجبهة الشرقية .
حدث ذلك فى وقت مبكر من بداية المعركة . وقد أثر ذلك سلباً على مستوى العمليات ثم على المستوى النفسى ، وهو الأهم .
من تلك الثغرة قام عدد من الكوتشى بالتسلل عميقا حتى حدود المطار الجديد ، فى غارات غاية فى الجرأة ، أشاعت جوا من اليأس والإنكشاف فى صفوف العدو .
وفى أحد الليالى إتصلوا بنا لاسلكيا طالبين وقف رمايتنا على "المطارالجديد" لأنهم قد إستولوا عليه بالفعل !!.
أثار ذلك دهشتنا الشديدة ، وكرر السؤال مرارا حاجى إبراهيم ـ المترجم والمساعد فى مشروع المطار ـ فأكدوا له أنهم إستولوا على المطار، فأوقفنا الرماية بالفعل إلى قرب الفجر ولكن لاحظنا أن هناك طائرات تستخدم المطار . فأتصلنا بالكوتشى فقالوا أنهم تركوا المطار والآن يمكننا قصفه .
تعجبنا لتلك القصة وتحرينا عنها بعد فتح المدينة ، فقال لنا البدو أنهم كانوا فى عملية تسلل قرب المطار واستشهد لهم شخص هناك وفاوضوا العدو على سحبه ، فقبل بشرط أن يطلبوا منا وقف قصف المطار لفترة محدودة . وبالفعل خدعونا بتلك الطريقة حتى سحبوا شهيدهم ، واستخدمت عدة طائرات أرض المطار !! .

البدو ..فى عملية الهروب الكبير

ليس ذلك هو الحدث الأهم ، بل أن "عملية الهروب الكبير " كانت من أخطر العمليات التى نفذها البدو ـ كصفقة تجارية مع ضباط ميليشيا فارون ـ ولكنها أعطت تأثيرا مدمرا على نفسيات العدو ، بما أدى إلى إستسلام مواقع حكومية هامة جدا مثل جبل كوكاراك ثم موقع " أليسار" وبالتالى موقع جاجى ميدان على الحدود الباكستانية .
وكان ذلك أكبر دعم تلقته عمليتنا "المطار الجديد" حيث كانت لنا راجمتان قريبتان جدا من جبل كوكاراك وموقع "أليسار". كان ذلك موضعا إجباريا بالنسبة لنا ـ وكثيرة هى الأوضاع الاجبارية التى كنا مرغمين على قبولها فى تلك العملية ـ كان علينا القبول بالعديد من المجازفات الخطيرة حتى نتمكن من العمل ضد ذلك المطار الجديد من داخل "الجبهة الشرقية" التى وصفنا أحوالها .

قص لى القائد "جولاب" بعد فتح خوست قصة تلك المغامرة . فقال بأن ضباط الميليشيا الذين فروا إلى ميرانشاه بعد المحاولة الفاشلة "لبيع" الخط الدفاعى الجنوبى، إتفقوا مع مجموعتين من البدوعلى تهريب عائلاتهم من خوست إلى ميرانشاه لقاء جائزة مالية كبيرة . إشترك فى الصفقة مع "جولاب " القائد البدوى الآخر "أورانج" .
لم يكن من السهل فإخراج عدة مئات من النساء والأطفال والشيوخ من بين مواقع عسكرية مكدسة ومتلاصقة ، وحقول ألغام ربما كانت الأشد كثافة فى كل البلاد .
بدأت العملية فى اليوم الثانى من المعارك ، وكان جولاب وجماعته مشغولون فى الهجوم على ماليزى . فتعثر برنامج الهروب فى ذلك اليوم، وتشتت الهاربون فى الحقول والأراضى الجرداء المهجورة ،وتعرضوا لما يشبه الضربات التحذيرية من المدفعية والطيران .
وفى اليوم الثالث للمعارك ـ وكانت جماعة جولاب مشغولة أيضا فى فتح موقع "باشيم " ، توسعت عملية الهروب وزاد عدد المشاركين فيها ، فلم تعد تشمل عائلات ضباط الميليشيا فقط ، بل إنضمت إليها "الجماهير" من سكان خوست فأصبح الهاربون بالألاف .
وزادت "الضربات التحزيرية" فتشتت هؤلاء الهاربون بشكل مأساوى فى إتجاه الشرق والجنوب الشرقى . وكنا نتابع المنظر من موقع ترصدنا فى الشرق ـ فى منطقة خرمتو ـ وكنا نهلل ونكبر ، تماما كما فعلت كل الذين تابعوا هذا "الأنهيار الكبير" فى جبهة العدو .
ظننت وقتها أن معركة خوست على وشك الإنتهاء . ويبدو أن ضباط العدو فى جبل "كوكاراك" توصلوا إلى نفس النتيجة فلم يلبث أن سلموا مواقعهم "لمجاهدى " المنطقة ذلك الجبل كان أشد تحصينا من "تورغار" الرهيب بسبب وجود مجموعة من التباب أمامه وخلفه، جميعها محصنة ومحمية بالجنود والألغام . فكان إقتحام ذلك كله معضلة عويصة . خاصة وأن الموقع لم يتعرض للأستنزاف كما حدث لتورغار فى الجنوب.
لم نكن وقتها قد بدأنا العمل ضد المطار الجديد نظرا لتوقف الحركة فى المطار بسبب الأمطار والضباب . كنت أخشى كثيرا من هاونات كوكاراك عندما تتدخل ضد راجماتنا التى كانت قريبة من الجبل بدرجة خطيرة ويسهل على العدو تحديد مواقعنا أثناء العمل الليلى ولديه من الهاونات ما يكفى لجعل حياتنا قطعة من الجحيم .
وقبل إستسلام الجبل ، إستعرض العدو قوته أمامنا أثناء النهار ، فكانت هاوناته الثقيلة مصدر خطورة كبيرة على مواقعنا ، والوضع ليلا سيكون أسوأ بلا شك .
ولكن ا سلم ، وعندما بدأنا العمل الفعلى ضد المطار لم يكن هناك كوكاراك ، فكانت معجزة حقيقية أبعد من كل تصور .
ولم يلبث موقع "أليسار" أن إستسلم بعد ذلك بثلاثة أيام . وكان عبارة عن هضبة مليئة بالخنادق ، تحرسها دبابة متخندقة ، وعلى قمة الهضبة موقع حصين لمدفع شلكا

مضاد للطائرات ومجموعة من الهاونات ، أما الألغام فكانت جنونا حقيقيا، فالساحة الواسعة حول الموقع مليئة بالألغام والشراك الخداعية وقذائف المدفعية المفخخة والأسلاك الشائكة . وجثث لحيوانات عديدة من أبقار وأغنام وحمير قد مزقتها الألغام فأضفت على المكان مسحة جنائزية مرعبة، خاصة مع النباتات والأشواك البرية الكثيفة التى كست المكان .

عملية الهروب إستمرت حوالى ثلاثة أيام متتابعة ، ينجح البعض ويتعثر آخرون ولكنها أعطت التأثير المدمر على نفسية جيش العدو.

كان توقيت عملية الهروب الكبير غير مرتبط بتوقيت العمليات بل كان متفقا عليه سلفاً قبل أن يعلم المنفذون (جولاب ـ أورانج) بتاريخ بدء العمليات ، الذى لم يكشفه حقانى لأحد سوى فى الساعات الأخيرة .

فى الفترة التى كان قائد موقع أليسار يرفض التسليم للمجاهدين رغم إستسلام كوكاراك الأضخم والأقوى ـ طلبت من صديقنا "يحى المصرى" أن يشتبك معهم بالهاون والمدفع عديم الإرتداد، مع التركيز على الدبابة التى كانت نشطة واستفزازية. وبالتأكيد شعر قائد الموقع بضعف خطنا الأول ، وبتفاهم " المجاهدين" معه ، فخشيت أن يحدث تواطؤ علينا ، ولم يكن خطنا الأول يطلق طلقة واحدة على العدو .

نجح يحى ببراعته فى إزعاج أليسار حتى أن الدبابة فرت من الموقع وتراجعت إلى الخلف لتصبح أبعد من مدى أسلحة "يحى" . لاحظنا أن الدبابة مرتبكة ولا تدرى ماذا تفعل . توقعت أن تكون القيادة نفسها مرتبكة وليس لديها خطة لمواجهة الموقف ، وأن القيادة فى خوست ليس لديها القدرة على التدخل لمنع إنهيار الجبهة الشرقية .

واصلنا الضغط على "إليسار" بواسطة "يحى المصرى" وأسلحته العجيبة وعاونه بعض الشباب فى إظهار قوتنا ، ليس فقط ضد أليسار بل ضد موقع آخر فى مواجهتنا من ناحية الغرب وهو موقع "أيوب خيل" وكان به دبابتان للعدو، مع قوة لا بأس بها من الجنود والهاونات .

كان يحى وجماعته يتنقلون ، جريا ، من موقع إلى آخر لضرب أليسار وأيوب خيل حتى ظهر للعدو أن قوتنا كبيرة بأكثر من حجمها الواقعى بكثير.

إقتنع قائد موقع أليسار أن لافائدة من المماطلة فبدأ جديا فى مفاوضات التسليم مع مجموعات المنطقة ، وبدأوا فى تطهير ممرات فى حقول الألغام حول أليسار.

كانت غنائم مجموعات المنطقة هائلة من الذخائر والأسلحة ، ورغم أن مجاهدى منطقتنا لم يقاتلوا ولم يخطر فى بالهم أن يفعلوا ذلك ، إلا أن الغنائم التى سقطت بين أيدهم بدون قصد كانت كثيرة جداً .

وهذا يتماشى مع القاعدة التى أشرنا أليها سابقا من أن "المتربصين " كانوا أوفر حظا من المجاهدين ، ونصيبهم من الغنائم دائما أكبر مهما كانت نتيجة المعركة وأيا كان المنتصر.

الخميس ٤ رمضان ـ ٢٠ مارس ١٩٩٠
إستيلاء المجاهدين على باشيم كان بداية سلسلة من المفاجآت التكتيكية المذهلة ، أدت فى النهاية إلى فتح خوست .
أول وأهم تلك المفاجآت كان التقدم من "باشيم" صوب"فارم باغ" والإستيلاء عليها.
"فارم باغ" منطقة زراعية كثيفة الأشجار تحتوى على قاعدة عسكرية إدارية كبيرة بها إحتياطى الدبابات الخاص بالمنطقة الجنوبية كلها .
لم يتصور أحد أن يسقط ذلك الموقع الهام بتلك السهولة الكبيرة . والسبب فى ذلك عنصران :
الأول : عنصر المباغته ، الذى نفذه المجاهدون بشكل مثالى .
الثانى : حالة الإنهيار المعنوى والأضطراب التى أشاعتها عملية "الهروب الكبير" التى تحدثنا عنها سابقا .

من ناحية المفاجأة :

غير المجاهدون أسلوبهم فى العمل فجأه .
فبدلا من أسلوب القضمات المتتابعة التى تفصلها فترات زمنية طويلة نسبيا ، حسب حجم الهدف ، نراهم الآن يتبعون أسلوب الهجوم المتواصل بدون فاصل زمنى .
اليوم الأول أخذوا ماليزى ـ واليوم الثانى أعادوا الإستيلاء عليها من الحكومة . ثم فى اليوم الثالث يستولون على "باشيم " . وهاهم فى اليوم الرابع يهاجمون بشكل غير متوقع هدفا يحسب له ألف حساب ، يهاجمون أكبر قاعدة جنوب نهر شمل .
لم يتم قبلا أن هاجم المجاهدون هدفا كبيرا بهذا الحجم ، بدون تمهيد مدفعى ، ولكنهم فعلوا ذلك هذه المرة .
لم يهاجم المجاهدون فى التوقيتات المعتادة وهى إما فجراً ، للإستفادة من ضوء الفجر فى نزع الألغام ـ أو قبل الغروب لتفادى ضربات الطيران . وبدلا عن ذلك هاجموا ضحى ، رغم أن الطيران كان فى حالة هيجان هستيرى غير مسبوقه طوال معارك خوست القديم منها والحديث .
و عندما تدخل الطيران لإحباط ذلك الهجوم على "فارم باغ" أصاب مواقع العدو نفسه فعجل ذلك فى إنهيار مقاومته حيث أن الضرب الجوى طال أعماقا لم يكن قد وصلها هجوم المجاهدين بعد .
فعندما تحرك الطيران كان المجاهدون قد لامسوا الخط الأول للعدو واخترقوه ، فكان مستحيلا بالنسبة للطيران أن يميز بين قواته وقوات المجاهدين .
إستخدم العدو القنابل العنقودية ، وغطى كل باشيم وفارم باغ ، بالطبع شمل ذلك قواته نفسها ، والأدهى أنه ركز قنابله الثقيلة حتى الفسفورى منها على هضبة عالية وحيدة فى فارم باغ ، كان واضحا أن لها دوراً رئيسيا فى الإتصالات والسيطرة ـ وظل مركزا مجهوده على تلك الهضبة سائر اليوم .

لا ندرى السبب، ربما كانت تحتوى على معدات هامة يخشى العدو من وقوعها فى أيدى المجاهدين ، ولكن الواضح أنه بذلك العمل قد قصم ظهر الدفاع عن فارم باغ التى غادرتها قواته بسرعة بدون أى مقاومة تذكر.
وكنا نتابع تلك التطورات من موقع ترصدنا فى "خرمتو " ونتابع الإتصالات اللاسلكية للمجاهدين وأحيانا للعدو.
ساعد على تحقيق المفاجأة إكتشاف المجاهدين "لمدق ترابى" يربط " باشيم" مع "فارم باغ" . كان ذلك طريقا للأمداد . لذا لم يكن ملغوما أو بالأحرى لم يكن العدو قد لغمه بعد . وربما كان يستعد لإستخدامه لأجل إسترداد "باشيم " فى هجوم مضاد كان قيد التجهيز ولم يفرغ بعد من الحشد له .
فحتى هذه اللحظة كان العدو ينتظر الهجوم الرئيسى من الطرف الشرقى لجبل تورغار . حيث حشود المجاهدين على حالها وكان يظن أن كل ما يحدث فى (ماليزى ـ باشيم ـ فارم باغ) مجرد هجوم ثانوى لتشتيت إنتباهه .
ولكنه مع سقوط فارم باغ أدرك أن ما يحدث هو أخطر من مجرد هجوم ثانوى.
ولكن الوقت كان فات ولم يعد ممكنا تفادى الكارثه لأن فارم باغ يمر منها طريق ترابى خلفى يربطها بكل خط الدفاع الجنوبى الواقع على الجبل . ذلك الطريق كان يستخدم لمرير الأمدادات بأنوعها وتقديم الدعم لأى موقع عند الضرورة.
إكتشف المجاهدون ذلك الطريق التراتى "المدق" واستخدموه على الفور لتطويق خط الدفاع الجنوبى للعدو والهجوم من الخاف على مواقعه المنيعة ، وعبر مسالك ومدقات أمنه وغير ملغومة .
إكتشاف تلك المدقات والإستفادة السريعة والجسورة منها كان أروع المفاجآت التكتيكية فى كل المعركة .
بقى أن نقول أن أبطال تلك المفاجآت الساحقة كان الأخوان (خليل وإبراهيم) شقيقا جلال الدين حقانى فهم أصحاب تلك المبادرة .
فبعد إسنادهما للهجوم على باشيم بواسطة دبابتين " كانتا تحت أمرتهما. وباكتشافهما المدق الواصل بين باشيم إلى فارم باغ، تقدما عليه بنفس الدبابتين وبدعم مجموعة محدودة من المشاه فسقطت فارم باغ بسهولة أذهلتهما ، حيث فرت دبابات العدو عبر نهر شمل وتبعها المشاة .
وإحرق الطيران المنطقة كلها . ولكنه فشل فى إصابة الدبابتين وأظن أن أحدا من المجاهدين لم يصب بجروح فى العملية.
وسرعان ما أكتشف الأخوان أن المدق الترابى العجيب يربط فارم باغ بخط الدفاع الجنوبى كله فطلبا دعما سريعا من المشاة فإستجاب لهم شقيقهما الأكبر وبدأ فى اليوم التالى تقدم جسور لتطويق دفاعات العدو واختراقها من الخاف .

الجمعة ٥رمضان ـ ٢١مارس ١٩٩١

بدأ المجاهدون ـ بقيادة إبراهيم وخليل ـ فى التقدم على المدق الترابى لتطويق خط دفاع العدو ـ والتقدم من الخاف للاستيلاء على مواقعه الحصينة .
دبابات العدو كانت قد إنسحبت بالكامل إلى شمال نهر "شمل " . ولكنها أصطفت على طول الضفة وصبت نيرانها بأقصى قوة على قوات المجاهدين المتقدمة أمامها على الضفة الجنوبية .
(يعتبر العسكريون أن التحرك بعرض الجبهة ، فى مواجهة قوات العدو ، من المناورات الخطيرة جداً لكون مجنبه القوات تكون مكشوفة لنيران العدو) .
بالطبع لم تكن العملية سهلة ، فقد ووجهت قوات المجاهدين بنيران عنيفة جدا تنصب على ميمنة الطابور المتقدم، من الدبابات ، والمصفحات ، ورشاشات ثقيلة مضادة للطائرات كانت مثبتة على شاحنات عسكرية ومدرعات، وكلها مصطفة على الضفة الأخرى من النهر. هذا إلى جانب القصف الجوى الذى إستمر طوال أيام المعركة ليلا ونهارا بعنف لم يسبق له مثيل ـ وعلى الأرجح أن الطيران السوفيتى قدم دعما جويا كبيرا فى تلك المعركة ـ التى شهدت أيضا إستخداما موسعا لصواريخ سكود بعضها كان يحتوى غاز الخردل برتقالى اللون .
* بدأ إستخدام الغاز السام فى صبيحة هذا اليوم وسقط أول صاروخ خاف " باشيم " وكان النهار مشرقا والريح راكدة . إرتفع الغاز بضع مئات من الأمتار فى الجو على شكل عش الغراب ضخم كما يحدث فى التفجير النووى ـ ومن موقع ترصدنا فى "خرمتو" خشينا أن تهب الرياح فى إتجاهنا فنكون على قمة جبلنا عرضة للأصابة .
فى الشمس المشرقة سخن الغاز وأرتفع إلى أعلى ولم تهب الريح . فمرت أزمة غاز الخردل بسلام ولم يصب أحد لاعندنا ولا فى باشيم وفارم باغ.
سجلت ذلك المشهد بالكاميرا ـ وفعلت ذلك أكثر من عشر مرات فى ضربات غاز فى أنحاء مختلفة من ميدان المعركة ، التى كنا نعرف تطوراتها من إنتقال ضربات الطيران والصواريخ والغازات. فنعرف إلى أى مدى تقدم المجاهدون ، قبل أن تصلنا الأخبار على جهاز المخابرة، وكانت تلك وسيلة أكثر مصداقية لدينا .
فى تقدمهم على الطريق الترابى إتخذ المجاهدون أسلوبا حريصا فكانوا يجهزون على المواقع الجبلية واحدا تلو آخر ولا يتركون شيئا خلفهم وذلك حتى لا يتعرضون لنيران معادية من مجنبتهم اليسرى بينما اليمنى هى أيضا مكشوفة للعدو على شاطئ النهر. بل ربما تعرضوا لقطع الطريق من خلفهم وطوقهم العدو. لذلك إستغرق تقدمهم على ذلك المحور عدة أيام .
* إستسلم اليوم موقع "أليسار " ويقوم "المجاهدون /المتربصون" بنزح ما به من معدات وأسلحة وتجهيزات وكانت كميات معتبرة .
* على الحدود الباكسانية على بعد حوالى خمسين كيلومترا شمال شرق خوست إستسلم موقع "جاجى ميدان " الحدودى ، وهو المنفذ الرئيسى لعمليات تهريب البضائع من باكستان إلى خوست .

الآن وقد إنقطع إتصاله البرى مع المدينة بسقوط كوكاراك وأليسار فلم يعد هناك من معنى لبقائه ، خاصة بعد الضربات القاصمة التى تتلقاها القوات الحكومية يوميا وتراجعها المتواصل أمام هجمات المجاهدين.
إستسلم " جاجى ميان " فى عملية تقليدية تتجلى فيها مهارة الإستخبارات الأفغانية فى التعامل مع مجموعات المجاهدين والقبائل .
فعقدت إتفاق تسليم مع أسوأ العناصر الممكنة على جانبى الحدود الأفغانية والباكستانية، فى حالة فريدة نادرة المثال .
أيضا تجهيزات جاجى ميدان كانت هائلة كموقع كان ذو أهمية خاصة فهو صمام الوجود للمدينة طوال مدة حصارها الطويلة جداً.
وذهبت غنائم "جاجى ميدان " إلى نفس الفئة من "المجاهدين /المتربصين "
* تعرض المجاهدون اليوم لأكبر نكسة تعرضوا لها فى معركة فتح خوست .
فقواتهم العاملة غرب تورغار كانت تجهز لهجوم رئيسى إنطلاقا من مواقعها .
كانت التجهيزات كثيفة وإستغرقت عدة أشهر ، قابلها العدو بإستعدادات مماثلة لصد الهجوم خاصة فى مجال الأسلحة المضادة للدبابات .
الآن وقد إنتقل الهجوم إلى الطرف الشرقى من الجبهة ، وبدون تجهيزات مسبقة كبيرة الحجم ـ ثم الإنتصارات الكبيرة المتتابعة من ماليزى إلى باشيم إلى فارم باغ إلى السير فى طريق تطويق دفاعات العدو جنوب النهر وإقتحامها من الخلف .
قوات المجاهدين غرب تورغار مكونة أساسا من كتيبة سلمان الفارسى التى يقودها الدكتور نصرت ا . ومعه عدة مجموعات ملحقة بها، أهمها المجموعة العربية بقيادة "أبو الحارث الأردنى " ثم مجموعة من طلاب الشريعة من قندهار يقودهم "ملا قندهارى" (وكان هؤلاء إرهاصة متقدمة لظهور حركة طالبان التى تحركت عام ١٩٩٤ وسيطرت على العاصمة عام١٩٩٦ وإسقطتها أمريكا وحلفائها الإقليميون والدوليون عام ٢٠٠١م) .
ثارت تلك المجموعات وشعرت بالغيرة ، نتيجة تهميشها الشديد ونجاحات الآخرين ، فوجهوا ضغوطا شديدة على حقانى كى ينفذوا برنامجهم الهجومى الذى تم تجاهله.
عارض حقانى بشدة ، ولكنه كان يواجه ما هو أكثر من مجرد إحتجاج لمطالب الثائرين .
إنطلق الهجوم تدعمه دبابتان يسير المجاهدون أمامها وخلفها ، وتكدس كثيرون فوقها أيضا. توجه الجميع صوب هضبة "جاجر سر" التى تعتبر الطرف الغربى لخط دفاع العدو الذى تكون "باشيم " طرفه الشرقى .
ما أن وصل الموكب إلى "منطقة القتل" التى حددها العدو حتى إنفتحت عليهم سيول من النيران ، قال من نجى من الموقعة أن الصواريخ المضادة للدبابات التى أطلقت عليهم كانت أكثر من طلقات البنادق .

فإحترقت الدبابتان على الفور ، وقتل عدد كبير ممن كانوا على ظهرها ومنهم "ملا قندهاري" الذى أصيب بصاروخ "آر بى جى" أطاح بنصف وجهه . قتل أيضا عدد من العرب وكثيرون من كتيبة سلمان الفارسى .
إرتسم الوجوم على وجوه المجاهدين فى الجبهة بعد أن عرف بعضهم وشعر الآخرون أن الهجوم قد فشل وأن الخسائر ثقيلة .
تم سحب الجثث ، ودفن الشهداء العرب فوق هضبة مقابل مركز خليل فى بارى .
توقف العمل من هذا المحور حتى بلغ التقدم المنطلق من "فارم باغ" مداه وسقط خط الدفاع الجنوبى كله .

ونفذت ذخائر المجاهدين

السبت ٦ رمضان ـ ٢٢ ما رس ١٩٩١

اليوم أشد الأيام حرجاً .. وأوشك كل شيئ على الإنهيار وأن يعود الوضع كله إلى نقطة الصفر مرة أخرى .
إستولى المجاهدون حتى الآن على نصف خط الدفات الجنوبى أو أقل قليلا . ونهر شمل فى ثورة خطيرة مازالت تتزايد تدريجيا منذ بداية المعارك ومنسوب الفيضانات العنيف يزيد يوما بعد آخر .
والمدافعون عن مواقع العدو المتبقية جنوب النهر مستميتون فى الدفاع ، وقد إنقطع أملهم تقريبا فى تلقى معونات سوى من الطيران . وزاد تأزم موقفهم أنهم قتلوا عددا من المجاهدين المهاجمين ، فضاعت منهم فرصة العفو التى يمنحها المجاهدون عادة للجنود الذين يستسلمون طواعية .
المجاهدون يواجهون الآن مقاومة أشرس من مواقع العدو الجبلية التى يتقدمون عليها من الخلف ، لكنهم يتلقون أيضا نيرانا حامية من مواقع العدو شمال النهر خاصة من الدبابات التى ظهر منها عددا أكبر مما كان متوقعا قبل بدء المعارك. فقد ظهر أن لدى العدو أربعين دبابة صالحة للعمل وليس عشرون كما توقع المجاهدون .
فقد المجاهدون بالأمس دبابتان ، أى ربع عدد الدبابات العاملة معهم . لديهم الآن ست دبابات فقط عليها واجبات ثقيلة جداً : أولا عليها أن تشق طرقاً للحصار خاف مواقع العدو ، الذى تزود بصواريخ سلكية مضادة للدبابات ، وبأعداد كبيرة من قواذف (آر بى جى). وقد تمكن بالأمس من تحطيم هجوم المجاهدين وأحرق دبابتيهم .
وعليها ثانيا: التصدى لنيران دبابات العدو على الضفة الآخرى التى تشكل خطورة على مشاة المجاهدين ودباباتهم . كل ذلك يتم تحت قصف جوى غير إعتيادى تستخدم فيه كافة الذخائر المتاحة والمحرمة .. من العنقودى إلى الفوسفورى وغاز الخردل إلى صواريخ سكود العنقودية والغازية .
وقد وجه طيران العدو إهتماما خاصاً لدبابات المجاهدين محاولا تدميرها بإعتبارها الخطر الأول على موقفهم العسكرى على الأرض .

دبابات المجاهدين ـ تحت قيادة الأخوين إبراهيم وخليل ـ واجهت كل ذلك بشجاعة فائقة ومهارة كبيرة ، وحققوا بنجاح كل ماهو مطلوب منهم ، وتجنبوا بنجاح أيضا مجهودات العدو غير العادية لتدميرهم .
ولكن ما عساهم أن يفعلوا الآن وقد نفذتهم ذخائرهم؟؟. منذ يومين والشقيقان "حقانى" يرسلان إشارات تحذيريه لشقيقهم الأكبر جلال الدين ، بأن إستهلاكهم للذخائر مرتفع وأن مالديهم يتناقص بسرعة ، وقد يتوقفون عن العمل فجأه . فرد عليهم قائلا أن لا قذائف لديه فى المخازن ولكنه سوف يرسل شخصا إلى سوق ميرانشاه ليشترى ما هناك من ذخائر..لكن كان هناك ذلك المشترى "المجهول" الذى يسحب ذخائر الأسلحة الثقيلة بأعلى سعر .
(أخبرنى حقانى بعد المعركة أنه فى الحقيقة لم يكن يدرى ماذا يفعل، فهناك من يتحكم فى وتيرة تقدم المجاهدين بواسطة التحكم فى كمية ونوع ذخائر الأسلحة الثقيلة المتاحة بين أيديهم أو فى الأسواق القبلية القريبة منهم).
ليس هذا كل شيئ فالمصائب لا تأتى فرادى. فالمجاهدون فى الجبهة الجنوبية المحتدمة أبلغوا حقانى عن نفاذ ذخائرهم من طلقات البنادق إلى قنابل الهاونات وقذائف (آر بى جى)!! .
وقالوا أن الذخائر متوفرة من الغنائم ـ وهى كميات ضخمة ـ لكنها لم تقسم بين المجاهدين ـ (سيكون للمجاهدين أربعه أخماس الغنائم وللتنظيم الخمس) .
فى هذه اللحظة تحديدا كانت مخازن حقانى خاوية على عروشها فلا ذخائر ثقيلة ولا ذخائر خفيفة ـ إنتهى كل شيئ ، بينما المعركة فى ذروتها والعدو مازال يقاوم بشدة، والمجاهدون ليس لديهم من الذخائر ما يكفى حتى للحفاظ على مواقعهم .
فالعدو "نظريا" يمكنه الآن وبسهولة إستعادة كل مافقد من مواقع بل والوصول إلى القواعد الأدارية الكبيرة فى عمق مناطق المجاهدين ، هذا إذا كان لديه المعنويات الكافية لذلك .
كان الموقف فى غاية الحرج ، وإختار حقانى أن يصارح رجاله بحقيقة ما يجرى، فقال لهم : ليس لدينا أى قذائف للدبابات ، كما أن الذخائر الخفيفة قد نفذت هى الآخرى ، وليس لدينا منها سوى الغنائم التى بين أيديكم .
إنى أطالب من الجميع صلاة ركعتين ، والدعاء والإستخارة ثم يقررون قرارهم، فإن رأيتم الإحتفاظ بالغنائم فهذا حقكم ، وإن رأيتم أن تنفقونها فى سبيل ا فهذا خير لكم عند ا .
عند هذه النقطة عاد الجهاد إلى منبعه النقى الصافى الذى بدأ منه فى أفغانستان، وزالت الغشاوة من على العيون .
فهذا موقف الخيار الصعب والحاسم ، فإما الجهاد بالنفس والمال معا والإستمرار فى الجهاد حتى النصر أو الشهادة ، وإما أخذ الأموال والإنصراف بها إلى البيوت، وترك البلاد فى أيدى العدو.

بكى الرجال وصلوا وتضرعوا إلى ا ، ثم قرروا جميعا بلا تردد :
" سننفق مالدينا من دم ومال فى سبيل ا ولن نتراجع حتى ينصرنا ا أو نستشهد ".
وكأن ا علم صدق نياتهم ففتح عليهم فى خوست فتحاً لم تر أفغانستان له مثيلاً .
ولكن ما حدث لرجال الدبابات كان أعجب !!.
كانوا قد أنفقوا بالفعل ما غنموه من قذائف دبابات من فارم باغ التى كان بها عشرة دبابات على الأقل فرت أمام دبابتى المجاهدين تاركة مخزونها من القذائف . وهو مخزون ضخم ، لكن الإستهلاك كان غير عادى ولم يسبق له مثيل فى أى معارك سابقة، فنفذ ذلك المخزون أيضاً .
وكما ذكرنا لم يكن فى مخازن المجاهدين أى قذائف إضافية ، وحتى فى أسواق السلاح القبلية ، هناك من سحب منها كل قذائف المدفعية والدبابات !!.
والآن تحشد القوات الحكومية معظم دباباتها الأربعون على الضفة الشمالية لنهر شمل فى مقابل الدبابات الست للمجاهدين .
وكما قال إبراهيم لأخيه جلال الدين: "إن المعركة لا يمكن الإستمرار فيها بدون الدبابات" .
لقد لعب نهر شمل دوراً أكبر مما هو متصور فى مسيرة تلك المعركة . فذلك النهر العذب الرقيق ، الذى يمكن أن يعبره طفل من أكثر مناطقه، تحول إلى وحش كاسر مخيف ، يبتلع أى شيئ يعترض طريقه . حتى أن العدو عند فراره من "فارم باغ" خسر عدة شاحنات فى النهر وإنقلبت مدرعة أو أكثر هناك .
ولم يكن ممكنا للمجاهدين مطاردته إلى الجانب الآخر .
وبالمثل عندما بلغ هجوم المجاهدين مداه الأقصى ونفذتهم ذخائرهم خفيفها وثقيلها، وكان العدو يعلم ذلك بلا شك من متابعاته اللاسلكية لأحاديث المجاهدين .
* وفى نفس الوقت تحطم هجوم رئيسى للمجاهدين على أعتاب هضبة "جاجرسر" رغم أنه هجوم جرى الإعداد له لعدة أشهر، وفقدوا فيه عددا من أفضل القيادات إضافة إلى تدمير ربع سلاح دباباتهم.
لو أن العدو شن هجوما معاكسا فى ذلك الوقت ، لإستطاع على أقل تقدير، أن يعيد الأمور إلى نقطة الصفر ويستعيد جميع ما فقده من مواقع .
إذا إستثنينا إنهيارهم المعنوى ، فإن العقبة المادية الأكبر أمام ذلك كانت نهر شمل ، وغضبته الرهيبة التى تمنع الشاحنات العسكرية وحتى المدرعات والدبابات من العبور إلى الضفة الجنوبية.
عقبة أخرى واجهت العدو وغابت عن المجاهدين وقتها وهى أن العدو يعانى من نفس المشكلة بالنسبة للدبابات ، فقد نفذت ذخائره أيضا .
لم يعد فى خوست كلها قذائف دبابات ، والإمدادات من كابول عبر "المطار الجديد" إما أنها إنقطعت أو أصبحت شحيحة جدا .

فراجمات العرب ، وإن لم تمنع نهائيا إستخدام المطار، إلا أنها جعلت إستخدامه مسألة غاية الخطورة ، وأحرقت على مدرجه عدة طائرات بمن فيها . فهى تقف بالمرصاد لحركة النقل فى المطار منذ غروب الشمس وحتى الشروق .إذن تموين الدبابات بالذخائر لن يتم إلا بالإسقاط المظلى .
فقامت الطائرات أثناء النهار بإسقاط كمية ضخمة من قذائف الدبابات على المنطقة شمال النهر .
تمت العملية بنجاح تام لولا خطأ بسيط لم يتعمده أحد بل أن "الريح " هى المسئولة عنه. إذ حملت جميع المظلات المحملة بالقذائف ، وعبرت بها نهر شمل وأنزلتها فوق دبابات المجاهدين !!!! .
لا يمكن لأحد أن يتخيل مدى فرحة المجاهدين بتلك المعجزة التى إعتبروها تأييدا ربانيا لهم . فقابلوها بالهتاف والتكبير والسجود .
فإذا كانت أمريكا وباكستان والسعودية قد حجبت عنهم الذخائر ، فقد أمدهم ا بها من عقر دار العدو .. من كابول !!.
إتصل الأخوان حقانى بأخيهم الأكبر كى يخبراه أن ا حل لهم المشكلة ، ولم يعودوا فى حاجة إلى الذخائر .
وبالفعل كفتهم تلك الذخائر إلى نهاية المعركة وفتح المدينة. وظلت هناك كمية زائدة إستخدموها بعد ستة أشهر فى الهجوم الكبير على مدينة جرديز .
(أخبرنى الأخوان حقانى بعد ذلك أن القذائف كانت محفوظة فى علب من الكرتون السميك ، ومثبت بها صواعق التفجير وجاهزة للإطلاق الفورى) .

موسكو تهدد بضربه نوويه

ونذكر هنا بأن السياسة التى أقرتها أمريكا لتزويد "المجاهدين" بالأسلحة بعد أتمام الإنسحاب السوفيتى من أفغانستان فى فبراير٨٩، هى أن تجعل المجاهد يخوض حربا " لا يموت فيها ولا يحى" ، فلا هو منزوع السلاح فيتوقف عن الحرب ، ولا هو يمتلك بين يديه أسلحة مناسبة تمكنه من إقتحام المدن التى تتمترس بها القوات الحكومية .
كان إفشال الهجوم على المدن سياسة أمريكية ثابتة تنفذها ميدانيا المخابرات الباكستانية .
وإذا نشطت إحدى الجبهات أكثر من اللازم ـ ولم يكن هناك منذ عام١٩٨٩سوى مدينة خوست ـ فإن الأيدى الآثمة للمخابرات الباكستانية ، وبتمويل سعودى غاية الكرم ـ ومعاونة أحزاب المجاهدين فى بشاور ، تقوم بسحب كل ما هو متاح من ذخائر ثقيلة للمدافع والدبابات والهاونات الثقيلة .
ليس هذا فقط فهناك محاولات لإغتيال القادة الكبار الخارجين عن السيناريو المقرر، وقد نجا حقانى عدة مرات .

ثم هناك التهديد بأسلحة الدمار الشامل (!!!) .
فقد أخبرنى حقانى قبل وقت قصير من الشروع فى عمليات خوست النهائية ، أن "**بعض أصدقاء المجاهدين**" أوصلوا إلية تهديدات سوفيتية بقصف خوست بالقنابل الذرية إن هى سقطت فى أيدى المجاهدين .
فلما سألته عما ينوى فعله ، قال : "سنتوكل على ا وليفعلوا ما يفعلوه" .
ولسوء حظ السوفييت والأمريكان ومنظومة كلاب القوى العظمى، أن المجاهدين لم يكونوا يتصورون القنبلة النووية إلا أنها أكبر من صاروخ سكود مرة أو مرتين .
عندما رأت المخابرات الباكستانية أن حقانى ينوى شن هجوم كبير على خوست قامت بعدة إجراءات سنتحدث عن بعضها لاحقا . ولكن أهمها كان إرسال أربعة شاحنات من الذخائر الخفيفة !!.
وعندما خرج حقانى ورجاله من عنق الزجاجة ، وغنموا كميات هائلة من الذخائر الخفيفة والثقيلة ، وأستعادوا المبادرة الهجومية واسعة النطاق مرة أخرى ، أرسلوا إليه خمسة عشر شاحنة محملة بالعتاد . وما أن وصلت الشاحنات المذكورة إلى الحدود الدولية حتى كان حقانى ورجاله قد إستولوا على خوست تماما. فأعادت المخابرات الباكستانية الشاحنات ولم تسلمها للمجاهدين .
(حمولة الشاحنة فى تلك المناطق الجبلية لا تزيد عن ثلاثة أطنان ـ وبعملية بسيطة نعلم أن الشاحنات تحمل حوالى ألفى صاروخ كاتيوشا ـ أى ما يعادل إستهلاك يوم واحد من القتال المتوسط فى تلك المعركة ـ وأقل مما إستخدمه العرب فى إشتباك واحد فى جلال آباد عام ١٩٨٩ حين إستخدموا ثلاثة آلاف قذيفة لقصف المدينة ـ وفى عام ١٩٨٦ إستخدموا فى معركة جاجى من ٩ الى ١٥ ألف قذيفة .

<u>الأحد ٧رمضان ـ ٢٣ مارس ٩١</u>

أكمل المجماهدون إقتحام مواقع خط الدفاع الجبلى حتى وصلوا إلى هضبة "جاجرسر".
المواقع الآخرى جنوب النهر إلى الغرب من الخط الجبلى تم إخلائها بسرعة ، وأهمها موقع "شيخ أمير" الذى صمد طويلا أمام هجمات المجاهدين فى السنوات الماضية.
تلك المواقع كانت عرضة للتطويق بعد سقوط الخط الجبلى فإنسحب منها العدو فور سقوط"جاجرسر". ولما كانت غير واقعة تحت الهجوم وقت الجلاء عنها فقد تمكن الجنود من عبور النهر بلا خسائر تقريبا بعكس زملائهم فى الخط الجبلى الذين سقط معظمهم قتلى وأسرى أو غرقى فى النهر.
* تعرضت مجموعة من شباب القاعدة لموقف حرج عندما عبرت مجموعة صغيرة منهم نهر شمل فى مقابل شيخ أمير فى محاولة لإستطلاع الوضع على الجانب الآخر وعند وصولهم إلى جرف على شاطئ النهر تعرضوا لنيران شديدة من قوات "جلم جم" الأوزبكية فجرح أحدهم وظل فى الماء البارد تحت الجرف لأكثر من إثنى عشر ساعة حتى تم إخلائه بواسطة زملائه وبعض مجاهدى المنطقة من "المتربصين" .

وكان للقاعدة مركز قرب "شيخ أمير" فى منطقة تدعى البتالون.

وقـفـة تـعـبويـة

<u>الأثنين (٨ / ٩رمضان ١٤١١هـ - ٢٤ م/٢٥ مارس١٩٩١)</u>

أوقف حقانى القتال لمدة يومين فيما يمكن تسميته بالوقفة التعبوية.الهدف منها إعادة ترتيب القوات وتموينها وإراحتها ، ثم الإعداد للمرحلة القادمة من العمليات.

ولكن أحزاب بيشاور والصحافة الباكستانية شنت حربا نفسية شديدة عليه . وروجوا أنه قد إكتفى بما حازه من مكاسب فى العمليات وأن معارك خوست قد إنتهت والمجاهدون سيعودون إلى بيوتهم!! .

وكالعادة نسبت الأحزاب إلى نفسها ما حدث ومالم يحدث من إنتصارات حتى بدا كأن وجود حقانى لا معنى له ولا تأثير .

إضطر حقانى إلى إصدار بيانا بأن المعارك سوف تستمر فى القريب العاجل وأن الوقفة الحالية هى لإعادة تنظيم الصفوف .

خلال هذين اليومين كان فيضان نهر شمل قد بلغ أشده ، وأى محاولة لعبوره كانت مجازفة كبيرة. وعندما بدأت العمليات مرة آخرى كان الفيضان مستمرا ولكن حدته قد خفت قليلا .

<u>الأربعاء ١٠رمضان - (٢٦مارس ١٩٩١)</u>

المرحلة الثانية من القتال قد بدأت بالفعل. (**أنظر خريطة المرحلة الثانية من العمليات**)

أصعب المهام فيها كان عبور النهر الثائر ثم إختراق دفاعات العدو ، الذى لم يكن قد إستحكم بشكل كاف ولم يحفر الخنادق ويبث الألغام المطلوبة ، ولكنه على أى حال وضع معظم قوة نيرانه ورجاله ودعمه الجوى الكاسح لمنع عبور المجاهدين للحاجز المائى المتلاطم فى نهر شمل ، الذى يعمل فى هذه اللحظة بالذات إلى جانب العدو فقط . ظهر من العمليات لاحقا أن الخطوط العامة لخطة المجاهدين كانت كالتالى :

١ - التركيز على المطار القديم كمحور أساسى للهجوم .

فيتم الهجوم عليه بشكل مباشر. مع هجمتان على الأطراف بهدف تجاوزه.

<u>من طرف الشرق</u> فى إتجاه "نوى كلاى" وهى ضاحية جديدة ملحقة بالمدينة.

ثم <u>من ناحية الغرب</u> تهاجم مباشرة على قلعتى "تخته بك" وهى قلعتان حصينتان قديمتان بهما مقر القيادة العسكرية للمدينة ، مع مخازن كبيرة للذخائر . وتبعد (تخته بك) عن المطار حوالى ثلاث كيلومترات .

وتبعد عن سوق (بازار) المدينة عدة عشرات من الأمتار تشغلها حديقة من الأشجار ثم شارع رئيسى مرصوف. بعده تبدأ حافة البازار المحاط بمبانى سكنية ومراكز حكومية عديدة، ثم تأتى من خلفه هضبة متون بعد حوالى كيلومترين تقريبا من قلاع تخته بيك.

هضبة متون تحولت إلى تكدس رهيب للأسلحة الثقيلة المتخندقة بكثافة غير عادية تجعل من إحتمال إصابتها بأى رماية إحتمالا كبيرا وقد أضطرت الحكومة إلى ذلك

نتيجة تقلص الأراضى تحت يدها. وكانت الهضبة مركزا للترصد بعد ضياع الجبال، ومركزا للإتصالات اللاسلكية والإذاعة.

٢ ـ كان لحقانى مجموعات قوية فى كل من دراجى ونادر شاه كوت.

الأولى يصلها بالمدينة طريق فرعى غير مرصوف ، والثانية على الطريق العام مباشرة ، وكلاهما يمكنه التقدم الآن بسهولة صوب المدينة بعد ما ضعفت كثيرا قوات العدو المواجهة لها . وإنسحاب الجزء الأكبر منها للدفاع عن المحور الجنوبى عند المطار القديم وما حوله .

٣ـ كان على مجموعاتنا العاملة ضد المطار الجديد أن تواصل عملها المعتاد ، إلى أن يصل المجاهدون إلى مركز المدينة أوالمطار الجديد .

هذه هى المحاور التى عمل عليها حقانى بالقوات المتاحة لديه تحت إمرته المباشرة .

ولكن ما أن تمكنت قواته من عبور نهر شمل وإختراق دفاعات العدو قرب المطار القديم ، حتى إندفعت قوات "المتربصين " تحاول السباق صوب مراكز العدو المليئة بالغنائم .

لم يقاتل "المتربصو" بشكل مناسب ، بل ناوشوا بشكل إزعاجى ـ كما لاحظنا من منطقتنا الشرقية ـ ولكنهم أربكوا العدو وشتتوا مجهوداته المتبقية وأرعبوا قواته النظامية وميليشيا "جلم جم" وهم يرون بحار من البشر تطبق عليهم من كل جانب.

الخميس ١١رمضان (٢٧مارس ١٩٩١)

جماعة أبوالحارث يشاركون بقوة فى معارك المرحلة الجديدة ويقتحمون النهر الهائج بكل جسارة ، ويغرق عدد منهم . ثم يشتبكون بالأسلحة الخفيفة والمضادة للدروع مع دفاعات العدو جنوب المطار القديم وعلى مجنباته.

ويبرز أبو معاذ الخوستى قائداً لتلك المجموعات، يتمتع بأفضل المزيا لقائد ميدانى ناجح. وأظن أن نجاحات أبو معاذ فى ذلك المجال لم ينافسه فيها أى عربى آخر طوال مدة الحرب فى أفغانستان .

العدو يقاتل بضراوة ولكن المجاهدون يتقدمون ببطء على طول خط المواجهة .

الطيران مازال يعمل بنفس الوتيرة الجنونية. وأى موقع ينسحب منه العدو يتم قصفه فورا بالطيران وبصواريخ سكود وهكذا كنا نعرف تطورات الوضع العسكرى من مواقعنا الجبلية فى "خرمتو" .

الجمعة ١٢ رمضان (٢٨مارس ٩١)

القتال يدور بالأسلحة الخفيفة على جانبى مدرج المطار القديم. لقد سقطت الدفاعات الجنوبية للمطار وكانت قوية ومنيعة.وكذلك هى الدفاعات الشمالية المتخندقة بشكل هائل ، وخلفها بيوت أسمنتية عديدة وحدائق ذات أشجار وقناة رى كبيرة نسبيا . وبشكل عام المنطقة تساعد على القيام بدفاع جيد، خاصة وأن المدرج الترابى المتسع يشكل عائقا كبيرا لكونه مكشوفا. لإجل ذلك تجمدت

المعارك فى المطار عند هذا الحد حتى تمكن المجاهدون من تجاوز المجنبات فأصبحت القوة المدافعة مهددة بالتطويق ، فأخذت فى الإنسحاب صوب المدينة .

السبت /الأحد /الأثنين (١٣ ـ ١٤ ـ ١٥رمضان) /(٢٩ ـ ٣٠ ـ ٣١ مارس)

فى تلك الأيام الثلاث توالى سقوط الأهداف الهامة:

* المجاهدون المتقدمون من شرق مدرج المطار القديم إستطاعوا الإستيلاء على الحى الجديد (نوى كلاى) ـ وكان بالقرب منه السجن الجديد فى المدينة فأطلقوا سراح المساجين هناك وأكثرهم كانوا "مساجين سياسيين " فكانت فرحتهم لا تقدر وقد قضوا سنوات طويلة وصعبة جداً .

* توجه المجاهدون بعدها صوب المدينة القديمة ، وكان القتال عنيفا ، يدور فى الشوارع الضيقة وعبر البيوت.

وكانت المقاومة أساسا تأتى من ميليشيا "جلم جم " الأوزبكية ، فقد كانت فرصة فرارهم معدومة نتيجة ملامحهم المميزة والمخالفة تماما لملامح أهل المنطقة . بينما كان الجنود يستطيعون الفرار بسهولة أكثر بملابسهم المدنية فيندسون بين السكان الفارين الذين كانوا يتوجهون فورا إلى المجاهدين الذين عاملوهم معاملة حسنة وسهلوا خروجهم من منطقة المعارك ومن ثم صوب ميرانشاه فى باكستان .

حتى الجنود الذين يرتدون ملابسهم الرسمية ويستسلمون للمجاهدين كانوا يعاملون معاملة حسنة ويرحلون خارج الميدان مع المدنيين بدون أى مضايقات .

أما الضباط الكبار فكانوا يعتقلون ويضعون فى الحجز فى انتظار التحقيق .

ولم نسمع أن أيا من هؤلاء تم إعدامه . بل أن أحدهم تم الأفراج عنه بعد أيام ، وكان من قبيلة منجل ، وهى الأكبر عددا فى ولاية باكتيا.

وقد تعاون هؤلاء مع المجاهدين خاصة فى عمليات الهجوم على "جرديز" التى جرت بعد ذلك بحوالى ستة أشهر . تعاونوا فى جانب المعلومات والإتصالات مع نظرائهم الضباط على الجانب الآخر. ولكن لم يشارك أيا منهم فى العمليات مع المجاهدين .

عمى !! .. متى أعود إلى البيت ؟؟

ـ بقى أن نذكر أن تعداد جنود ميليشا"جلم جم" فى خوست كان حوالى ألفى فرد ، قتل معظمهم والأسرى كانوا أقل من خمسمئة منهم ثلاثمئة مقاتل دون الخامسة عشر!!.

كان منظرهم فى الأسر مثيرا للشفقة ، فقد كان معظمهم أطفالا بكل معنى الكلمة وقد شاهدت أحدهم في الأسر وهو يسأل ببراءة الطفل أحد الحراس من المجاهدين قائلا:

ـ عمى !! متى أعود إلى البيت ؟؟ .

رأيت الحارث وقد طفرت الدموع من عينيه وهو يطمئنه بأنهم جميعاً سيعودون إلى بيوتهم سريعاً .. وقد تم ذلك بالفعل .

والسر فى وجود الأطفال هو أن هامش الربح المتحقق من ورائهم كان كبيرا . فقائد الميليشيا (عبد الرشيد دوستم) كان يتلقى عن كل "رأس " من المقاتلين مبلغاً معينا من

حكومة كابول بينما هو يعطى مبلغا أقل بكثير للمقاتل نفسه ، أما أذا كان المقاتل طفلا فإن راتبه لا يكاد يذكر. والعائلات الفقيرة مضطرة إلى توريد أطفالها ـ أو بيعهم فى الحقيقة لقائد الميليشيا.

إستحضار ميليشا جام جم إلى خوست تم، فى معظمه، بعد عمليتنا "المطار القديم " ضمن الإستعداد لصد هجوم متوقع للمجاهدين على المدينة ، ونتيجة عدم ثقة الحكومة فى الميليشيات المحلية التى بدأت " تتفاهم " مع المجاهدين ، وتهرب بشكل متزايد . بالطبع فإن توقف العمل ضد المطار لحوالى سته أشهر سهل إستيراد ميليشيات "جام جم " لتعزيز دفاعات المدينة . أى أنه سهل إبادتهم فى حقيقة الأمر .

١ ـ المجاهدون الذين تسربوا من الطرف الغربى للمطار توجهوا مباشرة إلى قلعتى "تخته بك " ـ وكانت القوة المهاجمة مكونة من كتيبة سلمان الفارسى وجماعة أبو الحارث .

سقطت القلعة الكبيرة ، وفر المدافعون عنها إلى القلعة الصغيرة التى سرعان ما سقطت هى الآخرى بعد مقاومة بسيطة .

٢ ـ أشد المعارك دارت فى " البازار" وما حوله من مقار حكومية عسكرية وشبه عسكرية . وقد شاركت دبابات المجاهدين فى تحطيم أوكار المقاومة . ولم نعد نسمع أى خبر عن دبابات العدو . والغالب أن طواقمها قد فرت منها بعد أن شعروا بخطورة النيران المضادة للدروع التى يطلقها المجاهدون بكثافة من قواذف "آربى جى" .

جثث القتلى كانت كثيرة ومتناثرة فى شوارع المدينة وما حولها من مناطق زراعية . عدد كبير من الضباط الشيوعيين قتلوا والكثير منهم فر عبر الجبال فى ملابس مدنية ، وبعضهم لجأ إلى القبائل لتهريبة فى مقابل كميات كبيرة من المال. تم القبض على بعض هؤلاء ومنهم قادة عسكريون كبار فى الجيش والإستخبارات بعضهم تم القبض عليه وهو مازال يغير ملابسه من العسكرى إلى المدنى .

تراجع المدافعون إلى الخاف صوب هضبة متون. وتحت ضغط الرمايات تقهقروا إلى داخل "قلعة متون " وهى الرمز الأشهر فى مدينة خوست التى تظهر ضخمة ومهيبة للناظر إليها من بعيد (وقد رأيناها من الداخل، قلعة قديمة وتعيسة ولكن مساحتها ضخمة وتحتوى مبنى للإذاعة).

كان الأخوان (إبراهيم وخليل) يطاردان أوكار المقاومة فى البازار بواسطة الدبابات ، ولما إنحسرت المقاومة فى قلعة متون أدارا إليها مدافع الدبابات وبدأوا فى تحطيم الأبراج التى تنطلق منها النيران فبدأت تنهار .

أيقن المدافعون عبثية المقاومة فأرسلوا إشارة الإستسلام التى كانت عرفاً بين المقاتلين ، وهى إطلاق قذيفة "آر بى جى" فى الفضاء .

أوقف "الأخوان حقانى" رماية الدبابات وأمرا المشاة بالصعود إلى القلعة وإحضار الأسرى. ولكنهم ما كادوا يفعلون حتى شاهدوا مجموعة آخرى تدخل إلى القلعة

وتصعد إلى أعلى الأبراج لترفع فوقه علم "تنظيمها الجهادي" ـ حزب إسلامى حكتيار ـ الذى كان "يتربص جهاديا " حتى فاز بالرمز الأعظم للمدينة ، وهو قلعة متون!! .
كاد "إبراهيم " إن يفقد صوابه وطالب رجاله بالاستعداد للهجوم على القلعة لإخراج هؤلاء المتطفلين .
حقانى الذى كان يتابع ما يحدث عند خليل عبر المخابرة ، رفض إستخدام القوة لإستعادة القلعة . وذلك من منطلق شرعى وحرمة الإقتتال بين المسلمين . ثم من ناحية واقعية وهى إستشراء إغتصاب الغنائم بواسطة الآلاف من المتربصين من رجال الأحزاب ، بل وأيضا ظاهرة جديدة تتشكل لأول مرة وهى ظاهرة قوافل الغلول وهى آلاف من المسلحين القبليين الذين قدموا من وراء الحدود بالسيارات والتركتورات والشاحنات لسلب كل ما يمكن وضع اليد عليه، بعد لصق صور قادة بشاور فوقه ، من مدارس ومقار حكومية وعسكرية ومرافق عامة .
كان على حقانى ورجاله قبول ذلك "الأمر الواقع" الهمجى والمتوحش أو قبول حرب داخل خوست وعلى أطرافها ، حرباً لا تبقى ولا تذر ، سيكون المجاهدون أول ضحاياها ، فقبل حقانى بالخسارة المادية دون خسارة الآرواح .
لم تكن الخسارة مادية فقط بل كانت دعائية أيضا. فمن بشاور شن حكتيار ورجاله حملة دعائية واسعة ـ تعودوا على أمثالها قبلا ـ قائلين بأنهم فتحوا مدينة خوست واستولوا على هضبة متون وقلعتها الشهيرة . ربما كان معظم ما قالوه صحيحا إلا شيئا واحدا ـ ليس له أهمية بالنسبة لهم ـ وهو أنهم لم يفتحوا خوست ولم يشاركوا فى هذا الفتح . وكذلك الأمر بالنسبة "للأحزاب الجهادية" فى بشاور ، بل أنهم قاوموا هذا الفتح وحرضوا رجالهم على حقانى وحذروهم من مشاركته فى أى عمل عسكرى .

الســطو على بـنـوك المدينة

من أهم غارات "الغلول" الناجحة كانت الغارة على أفرع البنوك فى المدينة التى كانت تحوى المليارات من العملة الأفغانية .
اللطيف أن شيئ من هذا كله لم يقع فى أيدى المجاهدين ، بل لم يجرؤا على مجرد لمسه ، وإلا ...!!
كانت الأموال تقسم بين مغاوير الغلول بالأكوام وليس بالعدد . ثم تتحول الأكوام إلى زكائب ، ثم توضع فى سيارات (بيك آب) وتتجه صوب باكستان .. التى إبتلعت ثروات أفغانستان ومستقبلها .
شاعت قصة عن أحد مغاوير الغلول الذى ملأ سيارته "البيك آب" بزكائب النقود ثم حزمها بالحبال ، وساقها صوب ميرانشاه وهو يضحك وكل عدة أمتار يوقف سيارته وينزل منها ويدور حولها ليتأكد أن شيئا من الزكائب لم يسقط .

فى فناء بيته فى ميرانشاة أحصاها مرة آخرى .. وهو يضحك .. ولعدة أيام ثم عدة أشهر كان يسير فى شوارع ميرانشاة سعيدا .. وهو يضحك .. لأنه لم يفقد شيئا من الزكائب، فقط ضاع منه شيئ صغير جدا لا أهمية له .. لقد فقد عقله !!

** الغلول لم يستثن شيئا ـ بالمعنى الحرفى للكلمة.

حكى لى حقانى قصة مرت به ، بعد شهر من فتح المدينة ، حين شاهد شابا صغير السن يحمل جزء من سرير خشبى مكسور ويسحب خلفه كلبا صغيرا بحبل قديم . فنزل حقانى من سيارته وذهب إليه يسأله عن هذه الأشياء . فرد عليه الشاب بكل فخر : هذه من غنائم خوست .

نعم هذا هو كل ما تبقى من خوست بعد نهبها بتلك الطريقة البشعة ، لم تنجو حتى كلابها الضالة من أن تكون ضمن الغنائم .

** وحتى آلهة الهندوس الذهبية لم تصادف التقدير المفترض .

فقد عرض بعضها فى ميرانشاة مقابل أعلى سعر ، وتقدم الهندوس لدفع فدية للأفراج عن آلهتهم . وعندما قدموا من الأموال أكثر مما قدمه الصاغة وتجار الذهب ، أستردوا الآلهة وعادوا بها فرحين.

الهندوس أنفسهم لم يتعرضوا لأى مكروه عندما إستولى المجاهدون على قريتهم ذات الأسوار. رغم أن موقف الهندوس كان مواليا لحكومة كابول وحكومة الهند الحليفة لها. وقد أغاظ ذلك العرب الذين شاركوا فى الفتح. ومنهم صديقنا "أبوتميم" الذى رافق مجموعة الكوماندان "شرين جمال" التابعة لحقانى، والذى تعامل مباشرة مع الفارين الهندوس.

لقد غادر الهندوس مدينة خوست تحت إشراف وحماية مجاهدى حقانى رغم إعتراض العرب على تلك المعاملة الكريمة "غير المبررة" .

(قبل أن تبدأ الحملة الدولية لطرد العرب من باكستان ، فى إبريل ١٩٩٣ ، عرضت على بعض العرب أن نهاجر بعائلاتنا من باكستان إلى خوست . ثم إتصلت تلفونيا مع حقانى فى ميرانشاه وطلبت منه أن يعطينا قرية الهندوس كى نحولها إلى قرية عربية ، حتى ننجو بأنفسنا من مجزرة على وشك أن تبدأ . ضحك حقانى وقال أن ذلك قد يتسبب فى مشكلة ومن الأفضل أن نبحث عن حل آخر فى خوست أيضا . لكن أحدا من العرب لم يوافق على الهجرة إلى أفغانستان وفضلوا السفر إلى الدول الخارجية حيث تم إصطيادهم بسهولة) .

****

أطقم تشغيل الراجمات العربية

بدأنا العمل فى "الجبهة الشرقية "ولدينا راجمة واحدة فى منطقة "خرمتو" على مسافة ليست بعديدة من "جبل كوكاراك " وهضبة "أليسار" المخيفة .

حفرنا مغارة الراجمة بغرض حماية الطاقم أساسا وللمبيت وتخزين الذخائر . كان العمل بها صعبا لبعد المكان والأمطار التى أحالت المنطقة إلى بركة هائلة من الطين لا تكاد تجف . لذا لم تكتمل المغارة بالشكل المطلوب ، ولكن إكتفينا بما تم إنجازه وكان يكفى بصعوبة للتحقيق المطلوب .

طاقم تلك الراجمة كان من شباب "القاعدة " ، ويقودهم "أبوهمام المصرى"وهو من أفضل عناصر الجبهات (إعتقلته سلطات الأمن فى الأمارات وسلمته للحكومة المصرية عام ١٩٩٣) ـ ويساعده "أبوحبيب السودانى" ـ وهم ممن أعتبرهم "رهبان الجبهات". كان حالة روحانية عالية ، تتعبد وسط الأخطار ، بروح طيبة وابتسامة دائمة ، وخدمة لإخوانه متواضعة لا تعرف الكلل. فكان يبث فيهم الطمأنينة والثبات وإنشراح الصدر . (أبوخبيب فى جوانتانامو منذ ٢٠٠٢).
باقى الطاقم كانوا ثلاثة من الشباب الجدد.
كما هو الأسلوب المعتمد لدينا منذ "مشروع المطار القديم " وضعنا الراجمة أقرب ما يمكن من باب المغارة ((كانت ذات باب واحد وهو مخالف لقوانين المغارات لدينا ولكن لم يكن لدينا وقت لاستكمال العمل)) .
كان أبوهمام وأبوخبيب كلاهما يستخدم الراجمة بشكل جيد. وكلاهما تصدى بجدارة للمواقف الصعبة والخطيرة التى مرت عليهم أثناء مهمتهم الإستثنائية تلك .

أبـطال من الصعـيـد

الراجمة الثانية (والأخيرة) كانت فى منطقة ماليزى ، فى مركز الكوتشى ولكن بعد يومين سحبنا الراجمة وأحضرناها إلى خرمتو فى مقابل الجبل الذى نستخدمه للترصد وخاف الهضبة الأخيرة "للخط الأول". وإستخدمنا أحد الأجراف للحماية وتخزين الذخائر والمبيت ، حيث أن العمل يتم فى معظمه ليلا . ورفض الطاقم إستخدام مغارة كنا قد أعددناها للراجمة والطاقم على نفس طرازنا المعتمد .
كانت المغارة مرتفعة عدة أمتار عن سطح الأرض وربما أن الطاقم لم يسترح لذلك ، فوافقتهم على ماذهبوا إليه طالما قد ألفوا إستخدام الأجراف وتعودوا عليها فى منطقة ماليزى مع البدو .
الأهم فى موضوع الراجمة الثانية كان هو طاقم التشغيل . فلم يكن لدينا فى البداية أى طاقم ، حتى تحسن نسبيا موقف "القاعدة" معنا فأمدونا بطاقم من شخصين يرأسه أبوهمام. وإنتقلنا إلى العمل فى خرمتو ولم يكن لدينا غير ذلك الطاقم .
وفجأة هبط على مركزنا الإدارى فى مركز "أبوالعباس " مجموعة من شباب الجماعة الإسلامية المصرية كانوا فى طريقهم إلى منطقة "خادن" حيث هناك أشهر معسكر تدريب خارج نطاق معسكرات القاعدة . وكان عليهم أن يمروا علينا أثناء المسير فى منطقة خرمتو . ولما علموا بالعجز الذى نعانيه تطوعت مجموعة منهم لإدارة الراجمة الثانية .
كانت لفته نادرة للرجولة مازلت أحتفظ بها لهم . ليس هذا فقط بل أنهم أثناء العمليات أظهروا من الهدؤ ورباطه الجأش مالا يقدر عليه إلا الأفذاذ من الرجال . ولم يتذمروا مطلقا رغم أنه كان لدينا الكثير من دواعى التذمر .

ولأن راجمتهم كانت فى منطقة مسطحة فقد نالها الكثير من القصف الخطير ، بالقذائف العنقودية والقنابل الثقيلة . ولكن ثبات هؤلاء الشباب كان عجيبا لذا فما زلت أعتبرهم أفضل مجموعة عربية عملت معها طول فترة الحرب فى أفغانستان.
ما أن دخل المجاهدون خوست وسيطروا عليها حتى طلب هؤلاء الشباب المغادرة إلى معسكر خلدن بعد رؤية المدينة التى تم فتحها.
رفضت بأدب وإحراج. فقد كنت بالفعل أخشى من أن ينقلب الموقف فجأة . فهناك حمى من النهب تدور فى المدينة والجميع وضعوا السلاح جانبا ليكونوا أكثر حرية فى خطف الغنائم .
كنت أخشى أن تستفيق "قوة ما" للعدو فيتحول الموقف فجأة إلى مهزلة ، بل مجزرة مروعة ، ويفر هؤلاء على غير هدى وتعود المدينة إلى قبضة القوات الشيوعية . فى الحقيقة كانت تجربة "غزوة أحد" ماثلة أمام ناظرى ، والعديد من نقاط التشابه لا تحتاج إلى ذكاء لإكتشافها ووقوفنا خلف الراجمات تحت أقدام تلك الجبال وأمام هضاب الخط الأول لضرب طائرات العدو فى المطار ، ذكرنى كثيرا بموقف الرماه فى "أحد" .وقد شرحت لهم ذلك فاقتنعوا ليوم ثم ليومين . ولكن فى اليوم الثالث كان الجميع ضدى فأضطررت إلى تفكيك حالة التأهب وتجميع المعدات والتجهيز للرحيل .
وقد ظللنا ليلتين نسهر كالمعتاد وراجماتنا متوجهة نحو المطار على نفس الإحداثيات التى كانت عليها وقت الإشتباك الأخير .
وكان من حولى يضحكون ـ وإن بفخر ـ وأنا أقول لهم: " نحن الرماة لن نترك الجبل حتى نتأكد أن العدو قد لفظ أنفاسه الأخيرة " .
راجمة "الجماعة الإسلامية" فى الموقف الأضعف بالنسبة للحماية من الرمايات المعادية ـ ولكنها كانت فى الموقف الأفضل بالنسبة لعملية الإمداد بالذخائر والإداريات الأخرى . فقد كانت على مسافة ثلاثمئة متر من "مخزن الخط الأول" وهو مغارة ذات منفذ واحد لكنها قوية جدا كانت تحتوى على نصف مخزون الذخائر والأطعمة تقريبا. والنصف الآخر فى مركزنا الإدارى على نهر شمل فى قرية "لاكان" مركز "النصف نعل".
كان مبدأ الإنتشار مبدأ أساسياً فى عملنا، نتيجة القصف الجوى الهائل الذى غمر مسارح العمليات فى خوست كلها، ومنطقتنا بوجه خاص .
وكما أخبرنا أبوالحارث وجماعته أنهم عندما كانوا يشاهدون القصف الجوى علينا ليلا لم يكونوا يتصورون أن يبقى من بيننا أحياء. وكانوا يدعون ا لنا ثم يتصلون بنا على المخابره بعد إنتهاء القصف وكنا ممتنين لهم كثيرا على هذا التعاطف، فهم أيضا فى مواقف صعبة.

سبب سحب راجمتنا من ماليزى وإحضارها إلى خرمتو هو أن البدو هناك إستخدموها "بحرية تامة " على عكس إتفاقنا معهم بأن تلك الرجمة مرصودة فقط للعمل ليلآ ضد المطار ، وأنه لا شأن لنا بأى عمليات أرضية أخرى ، حيث لكل عملية مساندة أرضية خاصة بها ـ وقد وافقوا على ذلك .
ولكن ما أن توسعت العمليات الأرضية من محورها فى ماليزى وتحول إلى محور أساسى فى الهجوم، حتى إنقضوا على راجمتنا وذخائرنا يستخدمونها لدعم إخوانهم أينما كانوا ـ ولم يكونوا يتوقعون كشأن باقى المجاهدين ، أن أموال العرب أو ذخائرهم يمكن أن تنفذ .
ولم يكن ذلك صحيحا وبشكل خاصعرب خوست، وبشكل أشد خصوصية فى مشروعنا للمطار الجديد .
فأضطررنا إلى سحب الراجمة والذخائر إلى خرمتو رغم أن موقعها فى ماليزى كان أفضل بكثير من حيث مجالها الواسع فى الرماية على المطار،على عكس زوايتنا الضيقة للرماية فى خرمتو .
قبل إنتقالهم إلينا ضرب العدو منطقة ماليزى بصاروخ سكود ذو رأس من غاز الخردل . كان تقديرنا ونحن نشاهد المنظر من فوق قبل الترصد فى خرمتو أن الضربة قد تكون مباشرة أو قريبة جدا من مركز البدو وإخواننا على الراجمة. قررنا عدم الإتصال بهم لاسلكيا حتى لا تنتشر بين المجاهدين حالة فزع من ضربات الغاز ـ ولكن جماعة أبو الحارث إتصلوا بهم للإطمئنان فلما علموا أنهم بخير سألوهم عن مكان سقوط الصاروخ فردوا عليهم بأنه سقط على مسافة مئة متر من موقعهم (!!) فصرخت فيهم راجيا عدم تصحيح رمايات العدو .
وكانت مكالماتنا اللاسلكية موضوعة تحت رقابة العدو ، ومثل هذه المعلومات قد تكون وخيمة العواقب.
فى بداية العمليات كان العدو يتداخل معنا فى الاتصالات بواسطة أفراد يتكلمون عربية ركيكة تعلموها فى منطقة الخليج .
فوجهوا إلينا ما إستطاعوا من شتائم وتهديدات ، فكان الشباب يغضبون ويردون لهم الصاع صاعين. فأوقفت تلك المهاترات وطالبت الشباب بعدم الرد عليهم والإكتفاء بتغيير موجات الإتصال .

جواسيس .. وطائرات

كان للعدو بعض "الإصدقاء" من حولنا يبلغونه المعلومات الضرورية عما يدور عندنا، كما حدث معنا فى صباح اليوم الثالث للمعركة . وكنا فى الليلة السابقة رمينا بعض القذائف على المطار . وذلك لأول مرة منذ حضورنا ـ حيث أن الأمطار منعت العدو من إستخدام المطار فى الليلتين الأولى والثانية .
كانت رمايتنا كثيفة نوعا ما، على غير ما تعود العدو منذ إستخدام المطار الجديد قبل ستة أشهر .

فى الصباح رأيت ثلاثة من الرجال النشطين قادمين نحونا ماشين فوق خط الافق للجبل بدون إحتراس ـ على غير عادة المجاهدين فى أوضاع المعارك .
على الفور إستنتجت أنهم من جواسيس العدو العاملين فى المنطقة ـ وكنت قد رأيت أمثالهم كثيرا فى السنوات الماضية حتى صرت أعرفهم من طريقة مشيهم قبل الكلام معهم. دخلوا مغارتنا المعلقة فى جبل الترصد، وكانت مخصصة لمبيت طاقمنا القيادى ، وإدارة النيران .
قبل وصولهم أخبرت إخوانى أن طاقما من الجواسيس قد جاء إلينا ـ وسيأتينا قصف الطيران بعد إنصرافهم بقليل .
وبالفعل بعد إنصراف هؤلاء بحوالى ساعتين جاءتنا ضربة جوية بصاروخ جو أرض أخطأ مغارتنا وأصاب القمة التالية لنا .
وعند الغروب جاءتنا ضربة أكثر خطورة كادت تكون قاضية لطاقمنا القيادى كله . وأيضا بصاروخ جو أرض .
قبل الغروب بقليل صعدنا من المغارة الرئيسية فى جبل الترصد ،وهى قريبة من القمة ،إلى "خندق إدارة العمليات" الموجود على خط الأفق لنفس الجبل ، وهو خندق حفره المجاهدون فوق الجبل بعد إنسحاب القوات الحكومية منه (عام ١٩٨٩). كان على السفح الآخر للجبل مجموعة خنادق مواجهة للمدينة كما هى العادة فى الخنادق الحكومية . لهذا السبب لم يكن من الممكن إستخدمها لكونها مكشوفة للمواقع الحكومية المقابلة لنا .
إلى جانب سبب آخر وهو أنها ضيقة وكئيبة وكريهة الرائحة لدرجة لا تطاق، لذا لم نستخدمها أبدا ، بإستثناء واحد حدث معى سأذكره لاحقا .
كان معى أربعة من الشباب ، وضعنا مهماتنا على حافة الخندق وهى بعض الأغطية لأن الجو بارد وسيزداد برودة مع دخول الليل. وكان معنا منظار مقرب وجهاز مخابره ، وأيضاً " براد شاي بالحليب " نتناوله قبل وأثناء العمل بغرض التدفئة ورفع المعنويات. فعملنا هنا، هو عبارة عن "بحلقة" بالمنظار وصراخ على المخابرة .
كانت الطائرات النفاثة موجودة فى الجو على إرتفاع كبير. لم نكن نراها أبدا ، وكنت أعتمد على حاسة السمع فى تجميع المعلومات عنها . والغريب أن أكثر تلك المعلومات تكون صحيحة .
من هذه المعلومات أن هذه الطائرات حديثة من طراز لم يستخدم قبلا . كذلك الذخائر ، فقد كان معظمها جديدا ، خاصة القنابل العنقودية التى ظهر العديد من أنواعها الجديدة ، وتقلص كثيرا ذلك الطراز الفضائي الذى كان يحدث إنفجارات كثيرة فى الجو قبل أن يصل إلينا فى الأرض. أى أنه كان يقدم لنا إنذارا مبكرا كى نختبئ . وفى الغالب الأعم لم يكن ذلك مفيداً جدا نتيجة إفتقارنا للخنادق

المسقوفة . ولكنه كان مفيدا لهؤلاء الذين يمتلكون مغارات أو يعملون قرب الجروف .
دخل وقت صلاة المغرب , فأذن أحد الشباب . وطلبت منهم الصلاة جماعة فى المغارة بالأسفل لأننى شككت أن موقعنا مستهدف من الطيران . وأننى سأبقى للصلاه قرب الخندق حتى أستدعيهم بسرعة إذا هبطت طائرات نقل فى المطار.
بقى شخص واحد قريبا منى لمساعدتى فى إستدعاء الشباب عند الضرورة .
بدأت فى الصلاه ، وزاد إهتمام الطيران بنا . وعند السجود سمعت صوت فحيح فعلمت أن الطائرة قد أطلقت صاروخاً فى إتجاهنا، وقدرت أنه سيصل عندى تحديدا وقت نطقى بالتشهد ، فإسترحت لفكرة الموت بعد قراءة التشهد . وبالفعل حدث الإنفجار فى الوقت الذى خمنته تماما ، ولكن أخذنى الذهول لجزء من الثانية لكون الأنفجار حدث أسفل منى بحوالى مترين . فقد كنت على قمة صخرية تعلو جرف جبلى حاد .
غمرتنى سحابة سوداء وسمعت سقوط كتل ضخمة وأتربة كثيفة لم أتصرف تلقائيا كما هى العادة ولكن فكرت : ماذا على أن أفعل الآن ؟ .
تذكرت أنه ينبغى أن أنبطح على الأرض وأن أغطى رأسى بيدى حتى أحميها من كتل الصخور والقطع المعدنية الملتهبة المتساقطة .
فعلت ذلك ، ورغم كثرة الصخور الضخمة المتساقطة لم يصبنى منها شئ.
من المغارة حضر إلينا الشباب يهرولون ، وأحدهم ينادينى بفزع وكان الدخان الأسود والتراب يغطى المكان بكثافة،فأجبته أننى بخير. وسألت عن باقى الشباب فكانوا جميعا بخير . فحمدنا ا ـ وجلسنا فى الخندق متوقعين ليلة حافلة بالعمل خاصة وأن الجو صحو ويسمح بإستخدام المطار . وقد كان الأمر كذلك .

بحـر إسكندريـة

إستخدمت الخنادق الحكومية لمرة واحدة فى تلك الحرب .
فى الليالى الأخيرة للمعركة كان القمر فى السماء معظم الليل . وكان العدو يستخدم المطار ـ أو يحاول ذلك ـ فى النصف الثانى من الليل ، لذا كنت حريصا على أن أكون متيقظا نشطا فى ذلك الوقت . فى تلك الليلة تأخرت طائرات العدو فى القدوم إلى المطار ، فخرجت أمشى منفردا على السفح الآخر للجبل فى مقابل المدينة . كنت أتفقد الخنادق المسقوفة القديمة أتأمل طريقة بنائها وتوزيعها فوق الجبل وأتخيل حياة من كانوا فيها ، وأتعجب من سؤ الخنادق ونتنها وبؤس الحياة فيها ، كنت أنظر إلى داخلها ولا أدخل فيها .
كنت أرهف السمع لأصوات الطائرات بشكل دائم . فسمعت صوت طائرة نفاثة على إرتفاع كبير ، وبعد ثوان سمعت صوتا كأنه موج البحر ، ولما كان الجو هادئا شاعريا ، وضوء القمرالمكتمل يضفى سحرا رائعا على الجبال والوادى المقابل لنا ، فذهب خيالى إلى ليالى مدينة الأسكندرية وأصوات موج البحر وأيام الشباب الذهبية .

فجأة تنبه عقلى وأزاح خيالاتى وعواطفى ، وبصعوبة وتنبهت أن شيئا غير طبيعى يحدث ، ولا أدرى ما هو . هذا الصوت غير طبيعى ولا شك أن له علاقة بصوت الطائرة التى عبرت .
هناك كارثة ستحدث لا أدرى ما هى!!. من الأفضل إذن أن ادخل إلى الخندق المسقوف وأنتظر . فعلت ذلك وبقيت عدة ثوان أراقب الموقف من فوهة الخندق .
وفجأه تحولت المنطقة إلى جحيم من العيار الثقيل .. آلاف الإنفجارات القوية المتتابعة إنه قصف عنقودى بدون إنذار مسبق .. هكذا قدرت وقتها ـ كانت ضربة خطيرة هددت جديا راجمات الصواريخ لدينا ، وموقع ترصدنا فى نفس الوقت .
كانت أخطر ضربة جامحة مباغته بهذا الشكل نتلقاها فى عمليتنا تلك .

رائحة الكفر

تكلمت عن بشاعة خنادق الجيش الحكومى . وتلك ظاهرة عامة . وكان أبشع مارأيت هو خندقهم الرئيسى فوق جبل تورغار (راجع كتاب المطار-٩٠) . وكيف أن ذلك الخندق كان مكانا للقتال ، والإحتماء والمبيت ، ودورة مياه. كان الوضع أبشع من أن يوصف مجرد النظر إلى داخلها كان مأساة . لذا لم يدخلها أحد من المجاهدين تحت أى ظرف نتيجة رائحتها البشعة ومنظرها المرعب .
جميع بيوت الشيوعيين فى المدينة ، بل والمدينة نفسها كان لها رائحة سيئة أطلق الناس عليها "رائحة الكفر". بعض كبار السن ممن هاجروا من المدينة منذ الإنقلاب الشيوعى "عام ١٩٧٨" عادوا بعد الفتح شوقا لرؤية المدينة وفرحاً بالفتح .
لم يستطيع هؤلاء البقاء فى المدينة سوى لوقت قصير ثم فروا منها . والسبب هو "رائحة الكفر" التى إستمرت فى المدينة ولم تزول إلا بعد ستة أشهر كاملة .
كانت زجاجات الخمر الفارغة شائعة جدا فى المقار الحكومية والعسكرية.وعلى جدران البيوت هناك صور ممثلات السينما الهندية .
لم "يضبط" بيت واحد به نسخة من القرآن الكريم. فى المقابل كانت "أصنام لينين" موجودة بكثرة غير عادية بمختلف الأحجام . وهناك حجم صغير "لصنم نصفى" يوضع فوق مكاتب المسئولين. وتم تحطيم تلك الأصنام والتمثيل بها عند دخول المجاهدين .

قوة النيران والترصد

ما أن ركزنا راجماتنا فى مواضعها حتى بدأنا التعرف على المطار نفسه وظروفه ـ فهذا شيئ مفروغ منه ومستمر منذ فترة ـ ولكن الأهم هو التعرف على أى مجموعات أخرى ستعمل ضده سواء بشكل كامل وتخصصى ـ كما هو حالنا ـ أو بشكل جزئى ، أى كمهمة ثانوية إلى جانب مهام رئيسية أخرى .
من الصنف الأول لم نجد أحدا . حتى الكومندان وزير الذى أخبرنا أنه سيعمل بشكل متخصص ضد المطار بالترتيب مع الحكومة الباكستانية التى زودته بكميات كبيرة من

الذخائر. وزير هذا لم نجد له أثر فى معركة خوست كلها ، لا ضد المطار ولا ضد أي شيئ آخر .
فتأكد ظنى السابق من أنه كان جزء من خطة باكستانية لحماية المطار وليس الهجوم عليه ـ وبمعنى آخر جزء من خطة لحماية خوست من الإنهيار ولإفشال فتح خوست كما فعلوا فى جلال آباد عام١٩٨٩ ـ حين لم يوجهوا أحدا من المجاهدين لقطع طريقها مع العاصمة كابول حيث تأتى القوات والدعم العسكرى .
وكما فعلت باكستان ـ بكل أسف حين أفشلت عمل حقانى فى جرديز بعد عدة أشهر من فتح خوست ـ حين تبنت مشروعا لقطع طريق جرديز كابول . وعند العمل إتضح أنه مشروع لحماية الطريق من الإغلاق ، وإفشال هجوم حقانى لفتح المدينة ـ وقد نجحوا فى ذلك .
صديقنا حاجى إبراهيم ، نجم عملية "المطار القديم " إتصل بوحدات المدفعية والراجمات التابعة لحقانى ، مستفسرا عن إمكانية دعمهم للعمل ضد المطار. فوعدوا خيرا إذا أتيحت لهم الفرصة. وعندما بدأت العمليات ، كان مجرد الإتصال بهم عملية صعبة . وقد تلقينا فى مناسبات نادرة بعض المساندة العابرة .
إذن سنخوض المعركة منفردين تماما ـ وهذا ما حدث بالفعل ـ براجمتين فقط أى أقل من نصف قوة النيران التى كانت تحت تصرفنا فى عملية المطار القديم .
الأسوأ من كل هذا هو عملية المعلومات. فالترصد اللاسلكى لقيادة حقانى (عبد العزيز وفضل) اللذان قدما لنا معلومات غاية الأهمية والدقة فى مشروعنا السابق ، أخبرانا هذه المره أنهما لن يكونا معنا نتيجة الإنشغال الكبير بأعمال أخرى مع حقانى .
هذه المرة لم يكن لترصد تورغار قيمة تذكر نتيجة بعد المسافة بين الجبل والمطار الجديد . وأيضا لإنشغال معظم من كانوا فوق الجبل بالعمليات الأرضية .
إعتمدنا على أنفسنا بشكل كامل فى عملية الترصد ، وكان ذلك الجانب الأكثر بؤساً فى عملنا . إذا كنا أشبه بأعمى يقاتل فى الظلام يخطئ أكثر الوقت ويصيب أحيانا .
كان ذلك مرتبط إلى درجة كبيرة بأمكانية الرؤية فى ضوء القمر فالعمليات بدأت مع بداية شهر رمضان وفيه معظم الليل يكون مظلما ولكنه يتحسن يوما بعد يوم . وكذلك كان أدؤنا يتحسن بنفس النسبة . حتى وصلنا إلى درجة جيدة فى النصف الثانى من أيام العملية.
* إصاباتنا المؤكدة كانت ست طائرات إحترقت أو إنفجرت على المدرج ليلا.
وكان البدو قد سبقونا خلال الأشهر الست التى أعقبت عملية المطار القديم بأن أحرقوا ثلاث طائرات واحده اسقطها الشاب " باتشا دينا " بواسطة صاروخ ستنجر، (كما ذكرنا فى كتاب المطار ٩٠). وإثنتان أصابوها بالمدفعية من موقعهم فى ماليزى .
ذلك بالنسبة لطائرات النقل العسكرية التى هى عماد عملية التموين والأمداد بالسلاح والجنود وجميعها من الطراز الحديث وقتها ـ (انتينوف٣٢) .

وقبل فتح المدينة بيوم واحد أى فى يوم الأحد ١٤ رمضان(٣٠مارس) أسقط أحدهم طائرة هيلوكبتر عسكرية من طراز (مى ـ 24) . وكانت خطوط القتال قد وصلت إلى داخل "البازار" كما ذكرنا ولسبب مجهول لم تتجه قوة أرضية ذات قيمة نحو المطار الجديد وظلت راجمتانا هما قوة النيران الوحيدة الموجهة صوبه.
لأجل ذلك ظلت محاولات العدو مستمرة لإستخدمه، وبإصرار شديد .
وفى صباح يوم الفتح (١٥رمضان ـ ٣١ مارس) حاولت طائرة نقل عسكرية أن تفر من المطار ، وكانت قد هبطت ليلة أمس وسط الرمايات ، وحاولت الإقلاع فمنعتها رماياتنا فإنتظرت حتى ضحى اليوم التالى ـ وهو تكتيك إستخدمه العدو معنا فى عمليتنا ضد المطار القديم. وقد نجحت إحدى طائراته فى الإفلات فى يوم سابق بنفس الأسلوب. ولكن هذه المرة إنتبهت مجموعتنا قبل هروب الطائرة ومنعتها نيران الراجمات من الإقلاع وأصابتها ببعض الشظايا .
وكان أبوكنعان وقتها فى نقطة الترصد وأدار نيران راجمتينا على الطائرة.
وكان من نتيجة ذلك أسر جنرال طيار كان يقود الطائرة ، وأسر المستشار العسكرى لرئيس الجمهورية وكان جنرالا يدعى "صلح أمل" ،(وهو إسم شهرة إكتسبه أو أطلقه على نفسه لكونه كان يدعو إلى مصالحة وطنية ينضم إليها المجاهدون ويشكل الجميع حكومة مشتركة ـ وهو ماتسعى إليه أمريكا والسوفييت بهدف منع قيام حكم إسلامى على يد المجاهدين ، وهو أشد المحرمات فى السياسة العالمية) .
بعد الفتح أجريت على إنفراد أحاديث مطولة مع الجنرالين الأسيرين. مع الأول كانت حول وضع سلاح الجو ، وعمليات إغلاق المطارين القديم والجديد . كان من أهم ما علمته منه أن السوفييت طالبوا حكومة كابول عدم التخلى عن المطار القديم مهما كان الثمن ، وعرضوا تعويض خسائر حكومة كابول من الطائرات بشكل فورى بطائرات جديدة من أحدث طراز . ثم أعطانى أرقام خسائرهم فى الطائرات فكانت مطابقة لما لدينا من أرقام بالنسبة للطائرات التى أحرقت على المدرج وهى(١٤طائرة) ـ أما التالفة بشكل دائم فقال أنها عشر طائرات تمكنت من الطيران إلى كابول للإصلاح . ولكنها ما زالت رابضه هناك لأن إصاباتها كانت عسيرة الإصلاح . وبهذا تكون نتائج العملية هى تدمير وإتلاف ٢٤ طائرة نقل عسكرية، وهو رقم كبير جدا بمعايير وقتنا ذاك .
سألته عن السر وراء شجاعة الطيارين وهبوطهم فى المطار رغم القصف الشديد وتعرضهم للإصابة فقال " إنهم يتوكلون على ا !!" . ضحكت وسألته إن كانوا يتعاطون خمورا أو مخدرات فنفى ذلك وقال أنه ممنوع حسب القوانين ، ولكننا ندفع لهم مكافئات كبيرة خاصة فى مهامتهم فى خوست . ثم سألته كيف يتم تكليف جنرال مثله فى مهمة خطيرة كهذه ؟ أليس هناك طيارون شباب ؟ لم أظفر منه بإجابة شافية. ولكنى إستنتجت أن خطورة المهمة لم تجد أحد ينفذها سوى صاحب هذه الرتبة

الكبيرة . خاصة وأن المهمة هى، على ما يظهر، كانت إنقاذ عدد كبير من الجنرالات الكبار فى الجيش والإستخبارت من الوقوع فى الأسر .
لقد نجا عدد من هؤلاء وسقط آخرون فى الأسر .

الجنرال المستشار

أما الجنرال "صلح أمل" فكان أكثر عمقا فى إدراكه للأمور . كان مهتزاً قليلا ثم تمالك نفسه وحافظ على إبتسامته الدائمة طوال حديثه معنا .
كان ضابطا من القوات الخاصة ، ودرس فى كلية أركان حرب فى مصر لفترة، وزار "خط بارليف" على قناة السويس.
كان يعمل مستشارا عسكريا لرئيس الجمهورية ـ وفى ظنى أنه منصب شرفى الهدف منه إبعاد شخص ما عن الإحتكاك المباشر بالجيش نتجة الشك فى توجهاته السياسية ، فيتم ترقيته شكليا وإضعافه عمليا ، فيما يطلق عليه فى دول العالم الثالث "ركله إلى أعلى ". لم أسأله عن ذلك لكن سألته عن سبب قدومه إلى خوست فى ذلك الوقت المتأخر بعد أن وصل الوضع إلى درجة ميئوس منها . فقال أن الرئيس نجيب ا أرسله إلى خوست لمحاولة إنقاذ الوضع بأى طريقة . ولكنه بعد أن وصل وشاهد ما يحدث أدرك أنه لا أمل. ثم شرح لى كيف دارت العمليات من طرفهم " الجيش الحكومى" ، وأثنى على كفاءه حقانى كقائد عسكرى متمكن ، وأبدى أعجابه به . (وبالفعل فقد تعاون مع حقانى كثيرا فى عمليات جرديز التى حدثت فى الخريف من نفس العام وكان يعرف كل الضباط الكبار هناك وفى كابول ، ودعاهم إلى الإستسلام لأن الحرب قد حسمت نتائجها بسقوط خوست . وبعد فتح جرديز ـ فى إبريل ١٩٩٢ ـ كنت أراه يسير مع حقانى وسط مساعديه وهو مسلح برشاش خفيف أهداه له حقانى).
سألت الجنرال "صلح أمل " عن إستنتاجاته من حرب أفغانستان. فقال بأن تلك الحرب أثبتت أن "العنصر الإجتماعى" فى الحرب أكثر أهمية من كل العناصر الآخرى الإستراتيجية والإقتصادية.
من جانبى فهمت أنه يقصد، موقف الشعب، والعنصر البشرى الذى يتضمن الجوانب المعنوية مثل الإيمان والتصميم والشجاعة. لذا وافقت على ملاحظته وأعجبت بها .

مصاعب فى العملية

ذكرت أن إنجازانا فى عملية "المطار الجديد " كان إحراق ست طائرات نقل عسكرية على مدرج المطار، وأسر طائرة نقل عسكرية يقودها جنرال طيار .
كنت أشعر أن الإنجاز كان أقل كثيرا من المطلوب وقد ذكرنا الأسباب فى موضع سابق وهى :
ـ قلة الذخائر إلى درجة كبيرة .
ـ قلة عدد الراجمات .
ـ مواضع الراجمات لم تكن مثالية بالنسبة لمدرج المطار . ولكننا إجبرنا عليها بحكم الظروف .

ـ إضطرارنا لتقديم دعم بالنيران لعمليات أرضية ليست ضمن برنامجنا . كما حدث فى ماليزى مع البدو وكما حدث مرتين حينما وقعت مجموعات "للمجاهدين " تحتوى عربا فيما يشبه الكمين وكانوا إلى الشمال من مواقعنا ـ وسنذكر ذلك لاحقا. وشكل ذلك عبئا على ذخائرنا القليلة جدا .
وكما ذكرنا فإن إمدادنا بالذخائر كان صعبا بالنسبة لظروف الفيضانات فى نهر شمل وبالنسبة لأن "القاعدة" قد توقفت تقريبا عن إمدادنا بالذخائر . كما أن حقانى أمدنا بصعوبة بعدة مئات من الصواريخ تعرض الكثير منها إلى "المصادرة" على يد "إبراهيم" شقيق حقانى ، الذى صادفها فى الطريق فقرر أخذها لكونه فى أشد الحاجة إليها وكانت ثلاثمئة صاروخ ..وهكذا .
ـ أسوأ الأمور كان ضعف المعلومات لدينا ، لإعتمادنا على أنفسنا من نقطة الترصد الوحيدة لدينا . وكان العدو يشوش دوما على أصوات الطائرتن بإستخدام طائراته فى الجو أثناء عملية الهبوط ـ وبالنسبة للرؤية فكانت مستحيلة فى الأوقات المظلمة من الليل ـ وغياب التصنت اللاسلكى أثر كثيرا على كمية المعلومات الموثوقة لدينا .
بدأ إشتركنا الفعلى فى العمل ضد المطار فى ليلة اليوم الثالث للمعارك .
فى تلك الليلة والتى تليها لم نحقق أى إصابة واضحة رغم أننا ضربنا بكثافة لم نكررها فيما بعد نتيجة قلة الذخائر. كنا نقاتل مغمضى الأعين نتيجة ضعف المعلومات فبدأت تظهر الخلافات داخل مجموعتنا للترصد وإدارة النيران .
المكونة منى ومن أبوكنعان وحاجى إبراهيم . ولم يكن ذلك مألوفا لدينا بالمرة .
لكن فى اليوم الخامس للمعارك إنفجرت أول طائرات العدو ، فعادت الأمور داخل مجموعتنا إلى مجراها الطبيعى ، وإرتفعت المعنويات وعادت الثقة بالنفس.

دجاج على أسنة الرماح

حاجى إبراهيم كان يمارس عمله على أفضل صورة فكان دائم الإتصال لاسلكيا مع مجموعات المجاهدين ، سواء على قطع المدفعية أو فى العمليات الأرضية أو البدو أو إخواننا من العرب فى جماعة أبو الحارث .
لذا كان لدينا فكرة جيدة عما يدور حولنا على كافة محاور العمليات . فكنت يوميا إنزل من مغارتنا "القريبة من قمة جبل الترصد" إلى الأسفل كى أطوف بمراكزنا القريبة،وأولها مغارة رئيسية للمبيت ولتخزين المهمات، وفيها شباب الإداريات والحراسات ، ثم هناك راجمة "الجماعة الاسلامية" . فكنت إنقل اليهم أخبار العمليات الأرضية ونتائج إشتباكاتنا الليلية ، وتكتيكات العدو فيها والتغييرات الجديدة التى سنجريها على عملنا طبقا لتطورات عمل العدو ، وأزمة الذخائر المزمنة لدينا .
كنت أزور الراجمة الآخرى التى يديرها "أبوهمام" فكانت الرحلة اليها لطيفة جدا أذا كانت على الأقدام عبر الجبل وليس رحلة دائرية بالسيارة . كنا نسير على إمتداد

السلسلة التى عليها الترصد ثم نهبط إلى الوادى خلفها عبر مدق جبلى متعرج من صناعة "مجموعات " المنطقة .
كان طاقم الراجمة يعيش فى منطقة منعزلة يمر بها المجاهدون أحيانا . فكنا نقضى معهم وقتا ريفيا ممتعا مع أكواب الشاى الأسود والخبز اليابس فى وجبة ساحرة يعدها دوما ذلك الشاب الملائكى " أبو خبيب ". كنا نفتش معهم آثار القصف الجوى عليهم فى الليلة السابقة، وبعضه كان قريبا وخطيرا.كنا نفحص الشظايا لنرى أنواع القذائف. بعضها كان جديدا حتى أننا أحصينا عدة أنواع من القذائف العنقودية ظهرت لأول مرة فى المعارك .
أحد الصواريخ الضخمة التى تحمل الصواريخ الثانوية للعنقودى سقط قريبا جدا من الراجمة . كان جبلا صغيرا من الفولاذ .
كان أبو خبيب قريبا من موضع الحادث ونجا منه بأعجوبة . فكان يضحك ويقول أنه سيبيع ذلك "الشيئ" ويشترى بثمنه حلوى لأفراد الراجمة .
كان " أبوخبيب" محقا فقد كان الطعام لدينا فقيرا جدا ، نتيجة عزلتنا وحصارنا بالنهر الهائج . وأيضا لأنه مع اشتداد المعارك وتوسع ساحة المعركة ، يصبح الإمداد عسيراً وقليلاً .
فى المرحلة الثانية من المعركة (بعد الوقفة التعبودية) ظهرت غنائم كثيرة جدا فى أيدى سكان المنطقة من الإخوة "المتربصين" وبدو المنطقة الذين تكاثروا تدريجيا،ولم يكونوا من المقاتلين ولكن رعاة عاديين ، وبعضهم إحترف تجارة الخردة وصار لهم مخزونا ضخما جدا على حافة منطقتنا بعيدا عن العمليات .
من ضمن ما ظهر فى الأيدى كان "الدجاج" . كانت "الغنائم " منه كثيرة وليس هناك مشترون فكانت الأسعار رخيصة جدا . فرح شبابنا بذلك وطالبوا بشراء كمية من الدجاج لتحسين الحالة الغذائية المتردية لدينا.
قلت لهم أننا لن نشترى دجاجاً مسروقا ، فهو من الغنائم التى لم تقسم بين المجاهدين فهى إذن غلولاً محرماً .
وقع الشباب فى ورطة وحاولوا إيجاد مخرج، فقالوا لى إن البدو عندهم دجاج ليس من الغلول فلنشترى منهم. أخيرا أذعنت على شرط أن يسألوهم أولا إن كان الدجاج من "الغنائم " أم هو ملك لهم.
ذهب الشباب إلى مضارب البدو ، وعادوا محملين بالدجاج وقالوا وقد غمرتهم البهجة أنهم سألوا البدو فأكدوا أن الدجاج لهم . لم أشأ أن أدقق أكثر من ذلك فنظرات الشباب إلى الدجاج توحى بأنهم لن يتخلوا عنه إلا على أسنة الرماح . فإبتلعت شكوكى .. ثم إبتلعت الدجاج معهم بعد ذلك .
فى ذلك المركز شاهدنا أول قطعة من السلاح الثقيل التى فاز بها "المتربصون" . كانت قطعة رائعة مزجت بين التكنولوجيا السوفيتية ، "والتحايل الفنى" للأفغان .

كانت عربة إستطلاع مدرعة ثبتوا فوقها مدفع شلكا مضاد للطائرات . كان التثبيت بدائيا إلى حد ما ولكن الفكرة نفسها رائعة وكنت أتمنى أن نمتلك مثل ذلك السلاح .
ذهبنا لمعاينة المدرعة التى كانت فى حراسة فتى فى الخامسة عشر مسلح ببندقية كانت مهمته منع أى أحد من مجرد الإقتراب من تلك الغنيمة .
ولكنه شعر بالخجل منا وسمح لنا بالإقتراب والتصوير . صعد أبوكنعان فوق المدرعة والتقطت له عدة صور كانت إحداها غلافاً لمجلة "منبع الجهاد" التابعة لحقانى.
* كان العجز الدائم فى ذخائرنا فى الصواريخ يجعلنا فى إنشغال مستمر فى البحث عن بديل أو سلاح مساعد . وكانت "الشلكا" تراود أحلامنا طول الوقت . ولما وصلت إلينا من الغنائم كان قدرها أن تكون فى أى الخطافة من "المتربصين" وليست فى أيدى المجاهدين.كنا أيضا نبحث عن الدبابات لندفعها فى معركة المطار ـ وسنذكر تلك المساعى لاحقا .
من المفارقات أنه عندما تدنى مخزون الذخائر لدينا إلى حد الخطورة تزايدت نسبة إصاباتنا فى طائرات العدو .
كان ذلك من التوفيق الإلهى الذى يصعب تفسيره ماديا .
بدأنا فى إستخدام الراجمات كما لو كانت قاذف فردى للصواريخ. أى نطلق بها الصواريخ واحدا واحد، وليس بشكل جماعى كما كنا نفعل فى الماضى. وأيضا بدأنا فى إستخدام الراجمتين على إنفراد وليس مجتمعتين .
وأكثر من ذلك نطلب من الراجمة أن تطلق من فوهتها رقم كذا ولديها بالطبع إثنى عشر فوهة .
كان من المفروض أن يكون العدو سعيدا بهذا الضعف الشديد الذى إنتابنا، ولكننى أفترض أن العكس هو الذى حدث .
فمن ذا الذى يتصور أننا بهذه الطريقة الواهنة كنا نصيب ومن الطلقة الأولى الطائرة وهى على مدرج المطار المظلم أو الباهت جدا تحت ضوء قمر.
لا يمكن تفسير ذلك ـ ماديا ـ سوى بكون هذه الصواريخ ذكية أو موجهة .
أما كونها ذكية فذلك غير ممكن لأن الصواريخ لا تمتلك قدرات ذهنية يفتقر إليها أصحابها. أما كونها موجهة .. فمن الذى وجهها ؟؟ .
عندما إشتدت عندنا أزمة الذخائر ، إرتفع فى المقابل تحفزنا الروحى والمعنوى .
فكان نداء الإستعداد للرماية هو نداء "ياخيل ا إركبى"، أصدح به فى هدؤ فى هدأة الليل من فوق جبل الترصد . هذه الجملة البسيطة كانت تثير حماساً عجيبا وحالة روحية غير عادية ، ومازالت أذكر صوت "أبوهمام" يأتى على المخابرة مرددا:
" لبيك اللهم وسعديك ". ومن خلف راجمة الجماعة الإسلامية تأتى أصوات التكبير والتهليل .
والمدهش كانت الإستجابة السريعة ومن الطلقة الأولى مع أصوات وأضواء الإنفجارات تأتى من فوق مدرج المطار . ليزداد التكبير عندنا خلف الراجمات وفوق

جبل الترصد ومن باقى المواقع أينما كانت ، حتى من عرب أبو الحارث ومهاجمى الخطوط الأولى.
بدأت راجمة الجماعة الإسلامية ذلك البرنامج ثم أدركتها راجمة أبوهمام فى الليلة التالية. وكلتاهما كان مضبطا على منطقة منتصف المطار حيث كان قلب المطار متمثلا فى المبانى الإدارية ومنطقة تفريغ الطائرات .
ولما تكدست الطائرات المحترقة فى المنتصف على الحافة الشمالية وصلتنا معلومة نادرة من أحد سكان المنطقة كان قريبا من المطار ليلا، أنه شاهد العدو قد نقل عملية التفريغ إلى حافة المطار المقابلة لنا . وكانت راجماتنا على إستقامة مدرج المطار مع ميل خفيف لكل منهما . ذلك الميل جعل المساحة الممكن الرماية عليها من كل راجمة مساحة ضيقة نسبيا .
بدأنا فى النهار إعادة تضبيط الراجمتين على منطقة التفريغ الجديدة . كان لدينا وقتها حوالى ستون قذيفة فقط وهو مايعادل إستهلاك إحدى راجماتنا فى مشروع المطار القديم فى ليلة واحدة .
إستهلكنا حوالى ستة عشر قذيفة بدون أن نتمكن من مجرد الإقتراب من الوضع الجديد . كانت القذائف طائشة بشكل غير طبيعى .
شعرت بالإحباط الشديد لهذا الفشل . فقد إستهلكنا ذخائر نادرة على لا شيئ . ويبدوا أن الفشل سيكون نصيبنا فى إشتباك تلك الليلة إذا إستخدم العدو تلك الحافة المواجهة لنا. فى النصف الثانى من الليل هبطت طائرة نقل فى المطار. كان دليلنا هو الصوت ولم نكن نعلم يقينا أين تقف الطائرة ولكن قدرنا أنها فى المكان الذى أخبرونا به على الطرف المقابل لنا من المدرج .
أبوهمام أعلن جهوزيتة بشعارة " لبيك اللهم وسعديك " بعد أن سمع شعار الإستنفار " ياخيل ا إركبى " .
طلبت منه أن يطلق صاروخا تجريبيا بالفوهة ذات الرقم خمسة، ففعل وجلس الجميع فى ترقب ودعاء متضرع إلى ا .
كنت أرقب المدرج بالمنظار فشاهدت وميض الألمنيوم المشتعل، لمع فى الفضاء ثم إختفى . فتكلمت مع الراجمات أن هناك إحتمال إصابة فى المطار .. ولكن علينا الإنتظار للتأكد . فزادت الدعوات الضارعة وإنتحب البعض . وبعد ثوان دوت الإنفجارات التى لم تدع مجالا للشك أن طائرة تحمل ذخائر قد أصيبت . فتعالت التكبيرات وسجد الجميع شكرا .
طلب طواقم الراجمتين الصعود على التلال لمشاهدة المنظر بصورة أوضح . ومن هناك ضجوا بالتكبير وواصلوا السجود .
فى الصباح كانت المفاجأه مذهلة بالنسبة لنا . فقد وجدنا حطام طائرة محترقة ومبعثرة على الجانب الشمالى لمدرج المطار المواجه لنا . وهذه المنطقة فشلنا فى أصابتها فى ضحى الأمس أثناء رماياتنا التجريبية حتى أصابنا اليأس . وها نحن نصيبها فى

الظلام ومن الطلقة الأولى التى شطرت الطائرة نصفين وأحرقتها بما فيها ومن فيها .
وقد شاهدناها بعد عدة أيام حين تم فتح المدينة .
لم يكن عندى شك أن ذلك العمل قد تم بقوة الدعاء وليس بقوة الصواريخ .
***

عـودة الحـمار الضـال

قوة الدعاء فعالة ضد كل ما يعجز الانسان عن مواجهته أو التعامل معه . ليس فقط الطائرات والصواريخ ونيران العدو ، بل أيضا ضد كائنات يصعب التفاهم معها ، كما حدث لى مرة مع حمار المجموعة وكلاب البدو عندما تحالفوا ضدى.
بدأت القصة فى الصباح الباكر ليوم الأثنين الأول من رمضان (١٧مارس) والأول لبداية العمليات . تأكد حاجى إبراهيم عبر متابعاته اللاسلكية أن العمليات قد بدأت فى ماليزى وأن المجاهدين إستولوا على سلسلة الجبال المعادية المواجهة لهم هناك .
كان السحاب منطبقا على الأرض والمطر ينزل متهاديا ثم بدأ يزداد . كنت قلقا بشكل خاص على مجموعة راجمة أبوهمام ، فالإتصال بهم سيصبح صعبا بسبب نزول الأمطار وتحول الأرض الزارعية المهجورة فيما بيننا وبينهم إلى برك من الطين المتحرك القادر على إبتلاع السيارة حتى منتصفها أحيانا. فإذا إضيف إلى ذلك الغارات الجوية المتوقع زيادتها أثناء العمليات . ناهيك عن دبابة ومدفعية جبل كوكاراك الذى يكشف جزءً لا بأس به من الطريق المتجه نحو موقع الراجمة، كل ذلك قد يعزل الراجمة وطاقمها ثم يوقفهم عن العمل وربما تعرضوا إلى تسلل أرضى من العدو قد يؤدى إلى أسرهم خاصة وهم على خط التماس الأول لمنطقة "المجاهدين"
- بإستخدام سيارتنا بدأت مجموعة بقيادة الشاب المقدام "ابوطارق التونسى" فى تزويد مجموعة أبوهمام بأكبر قدر من الذخائر والأطعمة على قدر إحتمال مغارتهم الصغيرة.
- مجموعة ثانية عليها مساعدة طاقم "الجماعة الإسلامية" فى نقل ذخائر ومهمات آخرى من مغارة التموين القريبة إلى موقع الراجمة.
وعند فراغ أبوطارق من مهمته ينتقلون معه لنقل مهمات من مركزنا الرئيسى على نهر شمل أى مركز"النصف نعل" إلى مغارتنا القريبة . كان لدينا حماران صغيران يعملان ضمن "سلاح النقليات" أحدها ذهب مع جماعة الإمداد والتموين والآخر بقى لتزويد مغارة الترصد المعلقة بالمياة . وكانت تلك هى مهمتى لذلك اليوم إذا لم يتبقى غيرى فوق الجبل ، وحتى بندقيتى أخذوها نظراً للعجز الكبير فى التسليح الفردى للمجموعة. ولما كنت مزودا " بمطواة قرن غزال " كانت تكفينى فى ظروف المعارك الكبيرة ، تنازلت عن بندقيتى للشباب الجدد .
نزلت إلى الوادى مع حمارى وملأت صفيحتى الماء وربطتهما على ظهر الحمار ، وإستدرت عائدا. كان الوادى خاليا والمطر يتزايد. حتى مضارب البدو ظهرت كإنها مهجورة ، وقد جمعوا الماشية والأغنام فى ساحة واسعة لها سور منخفض من

الأحجار. كانت أصوات الإنفجارات تأتى حافته من جهة ماليزى . حاولت الإسراع بحمارى صوب مغارتنا المعلقة لمتابعة ما يحدث. لكن الحمار كان له راى آخر، لقد رمى الحمولة وسار منفردا. أوقفته وأعدت تحميله ، ولكنه مرة أخرى رمى الحمولة وفر هاربا. عدوت خلفه حتى فناء أغنام البدو. إندفع الحمار داخل الفناء وتوقف بين الأغنام . سادت الفوضى وصاحت الأغنام وهى تجرى فى كل إتجاه . إنتبهت كلاب الحراسة إلى أن حدثا جللا يجرى ، وبدون أى تدقيق فى الأمر إعتبرونى المسئول عما يحدث للقطيع . كنت واقفا على باب الفناء ، فتقدم كلبان نحوى ينبحان بغضب كاشفان عن أسنان لامعة تبرق مثل الخناجر المسنونة.
أضطررت إلى "التقهقر التكتيكى". فواصلا الضغط حتى أوصلانى إلى مسافة آمنه بعيدا عن الباب . كان كل منهما فى حجم حمارنا أو أكبر قليلا .
جلست بيأس على كومة من الأحجار أفكر فيما ينبغى عمله . والكلبان واقفان ينبحان بغضب وتصميم على بوابة الساحة .
المطر يتزايد وكذلك أصوات الإنفجارات ، والوادى من حولى خال تماما من البشر. لا أستطيع المكوث هنا طويلا ، ولا أستطيع العودة بلا ماء ولا أستطيع ترك الحمار هنا فقد لا نراه مره آخرى .. فما العمل ؟.
قررت أن أدعو "دعاء الضالة". دعوت وجلست أنتظر الفرج، وما هى إلا دقائق حتى تحققت المعجزة .
خرج الحمار من ساحة الأغنام وتقدم نحوى مطأطئ الرأس كالمعتذر، والكلبان ينبحان خلفه وكأنهم يقولان له : "إرجع يامجنون". لكنه لم يرجع ووقف أمامى منكسراً لم أصدق ما يحدث أمامى . فلم أوجه للحمار العائد أى لوم ، وسحبته بهدؤ إلى أوعيه الماء فحملها مشكورا حتى أسفل جبلنا . ثم أخذت منه الأوعية وأكملت بها الصعود إلى المغارة فى قمة الجبل .
****

حقانى : لمـاذا لا تـتـقدمون ؟

خلال العملية كلها إتصل بى حقانى مرتين .
المرة الأولى بعد يوم من نكسة الهجوم الفاشل من جهة تورغار . كان يطمئن على الوضع من جهتنا . فأخبرته عن شيئين الأول حاجاتنا الشديدة إلى الذخائر . والثانى هو أن خط دفاع العدو المقابل لنا أصبح ضعيفا جدا بعد إستسلام جبل كوكاراك وهضبة "أليسار". ثم ذكرته بوعده تسليمنا دبابة أو إثنين وذلك قبل بدء العمليات وقلت له لو أن عندنا ثلاثة دبابات لإستطعنا الوصول إلى المطار الجديد والسيطرة عليه وإنهاء المشكلة .
عن الموضوع الأول قال أنه سيرسل إلينا فى الحال ثلاثمئة صاروخ كاتيوشا.
(وقد فعل ولكن أخاه إبراهيم صادرها فى الطريق ، ولكن وصلت كميات آخرى فيما بعد . فكان حقانى هو مصدرنا الأساسى بالذخائر وليس القاعدة التى كانت قد وعدت بتحمل تلك المسئولية)

وعن الموضوع الثانى قال أنه لن يستطيع إرسال أى دبابات إلينا بعد ما حدث بالأمس ويقصد خسارة دبابتين فى الهجوم الفاشل .
شعرت بخيبة أمل من هذا التطور السلبى . فقد كنت مع "إبن عمر" قد بذلنا جهدا كبيرا لعدة أيام فى مسح المنطقة شمال وجنوب النهر لإستكشاف إمكانية الإستفادة من الدبابات فى عملنا .
كانت الإمكانية رائعة من وجهة نظرنا . وتركيزنا الأساسى كان على المطار الذى لا يحجبنا شيئ، تقريبا، عن رؤيته .
وكانت ثقتى كاملة بالشاب اليمنى "إبن عمر" ضابط الدبابات السابق فى جيش اليمن الجنوبى . كان العدو بالفعل ضعيفا جدا فى الجبهة الشرقية ولكننا كنا أشد ضعفاً . فمجموعتنا بالكاد تدير الراجمتين ، وأشد ماكنت أخشاه هو أن تبادر قوة من ميليشيات العدو بمهاجمتنا بينما المنطقة تكاد تكون شبه خالية، وإنشغل الجميع بالبحث عن الغنائم فى ساحات الوادى ، أو يتربصون الدوائر بأى عملية فتح جديدة حتى ينقضوا على ما فيها من غنائم .
كنت أتوقع انه لو كان لدينا مئة مجاهد فقط تدعمهم دبابتان لتمكنا من الوصول إلى المطار الجديد بسهولة.
ولو أن الجبهة الشرقية والجبهة الشمالية شهدتا أى قدر من النشاط الهجومى لأنتهت المعركة فى أسبوع واحد أو أقل .
من شدة حماسنا لإستخدام الدبابات ، بدأنا بالبحث الحثيث عن من يعطينا دبابة من الغنائم (أوالغلول) على أن نتكفل بكافة مصاريف التشغيل، ودفع ثمنها كاملا إذا أصيب فى العمليات .
أفراد "الكشافة " لدينا حضروا صباحاً فرحين ، فقد ضبطوا دبابتين وسط الغنائم لدى مجموعة من البدو قريبا مع "باشيم ". واحدة منهما سليمة تماما والثانية معطوبة بشكل يمكن اصلاحه. على الفور أرسلت فريقا متعدد الجنسيات للتفاوض وإبرام صفقة معهم. فذهب حاجى إبراهيم الأفغانى وأبوطارق التونسى وإبن عمر اليمنى .
كان حاجى إبراهيم مفاوضا بارعا ، يكسب قلوب مستمعيه ويستثير عواطفهم الدينية وملكاتهم العقلية معا . لكن بكل أسف لم يجد ذلك نفعاً مع إخواننا البدو . فتكلم قائدهم بجفاء قائلا لإبراهيم: "إن كلامك منمق وجميل ولا أدرى ماذا تخبئ خلفك . أنزل يدك من على الدبابة ، فبعد قليل قد تدعى أنها لك" .
عادت مجموعاتنا تجر أذيال الخيبة ، وضاع تماما كل أمل لنا فى إستخدام دبابات.
فى الإتصال الثانى لحقانى معنا . كان يطمئن على أحوالنا. ثم سألنى "لماذا لم تتقدموا إلى الأمام ، فجميع الوحدات قد تقدمت" , كان السؤال وجيها خاصة فى وقت إنتصار يقاس فيه النجاح بمقدار التقدم على الأرض. ولكن الأمر بالنسبة لمجموعتنا لم يكن كذلك . حاولت أن أشرح لحقانى الأمر بإيجاز فقلت له أننا لسنا فى حاجة إلى التقدم طالما أن راجماتنا تصل إلى الأماكن التى نريدها . فإذا تحركنا لن نكسب من

ذلك شيئ يذكر بينما سنفقد مزايا المكان الذى نحن فيه ، فهو يوفر لنا حماية لا بأس بها مع غارات الطيران تحديدا . فإذا تقدمنا إلى الأمام ستصبح فى مناطق مفتوحة نتعرض فيها لمخاطر مؤكدة من الطيران .
فقال حقانى : هناك من يقول إن قذائفكم لا تصل إلى المطار .
فقلت له: إن قذائفنا تصل إلى الأماكن التى تحقق لنا الهدف المطلوب ، وهذا يكفينا لأننا لا نجد أمامنا أماكن أفضل مما نحن فيه الآن .
كلام حقانى كان يشير إلى أن هناك من يطعن فى عملنا عنده . وكان يشير أيضا إلى جزء من طبيعة موقفنا .
فقد كانت راجمتينا تغطيان نظريا٦٠% من مساحة المدرج المواجه لنا ـ لكوننا على استقامة المدرج تقريبا .
إذن فهناك ٤٠% من المدرج كانت خارج مدى الراجمات . أن نتحرك إلى مجنبات المطار كان مستحيلا . لذا فإن التقدم إلى الأمام لتغطية باقى المدرج كان هو الإمكان الوحيد أمامنا . ولكننا إستبعدنا ذلك الإحتمال لخطورته الشديدة بل والمؤكدة .
إكتفينا إذن بتغطية نسبة ٦٠% من مدرج المطار لكون النسبة المتبقية لا تكفى العدو حتى يتم فيها عمليات الهبوط والأقلاع والتفريغ .
لم نكن فى موقع متفوق بنفس القدر الذى كنا عليه أثناء عملية المطار القديم (المطار٩٠) ـ ولكننا كنا فى أفضل المواقع المتاحه لنا فى تلك الظروف مع نسبة خطر أعلى بكثير مما سبق ، وأكثر مما يقبل به العقلاء فى ظروف عادية .
ولو لم تنتهى المعارك بهذه القدر من النجاح لفزنا بالقدر الأكبر من اللوم والإدانة .

<u>مخـابـرات باكسـتانية / أسـلحة أمريـكية</u>

كما ذكرنا فإن علاقة حقانى مع السلطات الباكستانية كانت فى أسوأ حالاتها .
وذكرنا حالة الجفاء بينه وبين الجنرال "أسد دورانى"رئيس جهاز الإستخبارات ISI.
المعارك الأخيرة ، ظنوها هجوم محدود آخر قد يكون آخر محاولات حقانى فى سياسة القضمة قضمة . بعدها يشعر بعقم محاولاته ويصبح جاهزا مثل كل الباقين لقبول "الحل الدولى" وتشكيل حكومة طبقا للمواصفات الأمريكية /السوفيتية المشتركة.
وحتى لا يقطعوا معه " شعرة معاوية "أرسلوا له معونة شكلية من الذخائر التى لا تسمن ولا تغنى من جوع .
وكانوا يعلمون أن مالديه من ذخائر ثقيلة لن يسير به طويلا فى معركة ذات قيمة .
ثم قاموا بتحركات إستعراضية للإيهام بأنهم خاف ما سوف يجرى وأنهم سيدعمون الأسلحة الثقيلة تحديدا .
كنت أراقب ما يفعلون. وما كنت أشاهده فى المناطق التى نمر عبرها أشعرنى بالقلق الشديد .
قبل أيام من المعارك أحضروا أحد المعدات الثقيلة ومهدوا ساحة واسعة جدا.

ثم حفروا خندقا فى أحد التباب ثم وضعوا به إثنين من الهاونات الثقيلة أمريكية الصنع ، سمعت أنها متصلة بالأقمار الصناعية لتضبيط الرمايات .
موقع تلك الهاونات ومدى رماياتها لا يؤهلها للمشاركة فى ضرب أى هدف هام ، وكنت أعجب لكونها بعيدة جدا عن مواقع العدو. وأظن أن الهدف كان تجريبى بحت ولم يكن عملياتى .
طوال مدة الحرب كان هناك عمليات تجريبية لأسلحة أمريكية كنا نسمع عن بعضها ، ونجهل ماهية بعضها الآخر. بعض تلك التجارب تم فى مناطق كنا فيها . وبعضها الآخر سمعنا عنه من أماكن بعيدة .
* تحرك إستعراضى آخر بالأسلحة الأمريكية شاهدته فى منطقتنا الشرقية وكان عرضا مضحكا. سيارة بيك أب على ظهرها قاذف صاروخى دائرى مثل الذى تستخدمه طائرات الهيلوكبتر ، يقف خلف القاذف شاب أفغانى فى العشرينات ، يلبس ملابس عسكرية مرقطة ويتصرف تماما مثل بطل أبطال العالم "رامبو". سائق السيارة أيضا يتصرف بطريقة سينمائية تماما، فينطلق بسرعة ويتلوى بسيارته كأنه فى مشهد من مشاهد أفلام "الأكشن" . كان الوقت ضحى ورموا عدة صواريخ "صغيرة العيار" فى أتجاه العدو. بعد التحرى علمنا أنها صواريخ إنشطارية مخصصة لضرب المطارات وكنا قد سمعنا عن ذلك النوع بعد عمليتنا على المطار القديم. كان تقديرى وقتها أنها محاولة أمريكية لسرقة إنتصار عملية المطار القديم والإيهام بأن السبب كان سلاحهم الإنشطارى الجديد الذى لم نشاهد له أى أثر فى المعركة ، لا فى المطار القديم ولا المطار الجديد .
وها هم يظهرون مجددا فى عملية المطار الجديد ـ فى إستعراض يتيم لم يتكرر.
وقد تم المشهد فى وقت كان المطار فيه خاليا كعادة المطار فى النهار. فلم يكن من الممكن أن يعمل سوى فى الليل وتحت ستار أجراءات معقدة كما رأينا .
كنا نسمع دوما عن أن أمريكا تكون جيشاً أفغانيا خاصا بها عماده هؤلاء الشباب الذين هاجروا إليها ، كى تستخدمهم فى وقت ما لمشاريعها الخاصة جدا داخل أفغانستان. كنا نرى بعضهم ضمن "هيئات إغاثة إنسانية" يلبسون ملابس عسكرية ويضعون خناجر كبيرة على خاصرتهم وقبعات رعاة بقر فوق رؤوسهم. كان شكلهم مثيراً وإستفزازيا لدرجة كبيرة .
مع "رامبو" الأفغانى وصواريخه الإنشطارية عديمة القيمة ، شاهدنا فى نفس اليوم طاقما من ثلاثة أفراد من الإستخبارات العسكرية الباكستانية يطوفون بجبهتنا الشرقية فى سيارة "جيب " يابانية الصنع يقودها صديقنا "مجبور" .
أصابنا ذلك بالصدمة ، وتوقف مجبور إزاء مجموعتنا وكنا فى مهمة فى الوادى خلف مراكزنا. وبادرنا بقوله أنه يحمل معه فريقا من مؤسسة زراعية تابعة لبرنامج معونات الأمم المتحدة .

بالطبع لم يصدقه أحد. فما أحد من مجموعتنا كان يجهل طبيعة تلك السحنات المظلمة لموظفى الإستخبارات الباكستانية .
نظرات العيون من طرفنا ومن طرفهم تنبئ بأن كل منا يعرف طبيعة عمل الآخر ومشاعره أيضا.
توترت مجموعتنا وشعر مجبور بذلك فإنصرف مسرعا متعللا بضيق الوقت . ومن حسن حظ الجميع أن ذلك الموقف لم يتكرر مرة آخرى . بنفس الطريقة إختفى "رامبو" الأفغانى ولم يظهر مرة آخرى فى منطقتنا .
سمعت عن "رامبو" ذو الصواريخ الإنشطارية عديمة الفعالية ، من أفغان وعرب ، ولم أسمع شهادة واحدة عن هدف معلوم لرماياته ولا نتيجة من أى نوع .. فماذا كان يعمل بالضبط ، ولماذا كان ينشر إنشطارياته ؟.
بعد زمان طويل وخبرات فى البوسنه والعراق وأفغانستان يمكن إفتراض أن رامبو كان ينشر قذائف مشبعة باليورانيوم المنضب أو المخصب . ويبقى البحث علميا فى ذلك أمرا غاية الصعوبة. ليس لغياب القدرات الفنية والعلمية لدى الشعوب المتضررة، بل لوقوع تلك البلدان تحت القبضة الأمريكية المباشرة التى تضع العالم كله فى حالة إظلام تام . إلا من تلك المعلومات المضلله التى تخدم فقط المصلحة الأمريكية .
حادث آخر تم ربطه بالعمليات الأمريكية المريبة فى منطقتنا . فقبل بدء العمليات بعدة أسابيع كنا فى جولة إستطلاعية فوق خط الهضاب الأول "للمنطقة الشرقية" التى نزمع العمل فيها . كنا وقت الغروب والسماء صافية والهواء بارد جدا.
{{عن الطائرات السوخوى الجديدة التى جربها الروس فى خوست وجرديز وغيرها راجع الملاحظة الأولى فى ملحق هذا الكتاب}}
ظهر فى السماء جسم لامع يتحرك ببطء . كنا نشاهد ذلك كثيرا فى أفغانستان وقت الليل ـ وإفترضنا أن تلك الأشياء إما أنها أقمار صناعية ، أو طائرات مرتفعة جدا .
هذه المرة كان ذلك الجسم أكبر كثيرا من المعتاد . ليس هذا فقط بل أنه ما أن صار فوق منتصف الوادى حتى توقف تقريبا . لم نشاهد شيئا مثل ذلك من قبل، فبدأت مجموعتنا تتبادل الأسئلة الحائرة .
إكتشفنا أننا لم نكن وحيدين فى تلك الحيرة ، بل أن القوات الحكومية فى الوادى كانت تشاركنا الرأى . وبدأوا بإطلاق أسلحتهم المضادة للطائرات على ذلك الجسم المضئ فإخذ الجسم يتحرك ببطء شديد ثم زاد من سرعته حتى إختفى .
بالطبع لم نجد تفسيرا لذلك ، وحتى الآن لا أفهم مغزاه ، ولكن عباقرة العرب فى بشاور ، وبعد فتح مدينة خوست وجدوا التفسير ، فقالوا أن ذلك الجسم المضئ كان قمرا صناعيا أمريكيا قام بتصوير المواقع العسكرية الحكومية ، وسلمها لحقانى ، فإستطاع الأخير بذلك فتح مدينة خوست .
كان هؤلاء من "عرب سياف " و"عرب السعودية " لذا لم نندهش من طفراتهم العبقرية التى تطل من وقت إلى آخر على الساحة العربية الموبؤة فى بشاور.

الغنائم وحروب العصابات

إستهلاك الذخائر من الموضوعات الهامة جدا فى هذا النوع من الحروب . وهو مرتبط إرتباطا وثيقا ليس بتطور العمل العسكرى فقط ـ بل بالجانب الأقتصادى أيضا ـ ثم الأهم الجانب السياسى للحرب .

وعندما أطلقت على الكتاب الأول من تلك السلسلة من كتب "أدب المطاريد" إسم (١٥طلقة فى سبيل الله) ، ثم تحدثنا فى تلك الفقرة من الكتاب عن مشكلة الذخائر فى الحرب غير التقليدية "العصابات" . كان فى ذهنى أن نعود لتلك النقطة عند فقرة "فتح خوست". وهى نقطة الذروة فى تلك الحرب ومرحلتها النهائية ـ مرحلة إقتحام المدن. فالمقارنة بين الحالتين تكون هامة جدا ومفيدة من واقع تجربة حية حدثت أمام أعيننا فى أفغانستان على أيدى المسلمين فى تجربة نادرة فى تاريخهم الحديث .

وخوست تحديدا كانت هى المدينة الوحيدة فى أفغانستان التى شاهدت تلك التجربة . وجميع المدن الأخرى بدأت تتساقط بالتتابع بدون عملية إقتحام كالتى حدثت فى خوست التى كانت النقطة التى إنقطع فيها خيط المسبحة .

وإذا إعتمدنا التقسيم التقليدى (الكلاسيكى) لمراحل حرب العصابات (بالذات التى حددها ماوتسى تونج) بأنها مراحل ثلاث هى :

المرحلة الأولى : مرحلة الدفاع الإستراتيجى .

المرحلة الثانية : مرحلة التوازان الاستراتيجى .

المرحلة الثالثة : مرمحلة الهجوم الاستراتيجى .

فأننا فى التجربة الأفغانية كلها التى استمرت من (١٩٧٨حتى ١٩٩٢) نجد خوست وحدها شهدت المراحل الثلاث كاملة .

لهذا تكون خوست مثالا رائعا لدراسة تجربة متكاملة فى حرب العصابات تحمل السمات الأفغانية بشكل ناصع الوضوح، وكذلك سمات الموقف الدولى وقتها ـ على اعتبار أن حروب العصابات فى تلك المرحلة التى أطلقوا عليها مرحلة الحرب الباردة ، التى غطت المساحة الزمنية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥) وحتى سقوط الأتحاد السوفيتى(١٩٩١). فى تلك المرحلة تعامل القطبان الأعظم دوليا (أمريكا والسوفييت) مع حروب العصابات ـ بتسمياتها المختلفة : من حرب تحرير إلى حرب تحرر وطنى إلى مقاومة وطنية .. إلخ،

تعامل القطبان مع كل ذلك على أنها حروب بالوكالة ، وإستطاعوا بالفعل تحويل معظمها إلى حروب بالوكالة ، متجاهلين مصالح الشعوب التى خاضت تلك الحروب.

ذلك التعسف المتجبر من القوى الدولية العظمى منعت معظم الشعوب التى خاضت تلك الحروب من تحقيق مصالحها إما بشكل كامل أو بشكل جزئى .

فإذا فازت تلك الشعوب بشئ من الفوائد تتوالى الضغوط الدولية عليها لإستخلاص تلك الفوائد . فهناك الحروب المتصلة من الداخل والخارج،وهناك الحصار الاقتصادى وهناك الحرب النفسية لفرض حصار سياسى ومعنوى وحواجز بين ذلك الشعب

"المنتصرجزئيا " وبين شعوب العالم التى قد يغريها إنتصار ذلك الشعب بإقتفاء أثره وإعلان العصيان على الظلم الدولى .
وما حدث فى أفغانستان بعد سقوط النظام الشيوعى كان مثلا "كلاسيكيا" على إستخلاص الفتات الذى قد تفوز به الشعوب ، وفرض الهزيمة الكاملة عليها إن لم يكن فى ساحات الحرب ففى ساحات العمل الإقتصادى والسياسى والنفسى والأمنى بعد إنتهاء الحرب .
نعود إلى "الغنائم " وأهميتها فى تزويد الحركة الجهادية بمستلزماتها من الذخائر . وهذا أمر يسير نسبيا فى بدايات الحركة نتيجة حجم مقاتليها الصغير وأسلوبهم فى العمليات الصغيرة الخاطفة .
ولكن الأمر يزداد تعقيدا مع نمو الحركة وزيادة عدد مقاتليها وإعتمادها التدريجى والمتزايد على الأسلحة الثقيلة ، والحجم الأكبر للعمليات العسكرية , وعلاج هذه المشكلة ممكن لكنه يحتاج إلى إنضباط وسيطرة شديدة ، وقيادة قوية كفؤه ، وعناصر مدربة ومنضبطة .
وكما رأينا فى أحداث فتح خوست أن الذخائر المتوفرة فى المخازن المركزية لدى الحركة لم يكن كافيا سوى لجزء محدود من معركة الفتح وهو،على الأكثر، الإستيلاء على خط الدفاع الجبلى فى جنوب الجبهة .
ولولا القوة المعنوية للقيادة (حقانى) وثقة الأفراد والكوادر فيه. لما أمكن تجاوز هذه المشكلة،وربما بقيت خوست فى يد القوات الشيوعية ، وتغير بالتالى تاريخ أفغانستان المعاصر ، لأن التسوية الدولية كانت جاهزة وأبطالها على أهبة الإستعداد للقفز على الحكم والسيطرة على زمام الأمور بدعم دولى كامل .
إن نظام الغنائم لم يطبق فى الحرب الأفغانية بشكله الإسلامى الصحيح إلا فيما ندر. وإلا فإن المصطلح الشرعى تم إطلاقه على عمليات سطو وغلول وسرقه كلها يستحق العقوبة الشرعية .
وبشكل عام كانت عملية الجهاد فى أفغانستان أقرب لأن تكون عملية تمرد شعبى وقبلى مسلح واسع النطاق ، خارج عن نطاق السيطرة المركزية لأى طرف. فيما عدا طرف خارجى هو الولايات المتحدة،التى كانت تشجع وتدفع نحو الفوضى وكانت باكستان هى الطرف الإقليمى الأساسى فى إشعال تلك الفوضى من أجل توسيع نطاق نفوذها الأقليمى فى أفغانستان على أمل إبتلاعها كلها أو معظمها فى المستقبل .
هذا لا يمنع أن بعض الأطراف، فى خضم تلك الفوضى، إستطاع أن يتماسك وأن يفرض بقوة السلاح رؤيته لمسار الأحداث ، وإكمال تحرير أفغانستان، ومحاولة إقامة نظام إسلامى .
وكان حقانى واحدا من قادة تلك المحاولات ، بل أبرزهم على الإطلاق ، وكان حوله عدد كبير من علماء الجنوب الكبار ، كانوا أقل شهرة على المستوى الخارجى .

كانت الغنائم كافية لتسيير شئون الجهاد من بدايته حتى نهايته بالإنتصار الكامل .
وكان ذلك يستدعى وجود إتحاد حقيقى بين المجاهدين وقيادة قوية كفوءة .
وأن يطبق قانون الغنائم بشكل مركزى على الجميع ، وتنتهى الظاهرة التى بدأت مع تدويل الجهاد، أى المتربصين أو "قوافل الغلول " التى ظهرت عند فتح خوست ومن بعدها عند إستسلام باقى المدن .

ولا شك أن موضوع الغنائم يحتاج إلى إجتهاد فقهى جديد فى ظروف الحروب الحديثة ، لكون العديد من المعطيات المحيطة بالحرب قد تبدلت .
ففى القديم كان المجاهد وحدة مكتفية ذاتيا ـ تقريبا ـ من حيث السلاح والمعدات الأخرى والنفقات ، والتدريب .. الخ .
وحاليا يحتاج المجاهد إلى معظم تلك الإحتياجات أو كلها من القيادة .

أما عن الغنائم من السلاح الثقيل ، فإذا كانت القيادة تشترى حصة المجاهدين من تلك الأسلحة ، حتى يعاد إستخدامها فى القتال مرة أخرى ولا تخرج من ميدان المعركة كى تباع خارج الحدود . فإن ذلك سيدفع القيادة نحو الإفلاس نظرا لإرتفاع أسعار تلك المعدات ، وعدم توافر سيولة كافية لدى القيادة .
وبالتأكيد سيتأثر باقى النشاط الجهادى ويضعف إذا توجهت الأموال إلى بند واحد فقط ـ رغم أهميته الكبيرة ـ وهو السلاح الثقيل .

لقد حاولت "حركة طالبان" أن تقدم إجتهادا فقهيا جديدا لموضوع الغنائم فألغته بالكامل ،على إعتبار أن الحركة تقدم لرجالها جميع مسلتزماتهم.ولكن ذلك لم يكن موضع ترحيب من جانب رجال القبائل ورأوا فيه تخليا عن قانون إسلامى من جانب حركة قامت من أجل تطبيق الشريعة .
وذكرنا فى موضوع سابق أنه من أخطاء حركة طالبان إعتمادها الفقهى على علماء من باكستان ، بعيدين كل البعد عن روح المجتمع الأفغانى ، ولم يمارسوا العمل الجهادى وحتى لم يقتربوا منه بالمرة . كما أن هؤلاء الفقهاء كانوا على إرتباط وثيق ـ ليس فوق الشبهات ـ مع دوائر الإستخبارات الباكستانية ، أو حسب قولهم : شخصيات متدينة وملتزمة داخل تلك الأجهزة !! . (انظر كتاب صليب فى سماء قندهار).

كلما زادت نسبة التمويل الخارجى للحركة كلما قلت حريتها فى إتخاذ قرارها السياسى . أو حسب القاعدة الشهيرة : " يأتى القرار من حيث يأتى الدولار" .
وفى أفغانستان كان يمكن للغنائم ان تحل المشكلة كلها أو معظمها على أقل تقدير.
ولكن المصيبة العظمى فى العمل الإسلامى كله ، وقد كانت ظاهرة بشكل بشع فى أفغانستان ، كانت هى التفرق، وهى مشكلة تعوق حركة الإسلام نفسه فى العالم كله وداخل كل مجتمع إسلامى على حده .
فلا شك أن حرب أفغانستان ضد السوفييت كان يمكن أن تكون أقصر زمنيا وأقل كلفة فى الأرواح والأموال، لولا أنها بفعل التدخل الدولى تحولت إلى فوضى عارمة أكلت الأخضر واليابس وكانت نتائجها غير متناسبة مع ما بذل فيها من ثمن .

وبسبب الفرقة أيضا تمكنت أمريكا من إجتياح البلد "أفغانستان" ومطاردة الإسلام فى أقوى معاقله على سطح الأرض .

فى حرب العصابات طويلة الأمد ـ كما فى الحالة الأفغانية ـ أثناء المرحلة الأولى لا يكون ممكنا الإستفادة من المعدات والأسلحة الثقيلة التى يغنمها المجاهدون . لذا يجرى إتلاف هذه المعدات أو تدميرها ، فيما عدا الأجزاء الصغيرة التى يمكن إنتزاعها للاستفادة منها .

أما الذخائر الثقيلة ، فتستخدم فى كمائن المتفجرات أو شق طرق للمرور فى الجبال .

وعندما تتسع رقعة الجبال التى يسيطر عليها المجاهدون ، تبدأ ظهور "قواعد المجاهدين " . وهى من أهم معالم المرحلة الثانية لحرب العصابات وهى مرحلة غاية الحساسية ، لأن الوصول إليها يعنى فى غالب الأمر أن إنتصار المجاهدين بات مسألة وقت. فيعلوا الحديث عن تسوية سياسية كما يعلو ضجيج المعارك وتزداد عنفا حتى يحصل كل طرف على أكبر مكاسب سياسية ممكنة .

"قواعد المجاهدين" تقوم بمهام الادارة والتدريب والتخزين ومقار الإستخبارات ، والتخطيط العسكرى ، وإجتماع القيادات .. الخ .

لذا فهى تعكس جانباً هاماً وأساسيا من جوانب تطور حرب العصابات ، ودلالة على وصوله مرحلتها الثانية (مرحلة التوازن). ولما كانت تلك القواعد ثابته ، لذا تصبح تلقائيا هدفا لهجمات العدو الجوية والارضية .

وقد مرت بنا قصة قاعدة جاور ، ودورها والمعارك التى دارت لأجلها لذا فهى مثالا نموزجيا (انظر عمليات جاور عامى ١٩٨٥، ١٩٨٦) .

ومن نماذج عمليات المرحلة الأولى لحرب العصابات (مرحلة الدفاع الاستراتيجى) ، وتأخذ عادة شكل عمليات الكمائن وعمليات الغارات .

فمن الكمائن مرت علينا الكمائن للقوات الحكومية على طريق زدران ، وأدت تلك الكمائن إلى فقدان حوالى فرقة عسكرية أو أكثر مدعومة بالمدرعات حتى توقفت الحكومة عن المحاولة (أنظر عمليات عام ١٩٧٩فى كتاب ١٥طلقة فى سبيل ا).

ومن نماذج الغارات فى المرحلة الثانية من حروب العصابات " مرحلة التوازن الاستراتيجى " مرت علينا عمليات :

- فتح حصن نادر شاه كوت ـ ١٩٨٩(كتاب الحماقة الكبرى)
- فتح منطقة دراجى (تاناى) ـ ١٩٨٩(كتاب الحماقة الكبرى)
- الإستيلاء على جبل تورغار ـ ١٩٩٠(كتاب المطار ٩٠)

والنموذج المثالى للمرحلة الثالثة لحرب العصابات (مرحلة الهجوم الاستراتيجى).

جاء فتح خوست كحالة نموذجية واضحة الدلالة لم تكرر فى الحرب الأفغانية كلها . كما أنها تحمل السمات الأفغانية المحلية وسمات التحالفات الدولية والإقليمية وتوازنات الموقف الدولى وقتها ـ شأنها فى ذلك شأن كل حركة حرب تحرير (أو حرب عصابات أو ..) فى كل زمان أو مكان .

نعود إلى موضوع إستهلاك الذخائر فنقول أنه يتوقف على حجم المجموعات ، وعيارات الأسلحة ثم كثافة العمليات .
وهناك عوامل هامة لكنها أقل وضوحا مثل مستوى التدريب ومستوى السيطرة على القوات وكفاءة القيادة .
ومصير الحرب الجهادية كلها قد يحدده عنصر الذخائر ، وإرتباط ذلك العنصر بعامل الإقتصاد وعامل السياسة .
وبشكل عام فإن العنصر الممول للحرب هو العنصر المستفيد من نتائجها، أو معظم تلك النتائج. فإذا تعدى إستخدام الذخائر إمكانية التمويل الذاتى للمقاتلين (أو الحركة الجهادية) فإنها ستلتفت نحو العون الخارجى، وهنا تقع فى المصائد السياسية لأطراف خارجية. ولا بأس من ذلك اذا كان هناك تطابق سياسى وأيدلوجى مع ذلك الطرف الخارجى ـ ولكن ذلك أمر نادر الحدوث ((وهو ما حدث مثلا مع حركة التحرير فى فيتنام الجنوبية التى قاتلت الأمريكين ، بالاعتماد الكامل على فيتنام الشمالية التى تطابقت معها كاملا سياسيا وأيدولوجيا وسكانيا)) .
ولكن مثل ذلك التطابق لم يكن موجودا بين الحركة الجهادية الأفغانية وحكومة باكستان التى دعمتها فى شتى المجالات . فكانت النتائج ماهو معروف حاليا من ضياع كل نتائج الجهاد فى أفغانستان وعدم تحقيقه لأى من أهدافه سوى هدف طرد السوفييت الذى جاء لصالح الأمريكيين فقط ولغير صالح المسلمين لا فى أفغانستان ولا فى العالم كله .
بل أكاد أقول أن خسائر المسلمين من جراء سقوط الاتحاد السوفيتى كانت أفدح من خسائر ذلك الإتحاد نفسه. فقد جرت عملية كبرى لمعاقبة المسلمين فى العالم كله ، وفرض المزيد من الهزائم والقهر عليهم لمنعهم من الإستفادة من إنتصارهم الذى تحقق فى أفغانستان.
حدث ذلك فى طاجكيستان وأوزبكستان وكل أسيا الوسطى ، والشيشان والقوقاز ، ثم البوسنة وكل أوروبا بل فى كشمير وكل شبه القارة الهندية ، وفى الصين وأندونيسيا و الفيلبين.
ونضيف أنه تمت معاقبة التيار الإسلامى فى العالم كله ، وزاد إرتباط أنظمة المنطقة بإسرائيل وأمريكا للعمل المشترك ضد التيار الإسلامى على إعتباره "تياراً غير ديموقراطى ومعاد للسلام "!!. كل ذلك له إرتباط لا شك به ، بالإنجاز الذى أحرزه المجاهدون الأفغان والعرب ومن شتى البلاد الإسلامية فى أفغانستان .
بإختصار .. كان مفهوما أن صحوة إسلامية جهادية كالتى ظهرت بوادرها وفعاليتها الكبرى فى أفغانستان ـ رغم كل العوائق والسلبيات هى الحل الحقيقى لإستقلال العالم الإسلامى عن الهيمنة الأمريكية ونهاية المشروع الإسرائيلى فى فلسطين والعالم .

النتائج السياسية السلبية التى حصلنا عليها فى أفغانستان هى نتيجة منطقية لغياب الوحدة فى صفوف المسلمين ، ثم وضع الأمر فى يد قيادات غير أمينة "خائنة" سلمت كل أمورها لأعدائها لقاء مكاسب شخصية هزيلة .
وأخيرا سقط الجهاد كله كورقة فى اليد الأمريكية تلعب بها وفق مصالحها الدولية .
ولا شك لدينا أنه كان يمكن للمسلمين الفوز فى تلك المعركة بالإعتماد الكامل على ا وعلى الامكانات الذاتية للأفغان والمسلمين .
وأن التكنولوجيا الأمريكية لم يكن لها أى دور يذكر فى الإنتصار الذى حصل ، بل كانت ركوبا على موجة الإنتصار لترويج أسلحتها دوليا ورفع مكانتها السياسية كقطب أوحد .
ونرى اللآن أن حركة طالبان تخوض حرب عصابات ناجحة ضد الإحتلال الأمريكى والأوروبى فى ظروف غير مواتية من جميع النواحى مع حصار إستراتيجى مفروض عليها من أعداء أقليميين يحاصرونها تماما من كل جانب .
ومع ذلك فإن فرص النجاح أمام تلك الحركة والشعب الأفغانى معها تبدوا إحتمالات كبيرة جدا .
نعود إلى مقارنة إستخدام الذخائر فى المرحلة الأولى مع المرحلة الثالثة فنقول أنه فى المرحلة الأولى "عام ١٩٧٩" كنت وزميلى المنياوى، نشكل المجموعة العربية الوحيدة فى أفغانستان . وخلال الفترة التى قضيناها إستهلك كل واحد منا خمسة عشر طلقة ـ وكان ذلك كما ذكرنا ـ تبذيرا غير عادى(**انظر كتاب ١٥طلقة فى سبيل ا**).
أما الآن فى المرحلة الثالثة للحرب فكانت مجموعتنا العاملة فى "مشروع المطار الجديد" وعددهم يتراوح بين ثلاثين إلى أربعين شخصا, استهلكنا١٤٠٠ قذيفة كاتيوشا عيار١٠٧مليمتر.
ولم نكن هذه المرة سوى جزء صغير جدا من التواجد العربى فى أفغانستان، ومجرد جزء من التواجد العربى فى خوست . فقد كانت هناك مجموعة أبو الحارث ـ أهم مجموعة عربية عاملة فى خوست ـ ثم مجموعة تنظيم القاعدة كأهم مجموعة "للتدريب" وليس المشاركة العسكرية . وكنا قد إستخدمنا فى " مشروع المطار القديم" ١٢٠٠ قذيفة كاتيوشا فقط ـ رغم أنها كانت عملية أكثر دقة ونجاحاً من مشروعنا للمطار الجديد ـ الذى تميز بأنه كان أشد خطورة بل كان مجازفة جنونية بكل معنى الكلمة ـ ولكننا حققنا قدرا جيدا من النجاح رغم كل شيئ .
وزيادة إستهلاك الذخائر (١٤٠٠) قذيفة يرجع إلى أننا قدمنا دعما بالنيران لمجموعات أرضية للمجاهدين. كما أن البدو إستولوا على الراجمة واستخدموها نهارا وقت بداية العمليات، فتركنا لهم المنطقة كما ذكرنا سابقا .
من سمات معارك تلك المرحلة الثالثة هو التكثيف أو التركيز الشديد أو حدة المعارك.
ذلك يعنى معارك قوية وقصيرة وذات إستخدام كبير جدا فى الذخائر من العيارات الكبيرة خصوصا ـ وبالطبع العيارات الخفيفة أيضا .

فإذا قارنا على سبيل المثال بين معركة خوست ، كنموذج مثالى ووحيد أفغانيا لمعارك فتح المدن فى المرحلة الثالثة لحروب العصابات، وبين معركة قاعدة جاور١٩٨٦(أنظر كتاب معارك البوابة الصخرية).

نجد أن معركة فتح خوست قد إستغرقت ثلاثة عشر يوما فقط إضافة إلى يومين وقفة تعبودية. بينما استغرقت معركة جاور ثمانية وعشرين يوما.

عدد شهداء فتح خوست يكاد يعادل شهداء معركة جاور أو أقل قليلا (٩٠شهيد تقريبا فى خوست مقابل ١٢٠ شهيدا فى جاور تقريبا) .

إستهلاك الذخائر لدى المجاهدين فى معركة خوست لم يسبق له مثيل. بحث نفذت بالفعل ذخائر الدبابات والهاونات ـ ثم تبعتها باقى الذخائر حتى الخفيف منها ـ ولولا عناية ا والغنائم الهائلة التى غنمها المجاهدون من الخط الدفاعى الجنوبى ومخازنه الخلفية الملاصقة له ـ لأنتهت العملية كلها إلى الفشل وربما إلى كارثة .

ـ فى جاور كان الإستهلاك الأساسى هو فى ذخائر المضادات الجوية (الدوشكا 12,7مليمتر ـ والزيكوياك 14,5مليمتر) لأن المعركة كلها تقريبا كانت ضد الطائرات إلا فى الجزء الأول منها عند الدفاع عن جبل رغبلى ، فكانت معارك متلاحمة تقريبا تعتمد على المشاة ذوى التسليح الخفيف والمدعومين بالهاونات أساسا ثم راجمات الصواريخ .

فى معركة فتح خوست كانت رمايات العدو بالطيران وصواريخ سكود التى تنطلق من العاصمة كابول ، كانت شيئ فوق أى تصور .

فالطيران كان متواجدا فوق سماء خوست معظم ساعات النهار والليل وحسب مشاهداتى وقتها كان خط الجبال الجنوبى مشتعل بقذائف الطيران من مختلف الأنواع طوال اليوم طوال المعركة بلا إنقطاع ، وبطول يصل إلى ١٥ كيلوا متر تقريبا .

أما القنابل العنقودية فكانت تغطى الوادى كله تقريبا ـ ماعدا المناطق التى مازالت تحتفظ بها القوات الحكومية ـ وذلك طوال النهار والليل تقريبا. وغطى القصف الجوى والعنقودى المنطقة شرق الوادى من خط دفاع العدو وحتى منطقة الراجمات عندنا ثم شمالا إلى خط الجبال المقابل لنا.

وقد أخبرنا العديد من المجاهدين فى مناطق آخرى أنهم تصوروا أنهم لن يجدوا أحياء من مجموعتنا على الأطلاق .

ومع ذلك لم نفقد ولا شخص واحد أو حتى جريح واحد.

هذا ولم يكن لدى المجاهدين أى دفاعات أمام طائرات العدو ، لأنها تأتى على ارتفاعات شاهقة وترمى بدقة عالية ، وتكتشف الأهداف بدقة نهارا وليلا . وكان من بينها أنواع جديدة تشارك لأول مرة فى العمليات من طرزات الميج و"السوخوى" السوفيتية .

كان لدى المجاهدين عدد محدود جدا من صواريخ ستنجر لكنهم لم يسقطوا أى طائرة سوى هيلوكبتر عسكرية(مى٢٤) فوق المطار الجديد فى عصر اليوم السابق

لسقوط المدينة. واعطبوا ثلاث طائرات آخرى من نفس الطراز بأسلحتهم المضادة للطيران، وكلها خفيفة ومتوسطة العيار.
وعامة لم يكن للهيلوكبتر فى هذه المعركة تأثير يذكر لأنه كان يخاف كثيرا من صواريخ ستنجر على قلتها ، ولأنه لابد وأن يعمل من على إرتفاعات منخفضة فكان معرضاً أكثر لنيران الأسلحة الخفيفة . ومع ذلك فقد أبدى طياروا الهيلوكبتر شجاعة كبيرة فى القتال خلال اليومين أو الثلاثة الأوائل ثم إنطفأوا فجأة .
بعد الفتح إستولى المجاهدون على ثلاث طائرات هيلوكبترمعطوبة بدرجات متفاوته.
أما مجموعاتنا مع مساعدات قليلة جدا من آخرين ـ فقد تمكنت من إحراق ست طائرات نقل عسكرية على مدرج المطار . وأسرت طائرة آخرى منعتها من الاقلاع فى صباح اليوم الاخير لمعارك الفتح .
لذا تكون مجموعتنا صاحبة أفضل سجل فى"الدفاع الجوى" فى تلك المعركة. وكان يمكن أن تحقق نتائج أفضل من ذلك بكثير لولا الظروف التى تحدثنا عنها سابقا ، وحالة الإضطراب التى ترافق عمليات أرضية واسعة وسريعة الحركة مع حالة إنضباط تتم بمعجزة إلهية ومعرضة للإنفراط فى أى لحظة أو أى طارئ كبير.

<u>المدفـعيـة فى الـمعركة</u>

الرمايات المدفعية فى تلك المعركة، كان المجاهدون نجومها . فقد كانت دقيقة نسبيا وسريعة الرد ، وعلى درجة من الكثافة لا بأس بها ـ وظلت تعمل طول المعركة بينما مدفعيات العدو تضعف تدريجيا ثم تنطفئ .
السبب هو أن إنكماش رقعة الأرض التى يسيطر عليها العدو جعله يركز مدفعياته فى مناطق محدودة ، كلها فى مرمى مدفعيات المجاهدين .
فكثرت الإصابات فى مدفعية العدو . ونتيجة الحصار والخطورة الشديدة فى إستخدام المطار ، لم يستطع تعويض ذخائره ، ثم عادة العدو السيئة فى الاستخدام المفرط للذخائر إستنفذت مخزونه بعد أيام قليلة .
المركز الأساسى لمدفعيات العدو كان هضبة متون ، التى ملأها بالحفريات والخنادق لأنواع مختلفة من مدفعيات الميدان والهاونات الثقيلة والدبابات .وكان التكدس رهيبا ، ولنا أن نتوقع أن خسائرهم كانت كذلك .
المركز الآخر لمدفعيات العدو كان خلف المطار الجديد بمسافة قليلة فى مركز صحراوى جيد الإعداد يفصله عن المطار مدق ترابى متسع هو بداية الطريق الواصل بين المدينة وجبل كوكاراك ويسير طويلا حتى يصل إلى"جاجى ميدان".
مركز المدفعية هذا بدأ بداية قوية جدا فى اليوم الأول للمعركة ، ثم إنخفض أداؤه كثيرا بعد اليوم الثالث ـ وقد خصص لراجماتنا جزء من مجهودة ، وكان أداؤه جيدا حقا فى بداية الأمر.

ـ ولكن مدفعيات المجاهدين لم تقدم لنا دعما يذكر فى عمليتنا هذه ضد المطار الجديد فقط فى اليوم الأخير للمعركة عندما حاولت طائرة شحن أن تفر من المطار عند الضحى ، وتصدت لها راجمتنا ، تدخل أحد مدافع المجاهدين لدعمنا ، وكان مؤثرا وساعدنا فى أسر تلك الطائرة .
سبب ذلك الدعم هو أن مدفعية المجاهدين فى ذلك اليوم الأخير للمعارك كانت "خالية شغل " تقريبا ، وكانت العملية فى الضحى حيث يسهل رؤية الهدف .

أسـرى الـفـتـح

فى المرحلة الثانية من معركة فتح خوست (٢٦ـ ٣١مارس) (١٠ـ ١٥رمضان) عندما تمكن المجاهدون من عبور نهر شمل الثائر. أيقن العدو فى مختلف مراتبه أنه قد خسر المعركة وأنهم لم يعودوا يدافعون عن مدينة خوست بل عن حياتهم الشخصية ـ وذكرنا أن ميليشيا "جام جم " الأوزبكية التابعة لعبد الرشيد دوستم (رئيس أركان للجيش الأفغانى بعد الإحتلال الأمريكى!!) ، تلك الميليشيا كانت الأشد شراسة فى القتال لإنتفاء إمكانية هروبها أو العفو عنهم نتيجة سجلهم الوحشى والإجرامى فى المنطقة .
الكثير من الضباط بدأوا فى الهروب بثياب مدنية وخرج مع أفواج المدنيين الفارين من المدينة ، أو دخل فى الجبال لاجئاً إلى قبائل بعينها كانت تتعامل مع الحكومة .
فى موقعنا الشرقى وفد علينا الكثير من العسكريين الفارين ، وكنا نسلمهم للمجموعات التى حولنا. جميعهم كانوا يدعون أنهم مجرد جنود يعملون فى حفر الخنادق (وهم أردأ أنواع الجنود) وكثير منهم كانوا كاذبين ، فجندى حفر الخنادق كان يعرف من النظرة الأولى ، فهو قروى ساذج جدا متيبس الجسم جاف الملامح أسمر اللون ذو أيدى صلبة وكفوف يد كالخشب لكثرة إستخدام المعاول ورفع الأحجار .
ذات يوم جاءنا شخص فى ثياب مدنية نظيفة وقال لنا أنه هارب من الجيش وعند سؤاله عن عمله فى الجيش قال أنه يحفر الخنادق . نظرت إليه فإذا وجهه أبيض مستدير يكاد الدم ينبثق منه ، وكف يده ناعمه كأنه لم يحمل سلاحا فى حياته . أيقنت أنه ضابط إستخبارات ، فحولناه إلى المجموعات الأفغانية حولنا متمنين أن يقتلوه، لكنهم لم يفعلوا وأخذوه بعيدا ربما لإبرام صفقة معه .
لقد عامل حقانى جميع الأسرى بما فيهم ضباط شيوعيين كبار فى الجيش والإستخبارات معاملة كريمة جدا ، وأطلق سراحهم جميعا إما فى الحال أو بعد فترة قصيرة (العديد من هؤلاء عادوا للظهور ضمن الجهاز الأمنى والعسكرى الذى صنعته أمريكا لحكم أفغانستان بعد سقوط حكم طالبان).
كما أنه لم يتعرض بسؤ للهندوس فى المدينة . وكانت تلك السياسة موضع إنتقاد عدد كبير من المجاهدين ومن أوساط العرب .

وذكرت سابقا أننى طلبت من حقانى إعطائنا قرية الهندوس كى نجعلها قرية للعائلات العربية بعد أن بدأت عمليات الإضطهاد وأوشكت على البدء عمليات المطاردة والإعتقال فى باكستان، تحت إشراف فرق من الاستخبارات الأمريكية، ولكنه رفض الفكرة وقال أنه سيجد حلولاً أخرى فى المدينة .
وبالفعل أخذ بعض العرب فى وقت لاحق بيوتا على طرف هضبة متون كانت لخبراء ألمان شرقيون .

تابع إنحرافات الغنائم

الجانب الأسوأ فى قضية الغنائم لم تكن هى فقط مشكلة الغلول وجماعات المتربصين.
أو السرقات الجماعية المسلحة تحت غطاء أحزاب بشاور ـ أى بإستغلال أعلام تلك الأحزاب وصور زعمائها أثناء السطو المسلح ، ثم الحصول على التغطية الأدبية من تلك الأحزاب بعد ذلك وربما قبله أيضا .
الأسوأ كان داخل الجماعات المجاهدة التى ضحت بغنائمها فى بداية المعركة عن طيب خاطر ، فكان ذلك سببا أساسيا لنجاح الحملة وإتمام عملية الفتح .
رغم ضخامة الغنائم ـ وربما بسبب تلك الضخامة ـ إجتاحت بعض هؤلاء وليس جميعهم ـ حالة من الأثرة الشديدة ، وحاولوا إستبعاد بعض من شاركوا فى القتال ، من عملية تقسيم الغنائم. وكان العرب للأسف على رأس هؤلاء المرشحين للاستبعاد ، على أساس أنهم "أغنياء" وليسوا فى حاجة إلى الغنائم(وذلك إمتدادا لنظرية أن العرب مجرد حمير يحملون زكائب من المال ـ والتى كانت شائعة جدا وسط الأفغان) .
أهم المتضررين من الإستبعاد كانت جماعة أبوالحارث ، لكونها الجماعة العربية الأساسية فى خوست ، ثم لكون تلك الجماعة كانت تعانى من وضع إقتصادى سيئ جدا نتيجة الحصار المالى والتشويه المعنوى الذى فرضه عليهم المحور الإخوانى السعودى فى بيشاور. لذا خاض أبوالحارث حربا شرسه لعدة أشهر حتى حصل على الجزء الأكبر من حقوق جماعته فى الغنائم .
أما جماعة "المطار الجديد" التي كانت معنا ـ فلم تحصل على شيئ ولكن حاجى إبراهيم ربما حصل فى وقت متأخر على "ترضية ما" ،السبب هو أننى لم أتنازل عن حقنا فى الغنائم كما أننى لم أشن معركة من أجل ذلك كما فعل أبوالحارث العنيد .
سبب آخر هو أن أكثر مجموعتنا كانت من جماعة أبوالحارث وجزء آخر كان من "عابرى السبيل" الذى لم نعرف لهم طريقا بعد فتح خوست ، مع أفراد قلائل من "جماعة القاعدة" وهؤلاء لم يتطرقوا أبداً إلى موضوع الغنائم .
ويبدو أن بعض بعض من الكبار من القيادات لدى حقانى رأوا أن مشاركة فئات غير قتالية فى الغنائم (مثل مجموعات الإمداد أوالحراسات أوالأمنيات والاتصالات .. الخ) تقلل من نصيبهم الطبيعى فيها. فأرادوا الإستحواز على"حقهم" بالإعتراض تارة ـ فلما لم يفلحوا ـ لجأوا إلى الحيلة .

من الحيل أنهم جمعوا بنادق الغنائم وهى روسية الصنع ، وإستبدلوها سراً ببنادق صناعة محلية فى الأسواق الباكستانية القريبة . وكانت البندقية الروسية تستبدل فى السوق بثلاث بنادق محلية . وهكذا إختصر هؤلاء نصيب الآخرين من الغنائم إلى الثلث . بالطبع حدثت مشادات عنيفة ، ولا أدرى كيف تمكن حقانى من إخمادها . بل أنه تحرك مباشرة صوب جارديز ـ بعد أسبوعين أوثلاثة من فتح خوست ، حتى يتمكن من فتحها قبل الشتاء ـ سبب العجلة هو أن الوقت المتبقى قصير على هذه المهمة فيجب عدم إضاعته والسبب الآخر فى إعتقادى هو ألا تتفاقم نزاعات الغنائم داخل مجموعاته المقاتله .

****

صـباح الإنـتـصـار

فى صباح الأول من أبريل ١٩٩١، ظهر وادى خوست والمنطقة من حولنا فى خرمتو ولاكان ، كأنها مولوده من جديد . كل شيئ نظيف ناصع كأنه نزل من الجنة توا إلى الأرض ، ولم تسبق لعين أن رأته أو يد لمسته .

كانت مشاعرى مختلطة كأننى أسير فى حلم ، وكأن كل ما حولى أراه لأول مرة. أنظر إلى الوادى اللامع تحت أشعة شمس الربيع الواهنة وكل شيئ هادئ وكأن لا حرب مرت من هنا يوما .

بالطبع تذكرت صديقى عبدالرحمن ، وكالعادة دوما سألت نفس السؤال الأبدى : ماذا عساه أن يقول لو كان إلى جانبى الآن؟؟ .

أعرف ماذا كان سيقول من موسوعة الصيحات والأهازيج الإسكندرانية التى كان يشدو بها فى أيامنا الذهبية فى منطقة بارى.إبتسمت وطفرت الدموع من عينى .

لم نعد حقيقة نعرف معنى الفرح ، حتى الفتوحات العظيمة تجعلنا نبكى ، ونضع جباهناعلى الأرض حمدا ، ونتذكر الشهداء والمعارك القديمة ، التى ذهبت مرارتها وبقيت منها ذكرى شجية خاشعة . فى المساحات الشاسعة التى أراها الآن من فوق تلال خطنا الأول ، الذى أمشى عليه تحت شمس الصباح بلا قلق ، كل شجرة وصخرة وقرية وطريق أخذت نصيبها من المعارك والدماء .

كل منها له قائمة الشهداء الخاصة به ، والقدماء يعرفونها بالتفصيل . وقفت أنظر إلى الأماكن البعيدة والقريبة وأتذكر شهدائها .

هؤلاء الأحباء الذين رحلوا بتواضع ، وبدون أن ينتبهوا هم أنفسهم إلى حقيقة أنهم أبطال !!.

كان اليوم عيد بكل مافى الكلمة من معنى . يتقابل الجميع بالأحضان والتبريكات ، والبسمات المشرقة ـ والذين حولنا من مجموعات جاءوا لزيارتنا وتبادل التهانى بالفتح . وبدأت جلسات تناول الشاى مع الضيوف ، مع ماتيسر من بقايا حلوى أو بسكويت حيث أن أمدادنا بالطعام متوقف منذ مدة ليست بسيطة .

أبناء "حاجى عبدالقيوم" هم علية القوم هنا ومن المجاهدين النشطين. الأكبر هو الضابط كمال وهو صديق قديم لى منذ معركة ليجاه عام١٩٨٢ .
وتحول من جماعة حقانى إلى جماعة جلب الدين حكمتيار. أما شقيقه الأصغر"مصطفى" فيعمل مع حقانى . وكلاهما موضع ثقة من جانبنا وكنا نعتبرهم سندنا الوحيد فى المنطقة .
فى يوم الفتح الأول قدم لنا كمال غرفته الخاصة وكانت محفورة بشكل رائع فى هضبة كبيرة مسطحة إلى الشرق من جبل ترصدنا .
قبلناها شاكرين ، كى نستأنف فيها فاصل جديد من بلاء عانينا منه لأول وآخر مرة فى أفغانستان ذلك هو بلاء "القمل" . فقد أصابنا القمل فى مغارة الترصد أعلى الجبل بعد يومين من وصولنا. قابلت القمل فى البداية بإستهتار ندمت عليه فيما بعد . ولم يكن لدينا شيئ نستطيع عمله إزاء هذا الوباء ، فقد إنتشر وتكاثر بسرعة غير عادية وملأ بيضه كل ثنايا الثياب . ويفقس البيض ويكبر بسرعة بفضل دمائنا التى إستنزفها القمل، أكثر من العدو الذى يقاتلنا بأحدث الاسلحة .
صديقنا أبوكنعان كا يملك ثيابا إضافية ، لذا فقد تمكن من الإستحمام فى منتصف مدة المعركة وحرق ثيابه القديمة ولبس ثيابا جديدة .
وكان سعيدا أيما سعادة فى ذلك اليوم ، وجاء يتباهى علينا بكبرياء ويحرق ثيابه أمامنا كما كانوا يحرقون الساحرات فى بلاد الغرب .
لم يكن منا أحد لديه ثيابا إضافيا ، فجميع حاجياتنا تركناها فى معسكرنا الخلفى "أبوالعباس" حتى حاصرنا النهر فلم نستطع إستجلاب شيئ منها .
شعرنا بشئ من الغيرة من حالة الرفاهية التى هبطت فجأه على صاحبنا ، ونحن نمارس رياضة الهرش العنيف فوق عضات القمل على أجسادنا المغطاه بالعرق والأتربة، وقبائل القمل المتوحش تمرح على جلودنا بلا كلل .
ولكن فى حياة جماعية حميمة كالتى نحياها ، يستحيل أن تحل المشاكل الفردية إلا بشكل جماعى . لذا فإن صاحبنا أبوكنعان لم تدم فرحته كثيرا بإنتصاره على القمل وإرتداء ملابسه الجديدة . فعند جلوسنا للعشاء فى نفس اليوم . نظر إلينا بأنكسار وهو يمد يده إلى ظهره فى الخلف ، ويكحت جلده وهو يقول يائسا : (يظهر انه عاد مرة أخرى) . بالطبع ضحكنا بشماته خفية حامدين ا على أننا نملك ملابس إحتياطية فى مكان ما من الجبهة . بينما خسر هو إحتياطيه الإستراتيجى من الملابس .
لكن الإخوة عبدالقيوم فى صباح اليوم الأول من الفتح أنعما عليه بملابس نظيفة أحضراها من القرية ، وأعطياه إياها لأنه كان أكثرنا تبرما من وباء القمل .
لم أفوت فرصة يوم الفتح فى بدء معركة جديدة ضد القمل فذهبت إلى الخط الأول من التلال ، وإنحدرت على الجانب الذى كان معاديا . وإختبأت خلف صخور منيعة ، وبدأت فحص ثيابى بدقة مخرجا أسراب القمل واحده فواحده ثم أهرسها بصخرة صغيرة فوق كتلة من الصخر الأسود الضخم . وإستمرت المجزرة حتى الظهيرة، وقد

إكتست الصخرة بالدماء وعدت منتصرا . بقيت اليوم سعيدا نشطا ، حتى وقت العشاء حين عادت أسراب القمل إلى مجاريها فكتمت خيبة أملى عن الجميع حتى لا تهبط روحهم المعنوية .

مجموعتنا أبقت الراجمتين على أهبة الاستعداد لمدة يومين وليليتين بعد الفتح . وكنت أريد الإستمرار حتى سبعة أيام تحسبا لأى إنقلاب مفاجئ فى الموقف . ولكن الضغوط الداخلية حطمت عزيمتى ، فألغيت الإستنفار وبدأنا الأعياد والإحتفالات بعد الجميع بيومين .

بعد حوالى أسبوع أردت العودة إلى مركز "أبوالعباس" بعد هذا الإنقطاع الطويل ، وحتى أتخلص من جيوش القمل وأغير ملابسى وأستحم وأجد شيئا معقولا من الطعام بعد حالة تقشف ميدانى شديد فى جبهتنا الشرقية المحاصرة بطوفان نهر شمل. الفيضان مازال شديدا ، قد يخفت شيئا ما لساعات قليلة فكان يجب أن نراقبه جيدا حتى نقتحم أمواجه الغاضبة بسيارتنا المتهالكة .

<u>سياحة فى أجواء الإنتصار</u>

نظمنا للشباب عندنا "رحلات سياحية " إلى مدينة خوست بعد أن أصبحت فى أيدى المجاهدين . كانت مشاهدة المطار الجديد هو الهدف الأساسى من الرحلة ، مع توصية بألا يصلوا إلى مركز المدينة" البازار" أو هضبة متون .

كنت متخوفاً من نشوب معارك داخلية بسبب حملات الغلول العنيفة التى تشهدها المدينة، وكانت عينى مازالت على المطار ، ومتوجسا من إنقلاب مفاجئ فى الموقف فنحتاج مرة آخرى إلى التصدى للعدو فى المطار ونعيد إغلاقه بالنيران.

فى الأخير ذهبت فى رحلتى السياحية الخاصة يصحبنى زميلى الدائم حاجى إبراهيم الأفغانى،والشابان الرائعان أبوطارق التونسى وأبوكنعان .

مررت فى البداية بالتراكتور المعطل المنغرس مثل الراية الحمراء فى نهر صغير يخترق صحراء جرداء . إنه جنرال "غرزتور" العتيد ، كان موقفه مذريا وعجبت أن العدو لم يدمره طول تلك المده . ثم مررت بمواقع العدو فى الخط الأول المواجه لنا وعلى حافة الطريق العام الذى يصل خوست مع جاجى ميدان مرورا بالمواقع العتيده فى جبل (كوكاراك) وهضبة "أليسار" .

كنت مغرما بتفحص تحصينات العدو،كبيرها وصغيرها . وبشكل عام كنت معجبا بها . فكثيرا ماكانت تحوى أفكارا جيدة تصلح لنا أيضا. ولكن تحصيناتنا كانت غالبا أضعف، ما عدا فى العامين الأخيرين عندما قفز فن حفر المغارات لدينا كماً ونوعاً على أيدى أبطال محافظة وردك الذين أسماهم نجيب "أبناء الجرزان" ولكنهم كانوا أبطالا بكل ما فى الكلمة من معنى وكانوا ضمن الجنود المجهولين خلف هذا الإنتصار العظيم فى خوست .

تكلمنا فى مواضع عدة فى هذه الكتب عن حقيقة أن الجبال تناسب الحرب الدفاعية وأعمال التحصينات ، خاصة فى الهيئات الحاكمة أى المرتفعات والهضاب التى تتحكم فى ممرات هامة و طرق إجبارية (**انظر كتاب فن الحرب للجنرال كلاوزفتز**) .
مجاهدينا كانوا مقاتلين أشاوس ولكنهم حفارون سيئون،والعكس كان عند العدو، فجنوده حفارون ممتازون ولكنهم مقاتلون تافهون للغاية .
فى بداية الحرب كان لدى العدو عدد كبير من الضباط الجيدين والمؤهلين والمتحمسين أيديولوجيا ، ومع نهاية الحرب تغير الحال وأصبح لدى العدوعدد أقل من الضباط الجيدين فى المراتب العليا ، والقليل منهم فى المراتب الصغرى .
العكس كان طرف المجاهدين ، مع بداية الحرب كانوا يفتقرون تماما للخبرة العسكرية والتسليح ولكن كان تفوقهم ساحقا فى الجانب العقائدى والقوة المعنوية ـ ومع نهاية الحرب تغيرت الأوضاع أيضا فالخبرات المتراكمة لدى القيادات الميدانية العالية والمتوسطة كانت كبيرة جدا .
والجانب الإعتقادى تراجع كثيرا لصالح حالة "إحترافية" لصنعة القتال، زكتها التدخلات الإقليمية والدولية واسعة النطاق . فصار القتال عملا مربحا جدا وخطيرا أيضا ولكن ذلك يوافق الطبيعة الأفغانية المغامرة والمستهينة بالأخطار والمتطلعة إلى متعة الربح ، خاصة اذا كان على أسنة الرماح. كل ذلك أضعف طبيعة "الجهاد" وحوله أكثر إلى مفهوم "الحرب بالوكالة " .
كنت أفكر فى مثل تلك الأفكار وأنا أشاهد خندقا فى الخط الأول عند العدو أثار إعجابى . كان عبارة عن شجرة ضخمة قطرها حوالى المترين سقطت من جذورها على الأرض ، فبادر العدو إلى حفر خندق تحتها يصلح لرشاش متوسط ومجموعة من الجنود . كانت الأرض زراعية طينية والأمطار حولت الخندق إلى بركة طين ، انه مشهد البؤس التقليدى لمواقع الجيش الحكومى لكن موقع الخندق متحكم فى الطريق الحيوى الذى يذهب إلى جاجى ميدان كما يتحكم فى سهل منبسط يفصله عن المجاهدين كنت أنظر إليه وأتعجب كيف يمكن التغلب على هذا الخندق بغير الإستعانة بالدبابة وقذائفها المباشرة المدمرة ؟ .
لقد إنسحب العدو من هذا الموقع وغيره كثير بدون قتال ، ضمن حالة الإنهيار العام لموقفه فى المدينة ، لكنه ـ كالعادة أيضا ـ كان قد زرع كمية كبيرة من الألغام على جانبى الطريق المذكور . فانفجرت إحدى السيارات الأهلية ،ثم سيارة أخرى خلفها حاولت تفاديها فإنفجر بها لغم آخر ، ثم سيارة ثالثة ، ولكن الرابعة و...الألف عبرت بسلام ... أنها شجاعة جيوش الغلول التى إندفعت صوب المدينة لا يوقفها شيئ. بصعوبة تفادى حقانى حمام دم فى المدينة، وضحى بنصيب رجاله من غنائم يستحقونها بعد قتال أكثر من عقدين من الزمان حول المدينة .
المحطة الأهم فى جولتنا السياحية كانت فى المطار الجديد ، حيث دخلناه من الطرف الشرقى المواجه لمواقعنا . وهناك شاهدنا "الإصابة الإعجازيه" التى حققناها فى تلك

الطائرة المنكوبة. كانت محترقة تماما ، وقذيفتنا قد شطرتها قسمين من خلف مقصورة القيادة التى شاهدنا بداخلها عدة جثث متفحمة.القسم الخلفى من الطائرة والمخصص لشحن البضائع أو الأسلحة والجنود ، محترق هو الآخر لكنه كان خاليا تماما إلا من جثة محترقة. وعلى الأرض بعد أمتار قليلة من ذيل الطائرة هناك جسد بشرى متفحم وقد تناثرت أمعاؤه السوداء على جانبيه . وقريب من عجلات الطائرة هناك أشلاء آدمية محترقة .

كان المشهد قاسيا جدا ومأساويا .

تحركنا بسيارتنا صوب إدارة المطار وهو فى منتصف الحافة الشمالية من المدرج ومكون من عدة مبانى صغيرة وسط تجمع ساحر من الأشجار الخضراء .

وهناك سحبت القوات الحكومية الطائرات المصابة لتخفيها عن أعين المجاهدين وجميعها من الطراز الحديث (٣٢ـAN) ، وكلها جديدة وتنبعث منها رائحة الدهان. وجدنا تسعة طائرات من هذا الطراز معظمها مصاب إصابات جسيمة وإثنان منها أو ثلاثة منشطرة إلى نصفين بنفس الطريقة من خلف كابينة القيادة . وواحدة فقط سليمه تماما وهى التى أسرناها فى صباح اليوم الأول من الفتح عندما حاولت الفرار من المطار ، وكان يقودها جنرال طيار وبداخلها الجنرال"صلح أمل " المستشار العسكرى لنجيب ا رئيس الجمهورية .

هذه هى كل حصيلة ما خسرته القوات الحكومية فى المطار الجديد ، وعلينا أن نضيف طائرة نقل آخرى أسقطها الشاب البدوى "باتشا دينا" بواسطة صاروخ ستنجر سقطت بعيدا عن المطار .

وبهذا يكون نصيب البدو إصابة ثلاثة طائرات نقل عسكرية دمروها قبل بدء معركة الفتح ونصيب مجموعتنا ست طائرات من نفس الطراز دمرناها أثناء معارك الفتح .

ثم تحركنا إلى منتصف مدرج الطائرات لنشاهد طائرة الهيلوكبتر العسكرية من طراز (مى/ ٢٤) المحترقة هناك ، ولكنها كانت عبارة عن كومة من الركام الأسود . لقد أسقطها المجاهدون بواسطة صاروخ ستنجر فى نهاية المعركة وعندما دخلوا المطار أحرقوها مرتين حتى لم يتبقى منها شيئ تقريبا .

لفت نظرى فى مدرج المطار أنه مغطى بطبقة من فتات الصخور السوداء التى تتواجد بكثرة فى مجارى الأنهار فى أفغانستان عامة ، وفى نهر شمل ورافدة الآخر المار من شرق خوست وهو نهر "منجل" . تحيرت فى السر وراء ذلك خاصة وأن تلك الطبقة غير مضغوطة داخل الأرضية بل متروكة فوقها بشكل حر .

إذا هى تشكل خطورة كبيرة أثناء هبوط وصعود الطائرات لأنها تنطلق مثل الشظايا ويمكن أن تتسبب فى جروح خطيرة أو حتى قاتلة للأفراد حول المدرج ، بل وتصطدم بعنف بجسم الطائرة نفسه .

على الطرف الغربى للحافة الشمالية للمدرج ، كانت هناك سلسلة من الخنادق الضخمة، محفورة كمخازن واسعة مليئة بالذخائر المحترقة من صواريخ وقذائف

هاون وخنادق آخرى محترقة ولكن محتوياتها قد أفرغت . وقع ذلك الحريق أثناء عمليتنا ضد المطار القديم.(**وقد ذكرنا ذلك الحادث فى موضعه ، من كتاب المطار٩٠**).
ثم توجهنا إلى موضع المدفعية خاف المطار، وكان "المجاهدون" يفرغون محتوياته فتوقفنا عن الزيارة ، ورأينا ضابطا طليقا بملابسه العسكرية مازال يعمل فى الموقع ، لم نهتم بالأمر وإنتقلنا نحو بيت ريفى واسع جدا له سور طينى مرتفع ـ كالعادة فى هذه المنطقة ـ كنا قد رصدنا ذلك البيت قبل بدء العمليات بقليل كمخزن رئيسى للذخائر التى تحضرها الطائرات . تأكد لنا ذلك ، ولكنه كان خارج مرمى راجماتنا . وكان من العبث أن نطالب أى أحد بالرماية عليه ، فكل موقع لدى المجاهدين لديه ما يشغله وأكثر ، ولديه من الذخائر مالا يكاد يكفيه.
عبرنا إليه نهر منجل الصغير ودخلنا البيت ـ أو القلعة كما يسمى عادة ـ وكان واسعا جدا بحيث يمكنه إستيعاب عشرين شاحنة فى ساحته الداخلية ، وبه عدة غرف كبيرة ولكن على غير ما توقعنا كان خاليا تماما ، من كل شيئ ، لقد تم نهبه بكل إخلاص . لم نجد سوى صور لنساء هنديات ملتصقة بالجدران والأبواب ، يستعرضن مفاتن مكتنزه ورخيصة، فقام إخواننا بتمزيق وطمس الصور.
تقدمنا على حافة المواقع الحكومية المواجهة للجبال الشمالية. كان هناك عدة قرى فى مساحة زراعية واسعة تليها الجبال . كانت منطقة جميلة وهادئة ، وتأكد عندى ما كنا نلاحظه منذ فترة طويلة أن لا أحد عكر صفو الحكومة من تلك الجهة .
دخلنا موقعا حكوميا كان عبارة عن بيت مبنى من الأحجار والأسمنت وليس من الطين . به عدة غرف لها نوافذ زجاجية بعضها محطم ـ وأمام البيت خندق طويل به مربض لرشاش خفيف ـ وكل شيئ منهوب كما هى العادة ولا آثر لأسلحة أو أثاث.
لم نشأ التوغل أكثر صوب المدينة وقفلنا عائدين . على حافة الحقول رأيت "جحشا" أسودا بالغ الصغر ، فطلبت من حاجى إبراهيم التوقف حتى أذهب لمشاهدته. كان وحيدا فى ساحة شاسعة من الحشائش البرية ، التى لاتخلوا من فرص الموت بالألغام أو القنابل العنقودية التى لم تنفجر. لم يكد الجحش يرانى أتقدم نحوه حتى جاءنى مسرعاً ، وكأنه شعر بتعاطفى معه . كانت عيناه السوداء الواسعة مليئتان بالدموع وتظللهما رموش طويلة وتتدلى بينهما خصلة كبيرة من الشعر الأسود المتهدل .. نظر إلي بحزن ورجاء كأنه يقول لى: (أرجوك خذنى معك) .
لا أخفى أننى شعرت تجاهه بشعور عاطفى ، فوددت لو أننى أضفته إلى مجموعة أولادى فى البيت . لكننى خشيت أن أنضم بذلك إلى قائمة أبطال الغلول .
فتركته آسفا وإستمرينا فى المسير.
على الأرض قرب المطار رأيت قطعة بلاستيكية حمراء مثلثة الشكل ولها قائم حديدى قصير ومكتوب عليها حرف (إم) بالانجليزية . رجحت أنها كانت إشارة على وجود حقل ألغام فى مكان ما لا ندرى أين هو ـ توقفنا وأخذت القطعة ووضعتها فوق

هوائى سيارتنا المحطم . فتحولت السيارة التعيسة إلى هيئة فخمة كأنها سيارة جنرالات . ولكن "أولاد حارتنا" فى ميرانشاه لم يرق لهم الأمر وكأنهم خشوا علينا أن يصبنا الغرور فإنتزعوا قطعة البلاستيك فى أول زيارة لنا للمدينة .
كانت رحلتنا مفعمة بالمشاعر المتناقضة . ولكن الحدث الأسوأ كانت تعطل آله التصوير التى معى بينما كنت ألتقط الصور داخل المطار فضاعت منى الكثير من المشاهد التى يمكن إعتبارها تاريخية .
فى المطار أعجبنى خندقا ، أظنه كان للضباط ، وكان عبارة عن حاوية حديدية حفروا لها عميقا فى الأرض وغطوها بالأتربة والصخور . وقصوا لها بابين على حافتها الطولية ، وكان الدخول والخروج من الحاوية الخندق يتم باستخدام عدة درجات محفورة فى الأرض الطينية . فى الحاوية كان هناك صفان من الأسرة الحديدية لم يتبق منه شيئ ، ولكن سمعنا بأخبارها .
الإخوة "المتربصين " الذين استولوا على المطار كدسوا كل الأسرة الحديدية والخزائن وكل شيئ ، فى تلال رهيبة حتى يبيعونها بالجملة . حتى الطائرات بيعت لتجار الخردة .. وهكذا بيعت أفغانستان .. وبهذه البساطة عادت مرة اخرى إلى ما قبل العصر الحجرى .
لم أشاهد المطار القديم إلا بعد ستة أشهر من فتح المدينة ، لأنى كرهت أن أرى باقى المدينة فى حالة النهب الرهيبة تلك .
كان المطار القديم ملحمة هائلة من الدمار وأظنها من أكبر مقابر الطائرات التى يمكن لأحد مشاهدتها. أكثر من سبعين طائرة معظمها طائرات نقل عسكرية موجودة موجودة على أرض المطار ، وبعضها مخبأ حول المطار فى أراضى زراعية ، وبين الأشجار المحيطة به .
وهناك طائرات أخرى أعطبت لكنها تمكنت من العودة إلى مطار كابول . فكان هناك مقبرة طائرات أكبر من تلك التى فى خوست . ولكن معظمها طائرات أعطبت خارج كابول نفسها . أما مقبرة خوست للطائرات فهى مقبرة " محلية الصنع " بأيدى المجاهدين أنفسهم من مجموعات متنوعة ـ وأظن أن مجموعتنا العربية كمجموعة منفردة كانت صاحبة المركز الأول ، أو أنها تتنافس على ذلك المركز مع مجموعة مفردة آخرى هى مجموعة البدو التابعة للشهيد منان .
((ملاحظة : مصادر أمريكية قالت بأن السوفييت خسروا فى أفغانستان ألف وستمئة طائرة حديثة وأظنها مبالغة أمريكية تعودنا عليها . ولكن يمكن القول أن خسائر السوفييت فى الطائرات لم تكن بسيطة كما أنها لم تكن بسبب صاروخ ستنجر كما أردوا إيهام العالم)).

العبور

بعد عدة أيام وفى لحظة من ضحى يوم مشرق شكلنا سلسلة بشرية يمسك بعضنا بأيدى بعض وتقدمنا أمام السيارة نسبر غور النهر ويحمى بعضنا بعضا من الإنجراف فى مياهه السوداء الهادرة .

كان الشباب كلهم من الجدد ، و"حاجى إبراهيم " يقود السيارة وبجانبه أبوكنعان . ولم يكن مناسبا ترك الشباب يقومون بتلك المهمة الخطرة ، ونحن كبار القوم فى السيارة. فكان واجبى أن أنزل كى أتقدم هذا الطابور المغامر ، سعد الشباب الصغار كثيرا بهذه الشهامة ، ولكننى لم أصارحهم بأننى غير سعيد وأننى أفعل ذلك مرغما . كنا فى غمرات المياه الجارفة نتماسك بالأيدى ونتضاحك ويسقط بعضنا أو يطفوه فيحمله الماء، فنجذبه إلينا مرة آخرى . وبعد المغامرة الخطرة والضاحكة وصلنا بسيارتنا إلى الضفة الآخرى فتجمعنا حول سيارتنا مكبرين وكأننا فتحنا مدينة خوست مرة أخرى .
قرب معسكر أبوالعباس ونحن نخترق بسيارتنا جدول المياه الرائقة العذبة فى تعرجات الطريق بين الهضاب ظهر لنا إبنى الصغير (عبدا) الذى ما أن رآنى داخل السيارة حتى جحظت عيناه ، ولا إراديا ضحك بشكل متحشرج وهو ينادينى. فهمت فورا أنه كان قد فقد الأمل فى أن يرانى مرة آخرى. لقد ظل فى معسكر أبوالعباس أياما طويلة ، وحاول مع آخرين إقتحام نهر الشمل للوصول إلينا فى جبهتنا الشرقية لكنهم فشلوا ـ ولكنه لم ييأس وظل بشجاعة مصمما على العثور على للإطمئنان على صحتى !!. كنت غاية التعجب من شجاعته وصلابته ، فى سنة المبكرة تلك . كان دون العاشرة من العمر شديد النحافة حتى أننى كنت أداعبه بلقب (دودة اللادودة) .
بعد تبادل التحايا والتبريكات والعناق مع أفراد معسكرنا فى أبوالعباس وتبادل أخبار الفتح والمشاركين فيه من أفغان وعرب . جلست مع أبنى عبدا وهو يشرح لى مغامراته منذ أن طلب من أمه فى ميرانشاة أن يأتى إلى الجبهة "للبحث عنى!!" فأذنت له ، وحتى مغامرته بالأمس حين قصفته طائرة نفاثة بصاروخ (جو/أرض) !!.
سألت الشباب عن الموضوع فقال لى أحدهم أنه كان بداخل المغارة حين شاهد عبدا واقفا على بابها فى الخارج ، فذهب إليه فوجده ينظر إلى طائرة نفاثه بعيده فوق خوست ثم شاهد صاروخا ينطلق منها ساحبا خلفه خطاً من الدخان الأبيض . وبسرعة خطف عبدا تحت إبطه وقفز إلى داخل المغارة ، وبينما هما يتدحرجان على تراب أرضها وصل الصاروخ ضاربا حافة بابها العليا .. ولم يصب أحد !! .
فى مغارة الذخائر آجرينا حسابات صرفنا فى الذخائر خلال المعركة ، فوجدنا أننا أستهلكنا ألف وأربعمئة صاروخ كاتيوشا. بزيادة مقدارها مئتى قذيفة عما استهلكناه فى عملية المطار القديم .
بدأت جماعة القاعدة فى إستلام مهمات مركز أبوالعباس وجميعها كانت قرضا منهم ـ وإستعادوا أيضا فائض الذخائر رغم أن الجزء الأكبر من الذخائر كان لحقانى . كذلك مهماتنا فى الجبهة الشرقية، وكانت أيضا للقاعدة، سحبوها من هناك عبر وادى خوست الذى صار "إسلاميا" بعد فتح المدينة ويمكن للمجاهدين التحرك فيه بحرية. كنت لا أكاد أستوعب هذا التغير ، وكأننى أسير داخل حلم وليس حقيقة واقعة . وأخيرا توجهت إلى ميرانشاه مديرا ظهرى لمركزنا العتيد "أبوالعباس" رمز عملياتنا

الرائعة ضد مطارات خوست ، تلك العمليات ، ليست الأكبر من حيث الحجم ، ولكن تأثيرها على فتح خوست كان كبيرا وملموساً ـ ذلك الفتح الوحيد من نوعه فى تلك الحرب ، وذو التأثير الحاسم فى تهاوى النظام .
أدرت ظهرى ليس لمركزنا "أبوالعباس" بل لأفضل مشاركتنا العسكرية فى تلك الحرب وحتى سقوط أفغانستان فريسة للإحتلال مرة آخرى .. ولكن هذه المرة بجيوش أمريكية أوروبية مشتركة ، لقد جاءت "روما" كى تثأر لهزيمة "بيزنطة" على يد المجاهدين المسلمين فى أفغانستان .

(انتهى كتاب فتح خوست)

توابع

****

على سبيل التجربة.. طارات سوخوى٣٤ تقصفنافى أفغانستان

جرب الإتحاد السوفييتى بعد إنسحابة أحدث طائراتة فى معارك أفغانستان، ومنها طائرته (سوخوى٣٤) . صرح بذلك فى دبى مصمم تلك الطائرة فلادمير بابك أثناء معرض دبى٩١ للدفاع والطيران. وقال إنها طائرة صائدة للدبابات أثبتت فعالية فى أفغانستان وهى قادرة على تدمير ١٧ هدفا ثابتا ومتحركا (ونسأل: لماذا لم تصطاد الدبابات الستة التى إقتحم بها المجاهدون مدينة خوست؟؟). وقال أيضا أن لها قدرة هائلة على المناورة ويمكنها القيام بخمسة وعشرين مهمة يوميا.
{{ وللراغبين فى قتل المسلمين... فإن ثمن الطائرة الواحدة وقت عرضها فى معرض دبى هو ٢٥ مليون دولار فقط ... يابلاش!!!}}.
****

مذكرة تاريخية لم يقرأها أحد

هذه المذكرة عن مشروع المطار الجديد ، أو " المطار٩١" ، كنت قد كتبتها قبل شهرين من بدء عمليات فتح خوست ، وتحديدا فى ١٥ يناير ١٩٩١ .
الهدف كان إطلاع أصدقائى فى القاعدة ، أبوعبيدة و أبوحفص ،لعلهما يتحركان لدعم المشروع لكون القاعدة تمثل وقتها الثقل الأكبر للعرب فى أفغانستان ، من حيث الإمكانات البشرية والمالية والتسليحية . ولكن قيادات القاعدة بعد تجربتهم المريرة فى معركة جلال آباد ١٩٨٩ ، فقدوا كل ثقة فى الأفغان وكل أمل فى أفغانستان ، وتقوقعوا داخل برنامج واحد هو التدريب ، وشرعوا فى التجهيز للرحيل من أفغانستان إلى مكان غير محدد .

مساندتهم لمشروع المطار القديم لم تثر حماسهم للإستمرار حيث أن العملية لم تؤد إلى سقوط خوست كما كنا نأمل .
قبل أن نبدأ مشروع المطار القديم ، كتبت مذكرة مشابهة كى يطلع عليها ليس فقط قيادات القاعدة، بل أيضا كل من يشارك معنا فى المشروع . وبالفعل قرأها معظمهم .
أما هذه المذكرة التى بين أيدينا ، فلم يهتم بها أحد حتى قيادات القاعدة ، وربما تصفحها بسرعة صديقاى أبوحفص و أبوعبيدة ، ولا أظن أن أحدا آخر قد طالعها .
لهذا ترددت فى تضمينها هذا الكتاب حيث لم تكن لها قيمة عملية . ولكن رأيت أنها تحمل بصمات تلك المرحلة ، وهى المرحلة التى أثرت عميقا فى الكثير من أحداث وقتنا الحالى .
وهكذا هو التاريخ سلسلة من الحلقات التشابكة المتتابعة ، فمن أجل الإحاطة بالحلقة الأخيرة ينبغى الإطلاع على ما سبقها من حلقات . وهذا هو نص المذكرة :
****

مشروع المطار الجديد (المطار ٩١)

الهدف المباشر من العملية هو منع العدو من إستخدام أيا من مطارى مدينة خوست ، وبذلك ينقطع أى إتصال جوى بين خوست وكابل . وحيث أن إبقاء المطارين مغلقين لفترة طويلة ، هو عملية مكلفة جدا من حيث إستهلاك الذخائر ، خاصة فى الظروف الحالية ،فلا بد من ترتيب عملية هجوم أرضى أو أكثر بهدف التقرب من المطارين ، أو على الأقل المطار القديم. وبالتالى يسهل إغلاق المطار الجديد ، أو المطارين ، بواسطة أسلحة أقل تكلفة من حيث أثمان الذخائر " **دوشكا ، زيكوياك ، هاون٨٢ مليمتر** ".

ملاحظة هامة :

عملية التقرب الأرضى من المطار الجديد يمكن أن يسفر عنها قطع الطريق البرى بين خوست وجاجى ميدان . ويعنى ذلك إنقطاع الشريان الرئيسى لتهريب المواد الغذائية والبترول إلى خوست وإنفصال المدينة تماما عن العالم الخارجى . حيث أن جاجى ميدان تعتبر قشة النجاة التى تتعلق بها خوست . وبالتعاون مع قبائل ترى منجل وبعض قبائل خوست يتم تهريب كميات كبيرة من إحتياجات المدينة بأثمان باهظة تشكل حافزا لأعداد كبيرة من الناس فى الإسهام فى تلك التجارة المحرمة .

إنعزال خوست عن كابول، بعد قطع الإتصال الجوى. وإنعزال خوست عن باكستان والعالم الخارجى، بعد قطع إتصالها مع جاجى ميدان ، سيكون له وقع نفسى كبير على الحامية المدافعة عن المدينة ، والتى تعانى أصلا من الآثار السلبية الشديدة للحصار الطويل المفروض عليهم .
والمتوقع أن يصبح تفكيرهم فى الإستسلام جديا .

فى حال قطع طريق خوست/جاجى ميدان ، فإن الأخيرة تصبح فى حكم المنتهية عسكريا . وسيكون ذلك نصرا جيدا يرفع معنويات المجاهدين ،ويعدل الموازين النفسية لصالح إستمرارية الجهاد ورفض المساومات السياسية، إضافة إلى الغنائم من عتاد وأسلحة فى الظروف الحالية التى يعانى فيها المجاهدون من قلة تلك المواد .

إغلاق المطارين وقع الطريق إلى جاجى ميدان سيضع العدو أمام إختيار جبرى بالهجوم على مواقع المجاهدين لإستعادة المواقع المفقودة وللمحافظة على معنويات قواته . ومن المعلوم عن قوات خوست طول فترة الجهاد أنها لم تفلح فى أى عمل هجومى ، رغم براعتها فى الأعمال الدفاعية ، وكل الأعمال الهجومية الناجحة قامت بها قوات عسكرية ضاربة قدمت من كابول ، وكانت تحتوى

دائما على نسبة كبيرة من القوات السوفيتية ، خاصة فى إدارة العمليات وتشغيل الأسلحة الثقيلة والطيران .
عمليات العدو الهجومية ستسفر عن هزائم عسكرية شديدة ، وذلك سيضاعف من إنهيار معنوياته فيقترب وضعة من الإنهيار العام .
أما إذا إبتلع العدو هزائمه وإكتفى بهجمات شكلية وترك مهمة الرد على سلاح الطيران فإن الإنهيار المعنوى لقواته سيستمر ، وتنخفض رغبتهم فى القتال ، ويصبح التسليم أكثر إحتمالا .

إستنتاج:

أولا ـ ينتج مما سبق أن عملية التقرب الأرضى من المطارين هى العمل الأساسى ، وأى عملية إغلاق بالمدفعية فقط ستكون عملا عابرا مشكوكا فى إستمراره .
ثانيا ـ قطع الطريق البرى " خوست/ جاجى ميدان" يعتبر فى الظرف الراهن هدفا إستراتيجيا يؤثر فى مسار المعركة كلها، خاصة إذا إرتبط مع إغلاق المطارين ضمن مخطط واحد.

على هامش العملية

للمساندة المدفعية دور رئيسى فى نجاح عمليات الهجوم أو الدفاع. ومن أولويات العمل المدفعى هو التجميع ، أى العمل فى مجموعات.
ومن سباب نجاح عملية المطار القديم كان العمل وفق ذلك المبدأ ، وكان ذلك مفاجأة للعدو الذى لم يتعود على إتباع المجاهدين لتلك الطريقة البديهية. لذلك كانت خسائره فى الطائرات فادحة .
لذلك نقول أنه يجب مراعاة مبدأ تجميع قطع المدفعية والعمل بها من خلال تشكيلات موحدة ، ينطبق ذلك على العمل ضد المطارين وأيضا فى عمليات الهجوم الأرضى .
ـ ولابد أن نلاحظ أن نفس المبدأ ينطبق أيضا على الدبابات ، مع ملاحظة أن الإستخدام الأمثل للدبابة هو إستخدامها كقاعدة مدفعية متحركة ، سواء فى الهجوم أو الدفاع ، والإبتعاد قدر الإمكان عن إستخدامها كمدفع ثابت .
إن الأعداد المتوفرة حاليا لدى المجاهدين من الدبابات والمدفعية الثقيلة "١٠٥" مليمتر ، وراجمات الصواريخ " BM 12" فى حال إستخدامها بشكل جيد ، فإنها تكفى وزيادة لإحتلال المناطق التى نحتاجها لإحكام الحصار البرى والجوى على المدينة .

دور العرب فى العملية:

بناء على نجاح التجربة السابقة فى إغلاق المطار القديم للمدينة ، فإن الإخوة المجاهدين عبروا صراحة عن حاجتهم لقيام العرب بإغلاق المطار الجديد. والأسباب التى أبدوها هى:
١ ـ عدم قدرة المجاهدين على تنسيق النيران والعمل بشكل"مجمع" لعدم وحدة القيادة .
٢ ـ عدم قدرتهم على العمل طوال الليل للتصدى لمحاولات الإنزال فى المطار أو الإستمرار فى ذلك لفترات طويلة.
٣ ـ قلة الذخائر لدى المجاهدين.
لذلك فإن قيام العرب بمهمة إغلاق مطارى المدينة يعتبر مسئولية شرعية وأدبية.
زيادة على ذلك فقد أبدى الشيخ جلال الدين حقانى وقت تنفيذ العملية الأولى إستعداده للتخلى عن الدبابات الموجودة لديه كى يديرها العرب. وأظن أنه لايمانع فى إدخل المدفعيات المتوفرة لديه ضمن أى برنامج إدارة وسيطرة سيقوم به العرب.
ويمكن إحصاء قطع المدفعية الثقيلة والدبابات المتوفرة والتى يمكن أن يقوم العرب بإدارتها وتشغيلها كالتالى:

النوع	العدد
دبابات تى٥٤ &٥٥	من ٢ إلى ٧

مدفع أوبوس ١٠٥ مليمتر .... من١ إلى ٣
راجمات BM12 .... من٢ إلى ٤
مدفع MC عيار٨٥ مليمتر..... من٢ إلى ٤
قاذف فردى " BM 1" ٤
راجمة صقر٣٠................ ١
مدفع شلكا ٢٣ مليمتر .... من١ إلى ٢

وغنى عن الذكر أن أعداد العرب التوافرين حاليا لا يمكنها أن تغطى الإحتياجات البشرية لطواقم الأسلحة المذكورة.

والحل العملى هو أن يدير العرب بعض تلك الأسلحة بشكل كامل ، والبعض الآخر بشكل جزئى بالإشتراك مع الإخوة المجاهدين ، والباقى يترك تماما للمجاهدين.

ولكن الشئ الذى لايمكن الإستغناء عنه لنجاح العمل هو وضع برنامج عمليات للإسلحة الثقيلة، وأن تعمل تلك الأسلحة تحت إدارة مركزية موحدة طبقا لبرنامج العمليات المذكور.

يمكن إضافة أسلحة أخرى للإستخدام فى برنامج العمليات القادم ، بشكل جماعى وتحت قيادة مركزية . هذه الأسلحة مثل:

هاون٨٢مليمتر ـ مدافع عديمة الإرتداد ٧٥ & ٨٢ مليمتر
....

برنامج المطار الجديد

الخطة الجديدة للعمل ضد المطار تضع فى حساباتها إعتبار المطارين ، القديم والجديد ، كوحدة واحدة . وبالتالى بناء "برنامج مدفعية" مستقل لكل مطار على حدة ، وإستكمال الخطين فى آن واحد ، ثم بدء العمل بعد ذلك .

الغرض من ذلك هو تفويت الفرصة على العدو ، حتى لايلجأ إلى إستخدام المطارين بالتبادل كلما صادفته عقبات فى أى منهما .

قوة نيران المطار القديم:

يحتاج المطار القديم إلى خمسة راجمات صواريخ وهو العدد الذى أستخدم فى العملية السابقة.

ونظرا لصعوبة توفير هذا العدد لكل مطار على حدة ، ليكون إجمالى الراجمات عشرة ، وهو عدد يصعب توفيره حاليا كما يصعب تموينه بالذخائر .

وعليه فالمقترح حاليا هو إستخدام ثلاث راجمات فقط للمطار القديم مع تعزيزها بنيران مدفع شلكا "ويكون توزيع النيران طبقا للرسم التقريبى المرفق".

ملاحظات على قوة النيران المقترحة :

الإستخدام التكتيكى للشلكا فى هذا البرنامج يعتبر الأول من نوعة من عدة جوانب منها :

أن الشلكا تستخدم من وضع ثابت ولا بد من تحصينها بشكل مكثف وإخفاء لهب النيران، فمعظم عمله سيكون ليلا وتحت قصف الطيران المركز، وكذلك مدفعية العدو التى هى الآن فى حالة قوة بعد إمدادات الذخائر الكثيفة التى وصلتها فى الأشهر الأخيرة.

فعالية الشلكا فى الرماية على مدرج المطار وقت الليل مسألة غير معلوم نتائجها حتى الآن، ولابد من إنتظار التجربة العملية حتى نصدر الحكم القطعى . ومزايا الشلكا تبررالمجازفة بإستخدامها فى تلك الظروف . فمن مزاياها :

أ ـ غزارة النيران ب ـ رخص القذائف ج ـ تأثيرها النفسى على العدو
د ـ تغطية مساحة كبيرة بالنيران فى وقت قصير .

هـ ـ يمكن إستخدامها أثناء النهار بدقة ضد أفراد العدو وسياراته المتحركة لتنظيف مدرج المطار وغيرها من الأعمال.
و ـ إصابة الطائرات قيد الإصلاح قرب المدرج وذلك بدقة كبيرة وتكلفة رخيصة.
(الغرضين هـ ، و) لم يكن من الممكن تحقيقهما بكفاءة بإستخدام الراجمات أو المدفعية، ناهيك عن التكلفة الكبيرة لتلك الوسائل .
إذا ماثبت جدوى إستخدام الشلكا فسوف تنتقل التجربة بسرعة إلى المطار الجديد.
* توجد راجمة واحدة الآن فى منطقة عمل المطار القديم ، ويمكن توفير راجمتين فى نفس المنطقة ولكنهما فى حالة سيئة وفى حاجة إلى صيانة كهربائية (معظم القواذف معطلة) .

قوة نيران المطار الجديد :

وهو المطار الذى يستخدمه العدو حاليا . والمقترح أن تعمل ضده قوة نيران مكونة من خمسة راجمات، موجود منها الآن إثنتان حالتهما جيدة .
يمكن إستخدام الراجمات بنفس أسلوب إستخدامها على المطار القديم ،مع مراعاة عدة إعتبارات خاصة بالمنطقة منها ضرورة إعطاء عناية كافية لأمور الدفاع عن المنطقة التى تبدو مكشوفة لهجمات العدو نتيجة للتالى :
ـ قلة مجموعات المجاهدين فى المنطقة وضعف تسليحهم .
ـ عدم وجود تصور دفاعى عن المنطقة .
ـ سهولة وصول دبابات العدو إلى الخط الأول للمجاهدين .
ـ قلة إستحكامات المجاهدين فى المنطقة (مغارات ، خنادق) .
ـ خط إمداد المنطقة بعيد نسبيا ومكشوف نسبيا .
ـ وجود نهر "شمل" يقسم المنطقة إلى جزئين ويؤثر سلبا على عمليات الدفاع والإمداد والتنقل ، كما يسهل على العدو السيطرة على جانب النهر الشمالى.
ـ المنطقة ليست بوعورة مناطقنا عند المطار القديم لذلك لابد من بذل عناية كبيرة فى إختيار مواضع الراجمات وتحصينها ، وكذلك مخازن الذخيرة .

مميزات المنطقة

للمنطقة مميزات هامة للغاية لابد من الإستفادة منها مثل:
١ ـ يسيطر المجاهدون على كل السلاسل الجبلية إلى حدود الوادى وهذا يعطيهم ميزة الكشف والسيطرة بالنيران على مساحة وسعة مكشوفة من أرض الوادى المقابل لهم .
٢ ـ المنطقة المقابلة من الوادى بها أشجار وبقايا القرى ، فهى مكان مثالى لعمليات التسلل .
٣ـ الراجمات المستخدمة ضد المطار الجديد يمكن إستخدامها بسهولة ضد الأهداف الأرضية المراد إحتلالها لإغلاق المطار الجديد عن قرب ، أو لقطع الطريق بين خوست و جاجى ميدان .
٤ـ عملية المطار الجديد ستؤدى إلى زيادة نشاط المجاهدين فى المنطقة، ومن ثم تجهيز مسرح العمليات هناك للعمليات الحاسمة فى حصار المدينة كما سبق وأن ذكرنا .
٥ـ المنطقة مثالية لإستخدام لدباباتنا مع إمكان إخفاء حركتها وتمويه مواضعها. وترويج عمل الدبابات والمدفعية بشكل جيد مع هجمات أرضية للمجاهدين ، قد يجعل المنطقة مركزحسم معركة خوست لصالح المجاهدين . ويلاحظ أن مركز ثقل العمليات حاليا هو فى أطراف وادى خوست الغربية، وهى مناطق صعبة على المجاهدين نظرا لطبيعة الأرض المسطحة وتزايد إستحكامات العدو .
أما منطقة جنوب الوادى، فى مقابل بارى ، فهى بلا شك المنطقة الأخطر فى الساحة كلها نظرا لإقتراب المجاهدين من مناطق المدينة الحساسة، خاصة المطار القديم ، ولكن كثافة

خطوط دفاع العدو فيها وتركيز نيرانه عليها يمنع المجاهدين بتشكيلاتهم الحالية من إحراز نصر حاسم هناك .
إذن فتطوير العمليات من جهة الشرق هو الإحتمال المتاح الآن أمام المجاهدين ، ويمكن فيه تحقيق هدفين استراتيجين غاية الأهمية ، وهما كما ذكرنا:
أ ـ إغلاق المطارين . أى قطع الإرتباط الجوى بين خوست وكابل.
ب ـ قطع طريق خوست/ جاجى ميدان . وهو آخر إتصال برى بين خوست والعالم الخارجى .
وكلا العمليتين فى حدود القدرات المتاحة لدى المجاهدين .
. . . .

مهام المدفعية حاليا

تعمل مدفعيات المجاهدين حاليا بطريقة بدائية جدا ، تؤدى إلى إهدار الذخائر وإضاعة فرص ثمينة من المجاهدين .
فقطع المدفعية موزعة على بعض المجموعات ، ويخصص لكل قطعة كمية معينة من الذخائر تصرف كل فترة زمنية محددة أو كلما توفرت ذخائر جديدة.
وذلك دون تحديد أهداف أو واجبات لتلك القطع ، إلا نادرا فيما يسمى بالعمليات أو " البروجرام" .
وهو فى أكثره مجرد ضرب إزعاجى يستنزف الذخائر بدون مردود يذكر .

الواجبات المقترحة للمدفعية

فى برنامجنا الحالى الذى نسعى فيه لتجميع أكبر قدر من نيران المدفعية الثقيلة تحت إدارة واحدة تطبق برنامج موحد مدروس ، فإن أهم الإستهدافات المقترحة للمدفعية هى:
أ ـ مركز قيدة العدو ب ـ مخازن الذخيرة
ج ـ مرابض المدفعيات الثقيلة وراجمات الصواريخ .
د ـ مناطق حشد القوات . هـ ـ إسكات مدفعية العدو أثناء الإشتباكات .
بالنسبة إلى الهدف الأول فهو منطقى فى أى عمليات عسكرية لأن القضاء على قيادة العدو يمكننا من إنهاء جزء كبير من المعركة .
أما الهدف الثانى فأهميته تأتى من صعوبة تعويض العدو لخسائره من الذخائر ، فى ظروف حصار المدينة وإغلاق المطارات . ويمكن قول نفس الشئ عن الأهداف الباقية .
ونذكر أن هضبة متون تعتبر هدفا رئيسيا لمدفعيتنا لتواجد : قيادة العدو ومركز إتصالاته ، وترصد العدو ومخازنه .
كل ذلك فوق تلك الهضبة الصغيرة نسبيا. والعديد من مخازن العدو قد تم رصدها بدقة ، ويمكننا رصد المزيد ، وتبقى مشكلة إستخدم المدفعية بدقة وكفاءة ضد تلك الأهداف .
ميزة أخرى لمدفعيتنا "مدفعية المجاهدين" هو سيطرتنا على أعالى الجبال وحصر العدو فى الوادى المنبسط . هذا الوضع يوفر لنا ميزة الرصد الدقيق وتصحيح الرمايات ، ويحرم العدو من تلك المزايا .
عن هدف إسكات مدفعية العدو ، نشير إلى أنه يكتسب أهمية خاصة فى حالتين :
الأولى ـ أثناء إشتباك راجماتنا مع العدو على أرض المطار ، فكثير من قطع مدفعية المجاهدين تسارع إلى الإشتباك مع نفس الهدف بدون أى ضرورة لذلك . والأولى أن تقوم الراجمات التى حددناها فقط بأداء المهمة ، بينما الراجمات الأخرى والمدافع تتصدى لراجمات العدو ومدافعه التى تمطر راجماتنا بالنيران .

الثانى ـ فى العمليات الهجومية يكون الإشتباك مع مدفعية العدو وراجماته عملا حيويا لمدفعية المجاهدين. فكثيرا ما إستطاع العدو إعادة السيطرة على مراكزه المفقودة وإيقاع خسائر كبيرة فى صفوف المجاهدين بواسطة مدافعه الخلفية التى تكون حرة تماما بدون أى تدخل من مدفعيتنا ، التى تعمل كلها ضد المراكز المراد إحتلالها ، ولا تنتبه إلى مدفعيات العدو الخلفية .

مهام الدبابات حاليا

لدى المجاهدين عدد محدود من أطقم الدبابات. وقد خاضوا مجموعة معارك رائعة ستدون فى التاريخ العسكرى للمسلمين بكل إعتزاز . منها معركة "نادرشاة كوت" ، ومعركة دراجى، ثم إستخدامهم النادر للدبابات فى معركة تورغار.

ومع ذلك لم يتم الإحتفاظ بمستوى واحد فى باقى المعارك، وإتسمت أطقم الدبابات بعدم الإنضباط والمزاجية فى العمل .

ومع تعلق المجاهدين بإشتراك الدبابات معهم فى المعارك، فقد فشلت العديد من الهجمات نتيجة لأخطاء من أطقم الدبابات. ونظرا لقدمها فإن الدبابات تحتاج إلى العديد من عمليات الصيانة .

تمتلك جماعة جلال الدين حقانى أكبرعدد من الدبابات فى المنطقة ، أى حوالى خمسة دبابات صالحة للعمل. وقد عززوا قوتهم بشراء إثنتين أو ثلاث أخرى ، وتوجد لدى المجاهدين حوالى ثلاث أو أربع دبابات أخرى حالتها غير معلومة.

يتميز إستخدام الدبابات فى خوست بالحرص الشديد سواء من جانب قوات الحكومة أو المجاهدين، لصعوبة، أو إستحالة ، تعويض الخسائر فيها .

ونلاحظ أن ضعف العدو فى الدبابات كان من أكبر أسباب نكساته فى خوست. وتعتبر قوة المجاهدين فى الدبابات قريبة نسبيا أو متعادلة مع قوة العدو. فأكثر دبابات العدو إما معطلة أو تعمل كقطع مدفعية ثابتة أى فقدت ميزتها الحقيقية كدبابات تعمل فى ساحات الودى الفسيحة هجوما ودفاعا.

وهناك أنباء غير مؤكدة عن وجود إحتياط من الدبابات السليمة لدى العدو، يختزنها لحالات الطوارئ القصوى دفاعا عن المدينة، وربما لشن هجوم مفاجئ وكاسح فى وقت سياسى ملائم بهدف إستعادة بعض مواقعة الاستراتيجية المفقودة ولكن ذلك مستبعد إلى حد ما إستنادا إلى الخلفية القتالية لتلك القوات خلال الإثنى عشر عاما الماضية.

المهام المقترحة للدبابات

أولا ـ إذا تحدثنا عن مهام الدبابات فى ضوء البرنامج الجديد الذى نتحدث عنه فنذكر أن أكثر المهام حيوية هو العمل فى القسم الشرقى على شكل مجموعات متحركة من الدبابات لشن هجمات سريعة ومفاجئة على مواقع العدو وترك مشاة المجاهدين يتشبثون بها تحت ساتر من نيران مدفعيتنا الثقيلة.

يعتبر ذلك العمل من تكتيكات الحرب النظامية، لكنه لم يستخدم حتى الآن من طرف المجاهدين خاصة فى منطقتنا هذه "خوست".

فى حال نجاح ضربتنا الرئيسية الأولى فى قطع الطريق البرى (خوست/جاجى ميدان)

فيمكن لدباباتنا أن تشارك وبسهولة فى فتح جاجى ميدان نفسها التى ستصبح معزولة تماما عن أى مساندة برية، وتصبح فتحا سهلا ومؤثرا فى أوضاع المنطقة.

ثانيا ـ الهلال الممتد من الجنوب إلى شرق الوادى فيما بين منطقتى بارى جنوبا إلى خرمتو شرقا، يوفر منطقة صالحة لحركة الدبابات دون أن يتمكن العدو من رصدها.

بينماجميع تحركات دبابات العدو فى الوادى مكشوفة للمجاهدين فلا يستطيع العدو مفاجأتهم بهجوم كبير بالدبابات، بينما يستطيع المجاهدون مفاجأة الكثير من مواقع العدو، سواء فى الحزام الدفاعى

أو فى العمق، بهجمات كبيرة بالدبابات مصحوبة بالمشاة ، أو منفردة فى غارة بالنيران ضد أهداف حساسة.

من الأهداف الثابتة التى تستطيع دباباتنا ضربها بنجاح:

- هضبة متون (القيادة و المخازن).
- منطقة فارم باغ المزدحمة بالمواقع العسكرية.
- مخازن المطار الجديد والمعدات العاملة فوقه.
- أذا تم تجهيز مربض رماية مناسب ومحصن جيدا فوق جبل تورغار، فإن دبابة واحدة يمكنها تحطيم عدد كبير من معدات ودبابات وتحصينات الخط الأول للعدو. وعدد كبير من الأهداف فوق هضبة متون.

. . . . . .

الموقف الحالى فى خوست

العام الثالث للإنسحاب الروسى من أفغانستان أوشك أن يبدأ. وفى خوست تميز العام الأول بالعمليات العسكرية الهامة التالية:

- معركة "نادرشاة كوت/ دوامندو"،وفيها سيطر المجاهدون على المدخل الشمالى الغربى لوادى خوست.
- معركة دراجى التى كانت أول إنتصار باهر للمجاهدين فى معركة كبيرة على أرض مفتوحة. وفيه سيطر المجاهدون على ما يقرب من ثلث الوادى من جهة الغرب، وافتتحوا لأنفسهم طريقا مختصرا إلى العاصمتين جرديز وكابول ، وإلى شمال ووسط البلاد.

أما العام الثانى فتميزت معاركه بالتالى:

- فتح جبل تورغار، الذى هو بحق مفتاح المدينة، وذلك بعد محاولات متصلة إستمرت من ديسمبر ١٩٨٩ إلى مارس١٩٩٠ .
- الإستيلاء على معظم منطقة "ديرملك" غرب الوادى فى شهر أغسطس١٩٩٠ فاقتربوا أكثر من أطراف المدينة وسيطروا على مناطق أوسع.
- سبق تلك العملية إنتصارات صغيرة ضد الطوق الدفاعى للعدو من جهة بارى "جنوبا"، فسيطروا على "بوسطة الشلكا" وقرية "مانجى" القريبة منها.
- إغلاق مطار المدينة بشكل كامل وإرغام العدو على إنشاء إنشاء مطار جديد فى الطرف الشمالى الشرقى، بعد أن تكبد العدو خسائر فادحة فى الطائرات والأرواح بعد معركة إستمرت ٢٦ يوما خسر فيها١٣ أو١٤ طائرة.

كانت تلك أبرز إنجازات العمل العسكرى للمجاهدين خلال العامين الماضيين ونرجوا أن يكون من معالم العام الحالى، الخطة التى أشرنا إليها، أى عزل خوست عن جاجى ميدان، وإسقاط الأخيرة فى أيدى المجاهدين، ثم إغلاق المطارين بالتقدم أرضا نحوهما.

ملاحظات حول الوضع الحالى فى المدينة

بلغت العمليات ذروتها بعمليتى دير ملك والمطارالقديم. ثم توقف زخم العمليات وساد الهدؤ إلى الآن "أربعة أشهر تقريبا".

كان لدى المجاهدين مشروع لهجوم موسع ولكنه تأجل. وهناك أنباء غير مؤكدة أن العدو لديه أيضا عدة مشاريع لهجمات.

ولكن العدو منهمك الآن فى تعزيز خطوطه الأمامية. وهذا يحتمل نوايا للهجوم أو الدفاع،لأن التحصينات الحالية كما تشاهد الآن تصلح لهجمات معاكسة ضد مواقع المجاهدين.

ـ يستخدم العدو المطار الجديد بحرية كبيرة نتيجة ضعف المجاهدين فى شرق وشمال المدينة. نتج عن ذلك إعادة بناء مخزونات العدو من الذخائر الثقيلة، بعد أن أوشكت على النفاذ أثناء عمليات المطار ودير ماك.كما تمكن العدو من تجديد قواته وإخلاء جرحاه والمرضى إلى كابول.
ـ أصبح تهريب المواد الغذائيه والمحروقات إلى المدينة عملا تجاريا رابحا ورائجا ومصدر رزق لآلاف الأشخاص والعائلات. وتدفع مدينة خوست أثمانا باهظة لتلك المواد التى تظل أقل تكلفة وأقل خطورة من نقل تلك المواد بواسطة الجسر الجوى مع كابول. كما أن تشجيع تلك التجارة يفيد حكومة كابول سياسيا ويتيح لها التغلغل فى أوساط القبائل وربط مصالحهم بها.
والملاحظ أن العلاقة بين إشتداد المعارك وعملية التهريب هى علاقة تناسب عكسى، فعندما تشتد المعارك يقل التهريب، الذى يزداد كلما قلت المعارك.
ـ قلت المعونات المقدمة للمجاهدين من الخارج، فتفاقم العجز المالى وتزايدت ديونهم للتجار الذين بدأوا فى الإمتناع من إقراضهم لعدم الثقه فى تمكنهم من السداد. ومع قلة الطعام والملابس والذخائر، إنخفض عدد المجاهدين فى الجبهات، وبالتالى فى خطوط القتال الأولى. لذا يصبح موسم الشتاء الحالى خطرا من جهة إمكان العدو أن يتقدم لإحتلال بعض المواقع الأمامية التى تكاد أن تكون خالية.
ـ مجالس شورى المجاهدين حول خوست تعانى الآن من التراخى والإهمال، فتسيب الوضع العام الذى تشرف تلك المجالس على ضبطه.
. . . .

الوضع الحالى فى أفغانستان

يواجه المجاهدون الأفغان حربا دولية ضدهم بسبب تمردهم على إرادة النظام الدولى الذى تتزعمه الولايات المتحدة.
فبعد هزيمة السوفييت فى أفغانستان، التى إنهار على إثرها النظام الشيوعى، وأنفلتت من أسره دول أوروبا الشرقية، وتخلخل التماسك فى الإمبراطورية السوفيتية نفسها ، رأت الولايات المتحدة أن الجهاد الأفغانى قد حقق أهدافه بالنسبة لها، وأن أفغانستان لابد أن تخضع لتسوية سياسية تحقق أهدف الولايات فى المنطقة بعد إنسحاب السوفييت منها .
ويعتبر المجاهدون الأفغان أول الثائرين على النظام الدولى الطاغوتى الجديد .
وكما كونت أمريكا قوة دولية للسيطرة على منطقة الخليج وتحقيق أهدافها هناك، كونت أيضا قوة للعمل ضد الشعب الأفغانى ، وبإستخدام الأمم المتحدة أيضا.
فالمعونات المالية العربية تقدم الآن من دول الخليج إلى موسكو. والمعونات العينية من طعام وملابس ومحروقات تذهب إلى موسكو وكابول عبرالأمم المتحدة والمجموعة الأوروبية،إلى غير ذلك من أنواع الدعم الإقتصادى والسياسى لنظامى موسكو و كابول اللذان أوشكا على السقوط سويا. وفى المقابل منعت كافة أنواع الدعم والمساعدة عن المجاهدين الأفغان " بإستثناء الشئ النادر" لإرغامهم على التسليم بالقضاء الأمريكى على مصائر الشعوب.
ومع ذلك تمكن المجاهدون من تبنى برنامج عمليات نشط حول كابول كان له نتائج إيجابية فى إرغام كابول على الدفاع عن نفسها بدلا من التفكير فى إسترداد بعض ما فقدته من مواقع استراتيجية بعد الإنسحاب السوفيتى.
ومع ذلك فبرنامج كابول لم يكن سوى حلا مؤقتا، فما زال الوضع الجهادى فى حاجة إلى حلول جذرية أكثر حسما ، وهى نفس الحلول التى كان يتطلبها الجهاد منذ البداية وعلى رأسها توحيد القيادة الجهادية سياسيا وعسكريا. وهو الأمر الذى ترفضه القوى الدولية والإقليمية جميعا.

ولاشك أن نظام كابول شهد تحسنا نسبيا فى مركزه السياسى والعسكرى، مستفيدا من عدم قدرة قيادات المجاهدين تخطي جمود عملهم السياسى والعسكرى. هذا إلى جانب الدعم الكبير الذى يقدمه النظام الدولى بزعامة أمريكا للإبقاء على نظام كابول إلى حين إرغام الشعب الأفغاني على قبول تسوية سياسية فى بلاده يكون الشيوعيون طرفا رئيسيا فيها إلى جانب عملاء أمريكا الآخرين.

الوضع الإقليمى والدولى

الأحداث الحالية فى منطقة الخليج توضح تماما أن النظام الدولى الجديد هو نظام القطب الواحد. فالولايات المتحدة الأمريكية تهيمن، إلى الآن، على إجمالى النظام الدولى، ترسم حدود حركته وتوزع أدواره. وإن كان من غير المتوقع أن يستمر الوضع الدولى على ذلك الحال لمدة طويلة، ولكنه الوضع القائم الآن على أية حال والذى ترزح المشكلة الأفغانية تحت وطأته.

الولايات المتحدة إستفادت من الجهاد الأفغانى فى توجيه ضربة قاضية إلى موسكو والمنظومة الشيوعية . وهى ترى أن ذلك الجهاد ينبغى أن يتوقف الآن كى ترزح البلاد تحت نظام جديد من تصميمها . كما ترى ضرورة إنهاء ذلك الصراع في أسرع وقت حتى لاتنتقل عدواه إلى المنطقة العربية، خاصة الخليج الذى وقع الآن تحت إحتلال أمريكا ومنظومتها الدولية.

القضاء على الجهاد الإسلامى يأتى على رأس الأولويات . فالمجهود الأمريكى منصب على تحويل التيار الإسلامى العربى إلى سلك العمل الديموقراطى فى إطار (شرعية النظم القائمة) .
وإنتهاء الجهاد الأفغانى بالفشل فى تحقيق حكم إسلامى فى البلاد سيظهر بالدليل العملى، كما ترغب أمريكا، إستحالة حل المعضلات السياسة فى بلاد المسلمين بواسطة العمل القتالى .

الوضع الدولى إذن ليس فى مصلحة الجهاد الأفغانى ، خاصة وأن ذلك الجهاد يفتقر إلى القيادة الموحدة الملائمة للتصدى والإنتصارعلى التحديات الخطيرة المطروحة أمامه .

- الهند مازالت هى القوة الإقليمية الرئيسية التى تقوم بدور نشط فى مساندة نظام كابول عسكريا وإقتصاديا وسياسيا ، وذلك بموافقة النظام الدولى الجديد .
- وما زالت باكستان هى الطرف الرئيسى الذى يحتضن حركة المجاهدين ، مع عدم قدرتها أو رغبتها فى تطوير ذلك الجهاد أو دفعه فى المسار الصحيح. ناهيك عن المشاكل الداخلية العويصة التى تواجه باكستان والتحديات القادمة إليها من الهند، وجميعها تهدد باكستان فى الصميم ولا تجعل منها تلك القاعدة الصلبة التى يامل بها المجاهدون.

ولا ننسى إرتهان باكستان بقوة للسياسة الأمريكية ، ولا توجد أية قيادة سياسية فى البلاد، حاليا ، قادرة على إنتشال باكستان من دائرة الهيمنة الأمريكية.

الخيارات المطروحة للعمل أمام المجاهدين الأفغان

١ ـ الخيار الأول والأسهل هو التسليم للإرادة الدولية الأمريكية والقبول بالحكومة الموسعة ، أو بمعنى أصح حكومة عملاء القوى الدولية .
٢ ـ الخيار الثانى ، إستمرار العمل بنفس الوتيرة الحالية بدون تعديل . وذلك سينتهى إلى تدمير الشعب الأفغانى والقضاء على مقوماته الفريدة التى يفتقر إليها المسلمون. وسياسيا قد تنتهى بالبلاد إلى التقسيم إلى عدة كيانات عرقية ومذهبية .
٣ ـ الخيار الثالث ، وهو الأصعب والأفضل ، وهو العمل على تشكيل قيادة موحدة شريطة أن تكون: أ ـ إسلامية ب ـ ميدانية ج ـ يجمع عليها معظم الشعب المسلم .

تلك القيادة لابد أن تشكل حكومة مقيمة على الأرض الأفغانية، وأن تلتزم بالحل الجهادى القتالى ، مع العمل النشط على الساحة السياسية.
وإذا كان تحدى النظام الدولى أمر صعب ، وكذلك الوضع الإقليمى غير موات حاليا . ولكن الذى لاشك فيه هو حتمية إنتصار المجاهدين ، لعدة إعتبارات جوهرية نذكر منها :

١ ـ صحة الوعود الربانية بالنصر وحتميتها، إذا تلافينا أخطائنا البشرية و الأطماع والمصالح الشخصية ... إلخ .

٢ ـ النظام الدولى الجديد ليس بالقوة التى يبدو عليها حاليا . فهناك قوى جديدة على وشك التمرد على ذلك النظام ، وسوف تستمر الحرب بين أطرافة كما حدث دوما فى النظم الدولية السابقة القائمة على الظلم والطغيان .

3 ـ الخريطة السياسية فى العالم الإسلامى والعربى خاصة ، سوف تتبدل حتما لصالح الخيار الجهادى . وذلك يحتمه وجود الإحتلال الصليبى لمنطقة الخليج والمقدسات الإسلامية. إضافة للجبروت اليهودى فى فلسطين وتوسعه البشرى الذى سيتبعه حتما توسع جغرافى تحت شعارات يهودية دينية متعصبة ، ستثير حمية الشباب المسلم وتدفعه ، شاء أم أبى إلى طريق الجهاد فى سبيل ا .

٤ ـ الوضع فى أوروبا على وشك أن ينضج فى شكل تكتل يصارع الأطماع الأمريكية.
كذلك الوضع فى روسيا خطير للغاية وقد ينقلب إلى تيار من العنف الذى قد يزحف إلى الخارج لتفادى إنهيار الداخل ، وقد يؤدى ذلك إلى حرب طاحنة تقلب كل الموازين .

٥ ـ من صالح المسلمين فى أفغانستان والبلاد العربية وباقى المسلمين فى العالم ، بل وجميع الشعوب المستضعفة المغلوبة على أمرها أن يستمر الجهاد فى أفغانستان مشتعلا حتى نصره النهائى والكامل . فقد إكتسب فى الظروف الحالية قيمة مضاعفة. فى بدايته كان جهادا وثورة ضد الطغيان الشيوعى، وهو الآن جهادا وثورة ضد نظام الصليبية الدولية الذى تبنيه الولايات المتحدة كقطب أوحد فى العالم .
ذلك الطاغوت الأمريكى الذى يتوهم الآن أنه يرسم مصائر البشر ويوزع عليهم الأدوار، لم تعد من قوة تواجهه وتتحداه سوى قوة المجاهدين الأفغان . وبقاء تلك الراية خفاقة ستؤدى إلى نهوض رايات جهادية كثيرة وأن يفيق المسلمين من صدمتهم الحالية بعد أحداث جزيرة العرب وفلسطين
وكما ذكرنا فإن الولايات المتحدة وضعت أمامها هدفا إستراتيجيا أعلى وهو القضاء على الإسلام وعلى قمته التيار الجهادى .
من أجل ذلك تبذل قصارى جهدها لتدمير الجهاد فى أفغانستان بأقصى سرعة.
لابد أن ينتبه المجاهدين العرب فى أفغانستان إلى تلك النقطة، وأن يستعيدوا حماسهم السابق، وأن يجددوا عهدهم مع ا ، والجهاد فى سبيله على بصيرة وعلم .

الخيارات المطروحة أمام العمل العربى فى أفغانستان

لم يكن للدور العربى فى أفغانستان إلا قيمة هامشية، ذلك على الرغم من ضخامة الإمكانات المالية والبشرية والحماس الهائل الذى صاحب التواجد العربى لسنوات طوال من عمر التجربة.
تفسير تلك الظاهرة المؤسفة لامجال للخوض فيه هنا. ولكن الذى نشير إليه الآن هو خيارات العمل العربى فى أفغانستان حاليا، واضعين فى الإعتبار ما يعانيه من إنحسار وضعف إضافة إلى سلبيات رافقته مثل التشرزم والخلافات المتعمقة مذهبيا ووطنيا .
الإختيار الأول : هو ترك الأمور على ما هى عليه، بدون إتخاذ أى مبادرة لتعديل المسار.
هذا سيحرم الجهاد من الإستفادة من الإمكانات العربية، كما يحرم العرب من فرص الإستفادة الحقيقية من تواجدهم فى ذلك المكان الفذ ، وستكون النتيجة هى تصفية هذا التواجد تدريجيا بفعل

الضربات الخارجية من أمريكا والأنظمة العربية التى تلاحق التجمع العربى فى أفغانستان ، وأيضا ضربات القوى المحلية والإقليمية المعادية. يضاف إلى ذلك ضعف العزائم وتحللها ، مع تناقص الموارد وضعف الحماس الإسلامى والإهتمام العالمى بالقضية الأفغانية .

<u>الإختيار الثانى :</u> المبادرة بإصلاح مسار العمل العربى وتحويله إلى عنصر إيجابى .

* الخطوة الأولى هى تشكيل نواة عربية وتزويدها بقدرات مالية وبشرية وفنية ، كى تبدأ بالعمل العسكرى المدروس والمبادر ، بإعتبار ذلك العمل العسكرى محور النشاطات كلها . ثم توسيع تلك النواة العسكرية تدريجيا، كما وكيفا .

* ويجب ملا حظة أن تكون تلك النواة بعيدة عن الإرتباط المباشر أو غيرالمباشر بالأنظمة العربية وما يمثلها على الساحة الأفغانية من منظمات إغاثية أو أفراد . كذلك الإبتعاد عن سيطرة الجهات الحزبية على تلك النواة بدعوى تزويدها بالخبرات .

* تلك "المجموعة النواة" تضع برنامجا قتاليا تحشد فيه الإمكانات المتيسرة ، متجنبين الأحلام العريضة التى تنتهى دوما بنكسات وخيبة أمل.

* تبدأ الأعمال العسكرية فى الأماكن التى يمسهل فيها إحراز نجاحات ملموسة ، لأن رفع الروح المعنوية للمجاهدين وباقى المسلمين يعتبر مطلبا حيويا للغاية فى ظروف الإحباط الحالية.

بناء على ما تقدم فنحن نقترح أن يكون برنامجنا الحالى بداية متواضعة لمبادرة عربية فى العمل الجماعى ، سعيا لتصحيح المسار وإنتزاع المبادرة من أيدى أعداء الإسلام فى أفغانستان . وفى تقديرنا أن إحتمالات نجاح مشروعنا الراهن كبيرة وتستحق المحاولة. ونتائج ذلك النجاح ستكون إيجابية على الصعيدين المادى والمعنوى لجميع المجاهدين الأفغان والعرب .

ونعيد التذكر بأن عماد العمل السياسى والعسكرى لنظام كابول وحلفائه الدوليين ، هو إبقاء المدن الرئيسية السبعة تحت سيطرته . وأن أضعف تلك المدن هى خوست. وحسب قول إختصاصيين غربيين أنه إذا لم يتمكن المجاهدون الأفغان من إسقاط مدينة خوست ، فلن يستطيعوا أسقاط أى مدينة أخرى .

وعمليتنا المذكورة ، خطوة كبيرة نحو إسقاط خوست ، وإحتمالات النجاح موجودة ومبشرة .

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر ا ألا إن نصر ا قريب) صدق ا العظيم

ميرانشاة – الثلاثاء ١٥ يناير١٩٩١